الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد لمين دباغين–سطيف 2

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

أطروحـــة

مقدمة لنيل شهادة

دكتـــوراه العلـــوم

التخصص: **المعجميّة وقضايا الدّلالة**

إعداد الطالب(ة): **هادية رواق**

عنوان الأطروحة

آليات الصّوغ القياسي ودورها في تنمية اللّغة العربية

المشرف: أ .د. نواري سعودي

جامعة محمد لمين دباغين–سطيف2

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم و اللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ .د. محمد بوادي	أستاذ	جامعة سطيف2	رئيسا
أ .د . نوارى سعودي	أستاذ	جامعة سطيف2	مشرفا و مقررا
أ.د. محمد بن صالح	أستاذ	جامعة مسيلة	ممتحنا
د . خالد هدنة	أستاذ محاضر "أ"	جامعة سطيف2	ممتحنا
د. جمال كويحل	أستاذ محاضر "أ"	جامعة سطيف2	ممتحنا
د. صورية جغبوب	أستاذ محاضر"أ"	جامعة خنشلة	ممتحنا

2018 – 2017

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى التي غمرت قلبي بالمحبّة ، ورصّعتني بالذكريات ...

إلى الرّوح التي فارقت روحي، أُمّي طيّب الله ثراها ،

إلى روحي والديّ طيّب الله ثراهما ،

وتقبّلهما في من عنده ، وأسكنهما فسيح الجنان .

إليهما أرفع هذا الجهد المتواضع

مقدمة

مقدمة وإشكالية البحث

يتنزّل اللّسان من حياة المجتمعات منزلة القائد الأعلى في مملكته ، فكم من دولٍ اغتُصب ملكُها ، إلاّ أنّها حافظت على لسانها موحدا ، وترقّبت الفرصة ونهضت بعد دهر، فردّت ملكها وجمعت من ينطق بلسانها إليها ، والمعتمد في ذلك إنّما هو اللّسان قبل سواه ، فلو فُقد اللّسان فقد معه التاريخ ، و نُسيت الأمجاد وظلّت الأمّة في الاستعباد ، واللّغة هي الشاهد الثبت الذي يكشف نصيب الأمم من الرقي والازدهار ، ويُبدي حالها من التخلّف والانحسار ، فلا رباط غير اللغة ولا رباط بعد اللّغة ، لأنّها هي القوة الوحيدة الكامنة في نفوس المتكلّمين بها ، توّحد صفّهم في مطلق أحوال الاجتماع ، ثم ترأب صدعهم إذا توالت الأحداث ، وتشدّ أزرهم في الإحن والأزمات، وتوحّد كلمتهم إذا تعددّت أفكارهم واختلفوا ذات بينهم ، فاللغة تتعقب أحداث الحياة من حولها ، وتقبض بالألفاظ على كل ما جد في الحياة من تفاصيل ومتغيّرات ، وقبل كلّ هذا وذاك هي التي تحقّق التواصل في مختلف مجالات الحياة .

حينما قرّرت الحديث عن جملة الآليات التي تنتهجها اللّغة ، لتحقق التنمية في الألفاظ والمصطلحات تلبية لحاجة المتلاغين بها ، توجّه نظري للأبنية العربية ، وكان الاعتقاد أنّ الحديث في موضوع التنمية القياسية ، يتوجه مباشرة لتلك الأبنية ، التي اعتبرتها بمثابة النّول أو المقياس الذي يقاس عليه كلّ جديد من ألفاظ اللغة ، لكنّ عملية البحث ومطالعة المادة العلمية موضوع البحث ، بدأت تتّسع كلّما عاودت النظر، وبدا لي بعد ذلك أنّ فصاحة العربية التي ارتبطت قديما بالزمان والمكان ، هي اليوم عملية تنموية جديدة تستدعي جهود كلّ مستعمليها ،في كلّ مكان ، كما هو الحال زمن انبعاث الرّسالة المحمّدية ؛ أين كانت اللغة مشروع مجتمع بكامله ، وزمن النهضة العربية الحديثة مع المجامع اللغوية ؛ أين شارك العلماء المختصون من مختلف التوجّهات المعرفية والعلمية ، للنهضة باللغة العربية الحديثة ، وهذه الجهود مدعوّة اليوم بقوة ، وأكثر من أيّ وقت مضى للتعبير عن حاجة المتكلم العربي، وتزويده بمادة متجددة تؤدّي وظيفة التبليغ والإبلاغ ، كما تفعل اللّغة المثالية ، وإلاّ ستكون العربية علامة لغوية معطّلة .

لذلك فإنّ من أهمّ دواعي اختيار البحث هو أهمية الموضوع ؛ موضوع التنمية في حياة اللغة فهي **فكرة جادّة** ، لأنّها تتعلّق بالكشف عن مدى حياة اللغة وموتها ، كما أنّ وسم اللغة بسمة الحيوية ؛ يقتضي التنقيب عن علامات الحياة المتجددة فيها ، ومعرفة مُقدّراتها التي تسمح لنا بالتنبّؤ بمستقبلها ، ومصيرها بين اللغات الأخرى ، وكذا مكانتها بين المتلاغين بها ، وهو ما يكشف حظّها من البقاء والاستمرارية ، أوحالها من الانقراض والزّوال ، ولا شكّ أنّ القبض على جملة الآليات التي تمتلكها اللغة قبضا محكما، وذلك بالتعرف عليها وعلى طريقة عملها ؛يعني القبض على استمرارية اللغة قبضا آليا ، هذا إذا تجاوزنا العوامل الاجتماعية التي تحكم الظاهرة اللغوية والمتعلقة بالمستعمل أساسا .

لذلك فقد تمحورت إشكالية البحث في مجموعة تساؤلات، منها ما قيمة القياس في حياة اللغة ؟ ثمّ ما مدى صلاحية **القياس في اللغة العربية** ؟ وما هي **طرقه في تنمية** اللغة العربية ؟ وما هي وسائل القبض على أشكال الصياغة اللّفظية بطرق قياسية ، ثم ما هي **مؤهلاتها الذاتية** التي تسمح لها بتوظيف تلك الآليات وجعلها منتجة ، ونروم من خلال هذه المساءلات إظهار طاقة اللّغة ، وقدرتها على التّنمية من خلال نظام **التوليد بنظام القوالب الاشتقاقية** ، و**التعريب** ، و**الارتجال** ، و**التضمين** ، و**المفهمة** بوصفها مصطلحا قديما جديدا ، عملت وتعمل على ضخ مفاهيم جديدة لكلمات قديمة ، ونسعى من خلال هذا العمل إلى الإجابة عن سؤال مدى تجاوب اللّغة العربية مع التنمية ، وذلك بإظهار جملة الآليات التطبيقية التي تستطيع العربية أن تنتهجها لتنمية الثروة المصطلحية ، والقيام بواجب التّأمين؛ تأمين حاجة المتلاغين في حياتهم اللغوية .

وقد تمّ حصر موضوع **آليات الصوغ القياسي ودورها في تنمية اللغة العربية** في:

. مقدمة،ومدخل يتضمّن تنقيبا عن أوّليات اللغة العربية كما وصلتنا من خلال الشعر الجاهلي ،مع إطلالة على علاقة العرب بالعربية، ونزعتهم إلى تنزيهها وتنزيلها فوق منازل اللغات ، ما دفع إلى البحث المتواصل في بنيتها ونظامها ، والنتيجة ثبات وصمود نظرية النحو العربي .

. الفصل الأوّل: بعنوان **القياس رهان عقول استبقت الزمن** ، وهو محاولة لإثبات نظرية القياس التي رافقت الدّرس التراثي، فتميّزت بالرّؤية الثاقبة لعلماء العربية ،وتوجههم العلمي الدقيق في وضع قياس يثبّت للعربية نظامها، ودليلنا في ذلك صمود نظرية النحو العربيِّ لقرون.

. الفصل الثاني : بعنوان **التنمية الداخلية عوامل ومؤهّلات كامنة في بنية اللغة العربية** ،وهو بحث في مؤهّلات العربية ، وما تمتلكه من وسائط ووسائل تسعفها في عملية التنمية ،مثل ظاهرة الإدغام التي تقع على الحروف ، وكذا ظواهر **الزّيادة** و**الإبدال** التي تلحق الكلمة ، وكلّ ذلك يشكّل حركية داخل اللّغة ، أي أنّها تنبع من داخل اللغة بوصفها كائن حي تجري عليه حركة **التغيّر والتبدّل** ، وهي عواملُ تصرُّف فيها ، كما أنّها عوامل أوّلية لا غنًى عنها في عمل الآليات ، لا نستطيع حصرها بين دفتي هذا البحث ، لذلك نقف عند أهمّها ممّا له علاقة بال**تنمية** والزيادة والتكثير **بطرق قياسية** ، وقد تمّ إدراج آلية **الاشتقاق والتوليد** ؛ آلة التوليد الأولى في اللغة العربية ضمن الفصل الثاني ، باعتبار أنّها عملية تنبع من داخل اللغة ، وهي تعتمد الزّيادة على الحروف الأصول في الكلمة ، ثم تقليبها على الأبنية والأوزان ، بضبط الميزان الصرفي .

أمّا الفصل الثالث : والمعنون ب"**المقيس عليه هو النول الذي يُقاس على شكله كلّ جديد**" فقد تمّ التعريج من خلاله على المجامع اللغوية العربية في العصر الحديث ، قصد إبراز دورها الفعّال في النهوض بالعربية الحديثة ، ثم تحديد جملة الآليات المستعملة في التنمية ومنها **التّعريب** الذي يرتكز على صبّ اللّفظ الدّخيل في الأبنية والصيغ العربية ، فتصير الكلمات عربية ؛لأنّ ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ، و**النحت** الذي عُدّ في العربية وسيلة إنتاج محدودة الأثر بسبب عامل الإغماض فيه ، ثمّ **التضمين** لما فيه من توسيع للمعاني وتكثير للألفاظ تحت ضرورة مراعاة الغرض والمؤدّى الجديد للّفظ ، و**الارتجال** الذي هو في جانبه النظري آلة تنمية ، لكن لم يتّفق علماء اللّغة في شأن ضبط حدوده وحسم أمره ، كما أنّه لم ينتج للغة ألفاظا يمكن عدّها من قبيل الارتجال حقيقة ، وتجنّبت الحديث في المجاز اللغوي رغم فاعليته الكبيرة في التنمية ، بسبب أنّه حالة ذوق وعملية إبداع ولا علاقة له بالقياس ،والغرض من ذلك كلّه هو

معرفة كيفية اعتماد هذه الآليات على القياس والضبط الذي حدّده أوائل علماء العربية ، وتمّ عرض تجربة ابن عربي وطريقته في وضع **قاموس المصطلح الصوفي** عبر الانتقال باللفظ من معناه العام المتعارف عليه ، إلى معنى خاص يتعلّق بشهوده الصوفيّ ، فصار ابن عربي واضع اللغة الصوفية بلا منازع ، كما قد تمّ إدراج مبحث يتعلّق **بالمعجم والقاموس** ، لأنّهما المصدر والمستودع الذي لجأت وتلجأ إليه العربية في ماضيها ،وحاضرها ، ومستقبلها .

أمّا الملحق فيتضمّن إشارة لبعض المجامع اللغوية في تاريخ البشرية، قصد التنبيه على أهمّيتها ،في سياق البحث .

. خاتمة : وهي عرض لنتائج البحث ، يلي ذلك فهرس المصادر والمراجع المعتمدة .

واقتضت طبيعة البحث أن يكون **المنهج المعتمد** هو المنهج الوصفي ، القائم على الاستقراء والوصف والتحليل والتركيب ، فقد افترض الموضوع وجود نموذج قابل للوصف والتحليل – هو الدراسات العربية القديمة ، وجهود المجامع اللغوية الحديثة – من أجل رصد المتغيّرات المتعلقة بظاهرة القياس ، وعمدت إلى أن تكون القراءة داخلية ، لتجنّب الإسقاطات الدخيلة . أمّا عن **الدراسات السابقة** في موضوع التنمية اللغوية ، فهي ليست دراسات مطابقة للموضوع في كلّ تفاصيله ، ولكنّها تناولت بعض أجزاء الموضوع خاصة الحديث في آليات التنمية منها عوامل تنمية اللّغة لتوفيق محمد شاهين ، دراسات في فقه اللغة صبحي الصالح ، من أسرار اللغة لإبراهيم أنيس ، الاشتقاق ودوره في نمو اللّغة لفرحات الطّيب عيّاش ، وعلم المصطلح لممدوح محمد خسارة ، علما أن كلّ كتاب من هذه الكتب المذكورة قد تناول بعض الآليات وترك أخرى بسبب اختلاف وجهات النظر في تحديد آليات تنمية اللغة ، وقضية القياس ، ومنه فقد كانت هذه الكتب من المراجع التي استند عليها البحث .

المادة العلمية موضوع البحث متوفرة عدنا إلى جملة من **المصادر** نذكر منها الخصائص المنصف، سر صناعة الإعراب لابن جنّي، رسالتان في الإغراب في جدل الإعراب ، ولمع الأدلّة لابن الأنباري ، الزينة في الكلمات الإسلامية العربية لأبي حاتم أحمد بن حمدان الرّازي ، المزهر

في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ، المعرّب للجواليقي ، الاشتقاق لابن دريد ، كتاب أبنية الأسماء والأفعال والمصادر لابن القطّاع ، ومن **المراجع** نذكر أبنية الصرف في كتاب سيبويه ، وتيسير النحو لخديجة الحديثي ، كتاب علم المصطلح أسسه النّظرية وتطبيقاته المنهجية لعلي القاسمي ، القياس في النحو العربي لسعيد جاسم الزبيدي ، القياس في اللغة العربية ،والنحت في اللغة العربية لمحمد حسن عبد العزيز، أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة لرشاد الحمزاوي وكتاب من المعجم إلى القاموس لابن مراد.. ، منه فإنّ اتّساع مدونة التراث النحوي العربي وامتدادها وغناها ، وتنوّع مداخيلها ، كان أكبر إشكالية تواجه البحث .

وأخيرا أرجو أن أكون قد وُفِّقت في ربط خيوط الإشكالية ، وأصبْتُ في حلّها والإجابة على التّساؤلات المقدّمة ، وعرض الأفكار والتصوّرات المقترحة ، وأنهي هذا كلّه بالشكر الصادق الجزيل لعميد كلية الآداب واللّغات جامعة سطيف 2 ، وإدارة الكلّية ، وكذا قسم اللغة العربية وآدابها لما تمّ تقديمه من عون وعناية وتسهيلات .

وقبلهم جميعا أخصّ الأستاذ الفاضل **نواري سعودي** بأخلص عبارات الشكر والاحترام والتقدير جزاء ما قدّم من جهدٍ ، وأسلف من نصح وتوجيه وإرشاد ، فجزاه اللّه عنّى خير جزاء والسّلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

هادية رواق

مدخل:

من حضارة الشعر إلى حضارة النحو

المبحث الأول : العرب والشعر

للعرب في شبه الجزيرة كغيرهم من الأمم ، مجموعة مميّزات تبرز كمظهر من مظاهر حياتهم الاجتماعية ، من ذلك عنايتهم بالخفّة و المَلاحة والرّشاقة ، التي كانت طبعا من طباعهم في الحياة ، ولا أدلّ على ذلك من إعجابهم بالحمام والظّبّاء والغزلان ، فقد لازم ذكر هذه الحيوانات الرشيقة لمواقع تمدّحهم بالخفّة والرّشاقة واللّطف، بل قد مالت حياتهم كاملة إلى مظاهر البساطة والخفة ، فمساكنهم خفيفة المحمل ، وأزاودهم قليلة سريعة التّنقّل والتّبدّل بينهم في الثّبات والترحّل ، جيادهم مستنفرة في أهبة دائمة للحرب ، شجعانهم يتلهّفون للإغاثة وكرماؤهم يسارعون في البذل والعطاء ، وهي كلّها من ملامح النّشاط والسّرعة، وهي من دواعي الخفّة واللّطف .

قال ابن جنّي :" وممّا يدلّك على لطف القوم ورقّتهم مع تبذّلهم ، وبذاذة ظواهرهم ؛ مدحهم بالبساطة والرّشاقة وذمّهم بضدّها من الغلظة والغباوة ." [1] فلم تكن لغتهم بمنأى عن هذه المواصفات ، بل تأخذ اللّغة من طبع المتكلّم بها ، كما يأخذ المتكلّم من صفات لغته والحركة متبادلة، فالثّابت" أنّ بنية أيّة لغة من اللّغات ذات علاقة بعقلية المتكلّمين بها وبنظمهم وبحضارتهم المادّية." [2] و لمّا كانت اللّغة منطقا ، وهي نظام من الإشارات والرّموز يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم." [3] فلا بدّ أن يرتبط هذا النّظام بعقول أصحاب اللّغة إلى حدّ كبير. [4]

واللّغة التي هي الألفاظ الدالة على المعاني ، والتي تتمظهر في أشكال من الكتابة وأصوات من الكلام ، هي التي تسعف مجتمعاتها في القيام بواجباتهم الحضارية وبهذا الاعتبار " تختلف صيغها باختلاف الأمم ودرجات علومهم وتمدّنهم بما هي مجموعة من الرّموز الاصطلاحية في مفرداتها ، ومجموعة من القواعد النّحوية الاتّفاقية في ضبط تلك المفردات ."[5] وهي في نهاية

---

[1] ابن جني: **الخصائص** ، ت محمد علي النّجار ، عالم الكتب ، بيروت لبنان ط 1، مج 1 ، ت ط 2006م ، ص97 .

[2] محمود السّعران : اللّغة والمجتمع رأي ومنهج ، ط2 ، الاسكندرية ، ت ط 1963 ، ص65.

[3] ابن جني : الخصائص ، ص67 .

[4] إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ت ط 2010، ص 118 .

[5] شوقي حماد ة : المساهم معجم عجائب اللّغة نوادر ودقائق ومدهشات ، علمية ويتضمّن الألفاظ الدّخيلة على اللّغة العربية ، دار صادر ، بيروت لبنان ، ط 1 ، ت ط 2000، ص 9 .

الأمر " نتاج اجتماعي." [1] وهي نابعة من المجتمع وتابعة له في البسط والقبض ، وفي كلّ ما ينقلب عليه ، ويحدث فيه من مظاهر الحياة بكلّ تفرّعاتها وتفاصيلها ، ثم لا تخرج ولا تزيد على أن تكون مرآة عاكسة تظهره كما هو في نفسه ، ولا تُخطئُهُ مهما تنوّعت أشكاله واختلفت أزياؤه ، وتعدّدت أساليب عيشه .

من خلال هذه اللّمحة المختصرة عن اللغة وحياة العرب ، ومن قلب شبه الجزيرة ، ومنذ مائة وخمسين سنة قبل ظهور الإسلام ، رحلت اللّغة العربية إلى التاريخ الحديث ، عبر وسيط ثبتٍ هو الشعر الجاهلي ، وقد اتّخذت هذه اللغة في طريقها إلينا جهاز نحو يُقعّد لها ، ويحمي نظامها ليصونها من التلاشي والاندثار ، ويُشرّح بنيتها لمن أراد أن يتعلّمها ، وفي العصر الحديث ما أكثر من تعجّب واستغرب من قصة اللّغة العربية " تلك اللّغة القومية التي بلغت درجة الكمال عند أمّة من الرّحّل." [2] ولعلّ الأمر ليس غريبا إذا استندنا إلى قواعد العقل ، ففي الوقت الذي اهتمّت فيه أمم أخرى ، بأمور كثيرة متنوعة تملأ جوانب الحياة والحضارات ، كان العرب في جزيرتهم يعيشون حياة الانغلاق والعزلة ، ولا يتقنون في حياتهم البسيطة سوى الحرب والكلام ، فكانت الحرب محور حياتهم الرئيس لأنّها صراع من أجل البقاء ، وكان الكلام هو ما يُدير الحياة ، فهو شيء من السّلاح في الحرب ، ووسيلتهم للمهادنة والسّلم ، في ظل بيئة قاسية قاحلة موحشة لا يملأ وحشتها سوى نبض الشعر وقريضه ، فنطق العرب بالبيان ، وصدعوا بالحكمة ، ونبغوا في الشعر، كلّ ذلك كان ثمرة لعقولهم الفتية التي عانقت الحياة القوية ، الرّتيبة ، البسيطة ، الطويلة ، ولا أحد ينكر أنّ العرب قد أوتوا من اللّسن والفصاحة ، والقدرة على صوغ الكلام وتلوينه ، إذ قد حدّثنا التاريخ عن بصيرتهم النافّذة في فنون الكلام ، وتمييز جيّده من رديئه ، وهي مؤهلات الرّسالة التي ستبلغ بعد **حين** .

---

[1] فرديناند دي سوير : محاضرات في اللسانيات العامّة ، ت يوسف غازي ، مجيد النّصر ، م الجزائرية للطباعة ت ط1986 ، ص21.

[2] أنور الجندي: اللّغة العربية بين حماتها وخصومها ،

أُغرم العرب بالشّعر فكان مطلبا نفسيا ، بل هو من تمام آلة المُروءة عندهم ، كما أنّ "تمام آلة الشعر أن يكون الشاعر أعرابيا " [1] فكان الشعر عنوان ثقافتهم هو بالنّسبة لهم " علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه ." [2] و قد حظي الشّعراء في الجاهلية بمنزلة الأنبياء على رأي أبي عمرو بن العلاء ، " لأنّ العرب لم يكن في أيديهم كتاب يرجعون إليه ، ولا حكم يأخذون به ، وكان الشعر عندهم علما لا علم فوقه فالتجأوا إليه ، لما وجدوا فيه من الحكمة ." [3] وقد مال العرب للحكمة فكانت مظهر ونتاح حياتهم المتأمّلة الهادئة الرتيبة .

ابن فارس وفي باب ما اختصّ به العرب من علوم ، وما امتازوا به من معارف ذكر في البداية علم الإعراب وعدّد فضائله ، ثم عرّج على الشعر عند الأمم الأخرى مُعرِّضا به مبيّنا ضعفهم فيه ، لينتهي إلى أن الشعر من اختصاص العرب فيقول : وادّعوا مع ذلك للقوم شعرا وقد قرأناه فوجدناه قليل الماء نزر الحلاوة غير مستقيم ، بل الشعر شعر العرب ، ديوانهم ، وحافظ مآثرهم ، ومقيّد أحسابهم." [4] وقد كان الشعر * " أهمّ عنصر في بنية مجتمعهم الثقافية ونمط التعبير الذي شغلهم عن التّفكير في أنماط أخرى." [5] وتاريخ الحضارة العربية بكامله شاهد على

---

[1] الجاحظ :عثمان بن بحر ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، ج1 ، مكتبة الخانجي ، ط1 ، ت ط 1998 ، ص94.

[2] الجمحي : ابن سلاّم، طبقات فحول الشّعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، د ت ، د ط ، ص

[3] الرّازي : أبو حاتم أحمد بن حمدان ، الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ، علّ عليه حسين بن فيض الله الهمداني ، اليعبري الحرازي ، مركز الدّراسات والبحوث اليمني ، صنعاء اليمن ، ط1 ، ت ط 1994، ص 106.

[4] ابن فارس : أبو الحسين أحمد ، **الصّاحبي في فقه اللّغة وسنن العرب في كلامها** ، تحقيق مصطفى الشّويمي ، ط بدران للطّباعة بيروت لبنان ، ت ط 1963، ص77.

*من علماء العربية من يُرجع عناية العرب بالشعر إلى عهود خلت وبادت ، وقد كان مع ذلك الشعر لغة قديمة عفا رسمها وبادت معالمها ، كما في رواية أبي بكر بن محمد بن الحجاج عن أبي خليفة الفضل بن محمد بن الحباب ت305هـ قال : قال ابن عون بن سيرين ، قال عمر رضي الله عنه : كان الشعر علم قوم ، ولم يكن لهم علم أصحّ منه ، فجاء الإسلام . فتشاغلت عنه العرب بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهِيت عن الشعر وروايته ، فلمّا كثُر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنّت العرب في الأمصار ، راجعوا رواية الشعر ، فلم يئولوا إلى ديوان مدوّن ، ولا كتاب مكتوب ، وألْفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقلّ ذلك ، وذهب عنهم كثيره. وفي رواية أبي عمرو بن العلاء ما انتهى إليكم ممّا قالت العرب إلاّ أقلّه ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير . ابن جنّي : الخصائص ، ت محمد علي النّجار ، عالم الكتب ، بيروت لبن ان ط 1، مج 1 ، ت ط 2006م ص301.

[5] حمّادي صمود : التّفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السّادس الهجري ، مشروع قراءة ، منشورات الجامعة التونسية ، تونس دط تط 1981، ص24.

أهميّة الشّعر في تاريخها الطّويل، فالشّعر بغية العرب، مستودع علومهم ، وحافظ آدابهم ، ومعدن أخبارهم ؛ لذلك فإنّ العرب مدينين " لموهبتهم الرّوحية العامة بالدّرجة الأولى أعني الشعر الذي ترعرع عندهم وازدهر في رعاية الدّين ." [1] وقد كان الشعر حقيقة سجِلَّ حياتهم بكلّ ما فيها من متغيّرات ، وهو الذي عبّر عن ثرائها ، وقبض على تاريخها ، وهو بعد ذلك الذي فسّر كتابهم الذي بين أيديهم ، قال عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما : " إذا قرأتم شيئا من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب ، فإنّ الشعر ديوان العرب ." [2]

المبحث الثاني: العرب والعربية

أمّا العربية وباعتبار أنّ التغيّر سنة من سنن اللغات ، فيُرجّح أنّها لم تكن لغة مكتملة النمو في حياتها الأولى ، شأنها في ذلك شأن كلّ الكائنات الحية ، ومن المُرجّح أن تكون قد مرّت بأدوار ومراحل ، تقلّبت فيها على وجوه الإصلاح مرّات كثيرة ، وجرت على تقاليب متنوعة وأدوار تهذيبية *، وسافرت مع الشعر في الأسواق الأدبية ، حتّى صارت إلى ما صارت إليه حين اتّحدت مع الشعر الجاهلي ، ثمّ استوى أمرها عن آخره حين صارت لغة القرآن الكريم الذي رسم بها أسمى آيات الخلود ، وحفظ لها الشباب ، وميّزها عن غيرها من اللّغات البشرية ، والتي من

---

[1] كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ت منير البعلبكي، نبيه أمين فارس ، الطبعة 5 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ت ط 1968، ص26.

[2] ابن رشيق القيرواني العمدة ، عن خديجة الحديثي : تيسير النحو وبحوث أخرى ، ص426.

*يذهب الرّافعي في كتابه تاريخ آداب العرب إلى أنّ العربية مرّت بأدوار تهذيبية ثلاثة حدثت قبل نزول القرآن الكريم :

1. فأوّل تهذيب نالها كان على عهد إسماعيل عليه السلام ، فقد أخذ العربية عن قبيلة جرهم المتبقيّة من العرب البائدة فنمت العربية عهدها الأول في جوار الكعبة بيت الله الحرام التي كانت مقصد الحجيج ، سواء من كان منهم علي حنفية إبراهيم أم على ديانات العرب الأخرى .

2. التهذيب الثاني كان على يد القبائل العربية مجتمعة في شبه الجزيرة العربية وتكون العربية حينها قد قطعت مسافة كبيرة في الابتعاد عن الأصل الأوّل ولمّا تفرّعت القبائل ، أخذت اللغة تتفرّع وتنمو معها فنمت اللهجات العربية التي تحتكم جميعها إلى الأصل الأول غير أنّها تتنوّع بتنوّع مجاري حياتهم وتتلون بتلوّن طباعهم ومخالطاتهم ومع ذلك لا تخرج عن القياس الأوّل الذي انطلقت منه ..

. .3 أمّا التهذيب الثالث والأخير فهو عمل قريش وحدها فهي القبيلة الأخيرة في تاريخ الفصاحة ، وكان ذلك بسبب مواسم وأسواق اشتهر بها تاريخ الجاهلية فكانت عنوان ثقافته ، وعلامة شاهدة على ميول العرب وحياتهم العقلية ، وتكون اللغة العربية حينها قد قبضت على الدور الاجتماعي للغة قبضة محكمة .ينظر في ذلك الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، ج1، ص73 وما بعدها .

طبعها الشيخوخة والفناء ، وتظهر على لسان الرّافعي الدهشة التي تصيب كلّ متأمّل لتاريخ العربية فيقول : " أنّ أمر تعاقبها كان كالسّلم المدرّجة تنتهي الدّرجة منها إلى درجة ، على نمط متساوق من الرّقيّ إن لم يكن عجيبا في تاريخ أمّة متحضّرة ، فهو عجيب على الخصوص في تاريخ العرب ."[1] * لما عُرفت به حياتهم المادية من بساطة وسطحية ؛ إذ إنّهم لم يشبهوا الأمم المجاورة لهم في نمط عيشها ، وأسلوب حياتها ، غير أنّ للعرب تميّز آخر برز في جوانب حياتهم الأخلاقية والاجتماعية ، وخاصة في قدراتهم العقلية ، وكل تلك القيم والمفاهيم الاجتماعية والمكاسب الأخلاقية ، وتلك المحامد والمكارم والمآثر، التي مازت العرب عن غيرهم من الأمم الأخرى ، جعلتهم أمّة واحدة توحّدت بعوامل تاريخية واجتماعيةّ وجغرافية ، و" صهرت عاداتهم ومفاهيم الشرف عندهم في بوتقة واحدة ومنحهم لغة شعرية مركزة ." [2] زكّاها ذلك الملمح الثقافي الفعّال في تاريخ آداب العرب والعربية ؛ وهو الأسواق الأدبية * التي عُدّت بمثابة المصفاة الحقيقية للفكر والكلام ، وكانت شاهدا حيا على حياة اللّغة ، ونبض الشعر ، وحرّية الفكر.

ثم كان أن تطعّم كلامهم بمعين صاف ، هو القرآن الكريم الذي انتزع منهم صدارة البلاغة، وجاء ليخاطبهم والبشرية ، بأساليبهم التي يتقنون ، وألفاظهم التي يفهمون ، ويقنعهم بما يؤمنون وهو الكلام ، فجرى خطابهم به على النّمط والمجرى الذي يألفونه ، والسياق الذي يعتادونه ، ففهموا أغراض المخاطب لهم به ، على حسن عرفهم ، وطريقة قبولهم واستعمل عاداتهم في استعمال لغتهم .[3] وهو شأن كل الرّسالات السماوية السابقة عنه حيث تساوقت معجزات الرّسل

---

[1] مصطفى صادق الرّافعي : **تاريخ آداب العرب** ، مراجعة و ضبط عبد اللّه المنشاوي مهدي البحقيري ، مكتب الإيمان ، ت ط1997 ،ج1 ، ص74.

* ينظر في ذلك كلّه الرّافعي : تاريخ آداب العرب ، الجزء الأوّل ، ص73 ، 82.

[2] كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص26 .

***أشهر أسواق العرب في الجاهلية** هي أسواق أدبية يجري فيها الاهتمام بالشعر تشهيرا وتصحيحا وتصويبا وتتويجا كانت في مواسم وتواريخ محدّدة نذكر منها : دومة الجندل ، هَجَر ، المُشَقَّر ، صَحَار ، بأرض البحرين ، عدن أبين باليمن ، حضرموت ، صنعاء ، ذي المجاز بعرفة ، مجَنّة بمكة ، وأكبر الأسواق الأدبية وأشهرها على الإطلاق سوق عكاظ بالطّائف وهي علامة على علو الذّائقة و التفوّق الفكري، ومن شأنه أن يُظهر ثقافة القوم واهتماماتهم الفكرية .

[3] إبن جنّي : أبو الفتح عثمان ، الخصائص، ت محمد علي النّجار مطبعة عالم الكتب ،الطبعة الأولى ، ت ط 2006م ، ص799 .

قبل بعثة محمد صلّى اللّه عليه وسلّم بما آمن به أقوامهم ، ولذلك لم تكن معجزة القرآن الكريم إلاّ من جنس حضارتهم الحادثة في خصوصيتها النوعية وهي الاعتماد على اللسان لسان الشعر ؛ أي المقوم اللفظي ، فما بُعث الرسول صلى الله عليه وسلّم إلاّ بلسان قومه ، وقد تعزّزت العربية في هذه الفترة من حياتها ، بأعلى مراتب البيان فالقران الكريم هو" البناء الفوقي الأمثل الذي ثبّت أركان اللغة العربية ، والذي فتح لها سجلا جديدا وهو الذي عمل على حفظ اللّغة العربية." [1] لأنّه قضى على ذلك التنوّع اللهجي الذي كان سائدا في شبه الجزيرة وكوّن " وحدة لغوية ارتبطت بها عواطف القوم ارتباطا وثيقا." [2]

وإذا تذكّرنا عزلة العرب عن غيرهم في المكان ، أدركنا أنّ القرآن كان منبعا حقيقيا سيزوّد اللّغة بما يخصبها ، وقد أخصبها فكرا ومعنى ونحوا وصرفا واشتقاقا وبيانا وتركيبا ،فالقران الكريم هو الذي أيقظ في العرب عناصر الإبداع والقوة والظهور، وهو المرجع اللّغوي الذي انطلقت منه جميع الدراسات اللغوية منذ نزوله ، وإليه تعود جميع المحاولات والمداولات والمحاورات حول اللغة والفكر والأدب وكل العلوم .

ولعلّ اللغة العربية في بداية عهدها الذي وصلتنا فيه كانت تسير على خطى اللّغات الطبيعية " لأن اللّغة هي الألفاظ الدالة على المعاني وطريقها الكلام والكتابة ، وبهذا الاعتبار تختلف صيغها باختلاف الأمم ودرجات علومهم وتمدّنهم بما هي مجموعة من الرّموز الاصطلاحية في مفرداتها ومجموعة من القواعد النّحوية الاتّفاقية في ضبط تلك المفردات ."[3] وقد كانت اللّغة العربية في بداية عهدها لغة مجموعة من القبائل المتناثرة في أطراف شبه الجزيرة العربية يجمعها عامل الجنس والتاريخ والجغرافيا والعادات والتقاليد ، عزّزها عامل الدّين أولا وأخيرا ، وقد عرف العرب " بلطف الحسّ وصفائه ، ونصاعة جوهر الفكر ونقائه ، لم يؤتوا هذه اللّغة الشّريفة المنقادة الكريمة ، إلاّ ونفوسهم قابلة لها ، محسّة لقوة الصّنعة فيها ، معترفة بقدر النّعمة عليهم بما وهب

---

[1] ريمون طحّان ، دنيز بيطار: اللّغة العربية وتحديات العصر، دار الكتاب اللبناني ،الطبعة الثانية ، ص19.

[2] فؤاد حنا ترزي : **في أصول اللغة والنحو**، م ط دار الكتب ، بيروت لبنان ، ص39.

[3] شوقي حمادة : المساهم معجم عجائب اللّغة ، نوادر ودقائق ومدهشات علمية ويتضمّن الألفاظ الدّخيلة على اللّغة العربية ، دار صادر ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، ت ط 2000، ص9.

منها ."[1] فهم يستخدمون هذه اللغة فتعطيهم قدر ما تطلب بيئتهم وحياتهم البسيطة المحدودة الواضحة في مفاهيمها وأفكارها ، الدقيقة في ألفاظها ومفرداتها.

وإلى هذا الزّمن من تاريخ العربية ، كانت العربية قد أعطت لمستخدميها ما تعطيه كل لغة طبيعية ، وهو معجم الثّروة المفرداتية المخزّنة في أذهان أفرادها ، ونظام قواعد نشيط دقيق يرسم أسس تأليف أبجديّتها ، فاستوفت العربية حينها مطالب حضارة الشّعر، و لم تكن تلك القبائل مهمة للعالم من حولهم ، لذلك ما كان لها أن تحظى بالظهور والعناية ، أو تنال اهتمام من حولها ؟ لكن ما إن تجلّت رسالة الإسلام ، ونطق القرآن بحرفها ، حتّى تغيّر حال العرب وتحوّلت مراكز الرّيادة ، وكان لابد حينئذ من إعادة النّظر في هذه القومية والاهتمام بلغتها .*

حدث كلّ ذلك في غفلة عن أنظار العالم والأمم المجاورة ، مع عزلة العرب في جزيرتهم ،وربّما هي المعجزة التي حفظت القرآن ، هي التي أحاطت بلغته ، وخصّتها بالعناية وجعلتها تنمو في خفاء وتستّر، وبمواصفات القوة والمتانة " وقد وفّر الله تعالى من الحكمة بحفظها وجعل فضلها غير مدفوع ." [2] رغم كلّ تلك المعطيات الموضوعية لنمو اللغة العربية بهذا الوصف ، إلاّ أنّ هناك من يسلّم " بأنّها حادثة كونية من خوارق النّظام الطّبيعي." [3] والقرآن الكريم معجزة هذه الرسالة قد جاء على نحو من" البلاغة والإعجاز، جعل محاكمتها مستعصية على بلغاء العربّ على مرّ التاريخ ، كما جعل فهمها ووعيها وفقهها مستعصيا بأية لغة أخرى غير العربية ." [4] وهو ما فرض نهضة اللّغة ، وربطها باستمرار بحياة الرّسالة ، تلك هي القضية التي آمن بها العرب منذ فجر الرسالة ، فهبّوا لحمية الدّين ، الذي جاء فميّزهم بأن اختار لغتهم ومنعها "على الدّهر أن تضمحّلّ أو تتشعّب ، فتصير إلى ما انتهت إليه لغات الأمم من تباين اللّهجات ، واختلاف

---

[1] ابن جني: الخصائص، ص202.

* مثال اللغة الانكليزية التي حازت مركز الصدارة ، ونالت اهتماما متزايدا في العصر الحديث بسبب سيطرتها على العلم والابتكار .

[2] ابن السّرّاج : **الأصول في النّحو** ، ت عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرّسالة ، ط 3 ، ت ط 1996، ج1 ، ص525.

[3] الرّافعي : تاريخ آداب العرب ،ج1 ، ص79.

[4] محمد عمارة : **الإسلام والعروبة و العلمانية** ، دار الوحدة ، لبنان، ط1، تط1981 ، ص31 .

مناحي الكلام ." [1] و" اللغة أداة ذات أهمية بالغة في الحضارة ،إنّها شيء لا غنى عنه . "[2] فقد علم العرب بوحي وإيعاز من حضارتهم ، وجه التقابل بين بناء الدولة ، وقوة المقومات التي تقوم عليها ، ومنها المقوم اللغوي فقال ابن حزم : " إنّما يُقيّد لغة الأمة وعلومها وأخبارها قوة دولتها ونشاط أهلها وفراغهم . وأمّا من تلفت دولتهم ، وغلب عليهم عدوّهم ، واشتغلوا بالخوف والحاجة والذلّ وخدمة أعدائهم ، فمضمون منهم موت الخواطر ، وربّما كان ذلك سببا لذهاب لغتهم ونسيان أنسابهم وأخبارهم ، وبيود علومهم وهذا موجود بالمشاهدة ، ومعلوم بالعقل ضرورة "[3]

تتمايز الأمم عن بعضها البعض بمقوماتها وتتصدّرها اللغة ، وهو ما فرض على العرب مرّة أخرى ضرورة استمرار حياة اللّغة ، لاستمرار حياة الأمة المعقودة سلفا بحياة الرّسالة ،فهو وجه التّكريم الذّي حظي به العرب قال تعالى : **(وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِك وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ)** [4] وهو شرف يليه سؤال وتكليف ، ومنه فالعربية لغة الشعر ، الذي هو في جاهليته أظهر مظاهر كمالها فهي لم تظهر في تلك الأشكال الشعرية حتّى تهذّبت " وصفيت وصارت إلى المطاوعة في تصوير الإحساس وتأديته على الوجه الأتمّ ؛ وهذا شأن لا يكون في لغة من اللغات إلاّ بعد أن تستقل طريقة تصريفها واشتقاقها ، ثم يتناولها التنقيح ثمّ يُجمع عليها في الاستعمال ؛ وقد جرت على ذلك لغة العرب العدنانية ؛ فإنّها انفصلت عن اللغة السامية التي تفرّعت منها ، ثم استقلّت طريقتها بالوضع والارتجال ، ثم أخذوا في تهذيبها وتصفيتها حتّى خرجت منها لغة مضر ومن هذه اللغة ، خرج الشعر ولا يتجاوز ذلك مائتي سنة قبل الهجرة . "[5] ثمّ إنّ لغة الشعر تلك هي لغة التّلقّي والوحي ، وستكون لغة العبادة والتّفقه والتّبليغ والتّلقين ونشر الدّين خارج الجزيرة ، ولن يحدث كلُّ ذلك إلاّ بلغة قوية " وليس كالعربية سبيلا إلى هذه الغاية ، لأنّها لم تكن لغة كأيّ

---

[1] الرّافعي : تاريخ آداب العربية ، ج1 ، ص82.

[2] ماريو باي : **أسس علم اللغة** ، ترجمة وتعليق أحمد مختار عمر ، مطبعة عالم الكتب ، مصر القاهرة ، ط 8 ، ت ط 1998 ص43

[3] ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، **الإحكام في أصول الأحكام** ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ج1، ص32.

[4] سورة الزخرف ، الآية 44

[5] الرّافعي : تاريخ آداب العرب ،ج3 ، ص15.

لغة ، وإنّما هي لغة تحمل العقائد وتحمل التّشريع ."[1] وهي اختيار ربّاني " فلا جرم كانت حرية بأن تكون مناط الإعجاز لأنّها الخِلقة اللّغوية الكاملة ، ولم تبخل العربية على مستخدميها بذلك فهي لغة قد قدّمت رمزها الإصطلاحي من حرف وكلمة وقاموسها اللّغوي حيث قبضت وعبّرت بألفاظها على كلّ ما درّت به حياة العرب من معان يعيشها العربي في جزيرته ، أمّا نظامها النّحوي فلا جدال في أن أحكمت بناءه اتفاقا مع أوضاعها ، وقدّمت فوق كلّ ذلك أفقا أعلى للغة الشّعر لأنّ قومها نبغوا في الشّعر وبرعوا فيه .

وإلى ذلك الحين لم تكن العربية لغة نامية أوفتية ، ولم تكن في بداية أطوار حياتها " بل كانت في أعلى السّلّم الطّبيعي للّغات المتطوّرة ."[2] فاستوفت العربية حينها مطالب حضارة الشّعر ذلك المطلب الرّوحيّ العظيم ، وتلك الموهبة الفطرية التي جُبل عليها العرب ، يقول الرّافعي في هذا السّياق " لا جرم كانت جزيرة العرب ، وكانت قبائل العرب ، وكانت لغة العرب سواء في سموّ الطّبيعة وتميّز الشّأن ، والنّزعة إلى الكمال الفطريّ ، في كلّ ما هو من معاني الفطرة ." [3]

المبحث الثالث: تقدّم لغة العرب ومسلكها بين التّغيّر والثّبات

نتساءل في هذا المبحث عن ما لحق اللغة العربية من تغيّر، فهل كان ذلك تغيّر مفروض تفرضه طبيعة اللغة النامية المتحرّكة على الدّوام ، أم أنّه لحن وفساد مرفوض كما رآه العرب أم هو نموّ وتطوّر مطلوب دعت إليه حياة العرب الجديدة ، في ظلّ الدين الجديد.؟

ولذلك فقد ارتبط أمر اللغة عند العرب بالسليقة ، تأتي كلمة السّليقة في المعاجم بمعان لغوية كثيرة ، منها سلق البيض على النّار أغلاه ، سلقه سوطا ؛ ضربه إلى أن نزع جلده ومنها السلائق ؛ وهي الأقدام والحوافر في الطّريق ، وفي معنى آخر سلقه بالكلام سلقا أي آذاه ومنها قوله تعالى : (**فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوهُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ**)[4] أي تمكّنوا منكم ببالغ الأذى ، خطيب

---

[1] عبده الرّاجحي: فقه اللّغة في الكتب العربة ، دار النّهضة ، بيروت لبنان ، د ط ، د ت ، ص11.
[2] الرافعي : تاريخ آداب العرب ، ص53.
[3] الرافعي : تاريخ آداب العرب ، ص78
[4] سورة الأحزاب ، الآية 19.

مِسلق بليغ ، والسِّلَقَةُ بالكسر المرأة السليطة الفاحشة ، والسليقة هي الطبيعة لاعن تعلّمٍ [1] أمّا السّليقة في اصطلاح اللّغويين فهي الطّبيعة والسّجية في اللّغة الأم التّي تكلّمها العرب في جزيرتهم ، وهي ترتبط بكلّ بما يكتسبه العربيّ الذي لم يختلط بغيره في بيئته سواء وافق العربية التّي نزل بها القرآن أم خالفها.[2]

الثابت أنّ سيبويه يورد نصوصا كثيرة تقوم دليلا على الفرق بين المتكلمين في زمانه ففي قوله: " هو منّا وليس منهم وإنّا لمختلفون." [3] هو بذلك يجعل متكلّمي العربية صنفين متمايزين.

وفي قوله :" سمعت من يوثق بعربيته من العرب يقول."[4] ثم قوله : " قال ناس يوثق بعربيتهم ."[5] المعنى أنّ هناك من يوثق بعربيته ، ومن لا يوثق به ، فمتكلّمو العربية صنفان.

وقوله: " وسمعنا العرب الفصحاء ."[6] فهناك غير الفصحاء ، ومنه فالمتكلّمون صنفان أحدهما فصيح والآخر غير فصيح ، وقوله : " فأجروه على القياس وقول العامة ."[7] و إذا كان هناك قول العامّة ، فلابدّ أن يقابله كلام قول الخاصّة .

كلّ هذه النصوص بما تحويه من مصطلحات مثل يوثق بعربيته ، العرب الفصحاء ،العرب الخلّص ، قول العامّة ، توحي لنا بالفروق بين المتكلمين ، وهي حال أوردتها كتب التّراث اللّغوي بكثرة ترمي إلى تبيّن أمر اللّغة ودرجة فصاحتها ، فالنقاء اللّغوي والفصاحة والسّليقة والطّبع مقاييس مطلوبة ، توفرّت للعرب الخلّص بمختلف لهجاتهم لكن " لمّا كثر الإسلام وانتصرت الدّعوة وانتشرت، حضر أكثرهم ، وسكنوا الأرياف ، وفارقوا البدو وخالطهم البأقي ، وامتزج كلامهم بمن

---

[1] الفيروزآبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب ، بن محمد بن إبراهيم ، **القاموس المحيط** ، مط دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 ، ت ط 1999 ، ج 3 ، ص333 .

[2] محمد حسن عبد العزيز : القياس في اللّغة العربية ، مط دار الفكر العربي ، ط 1 ، ت ط 1995 ، ص137.

[3] سيبويه : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، **الكتاب** ، تحقيق و شرح عبد السّلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي القاهرة ، ط 4 ، ت ط 2004م ، ج4 ، ص125 .

[4] سيبويه : الكتاب ،ج4، ص198.

[5] سيبويه : الكتاب ،ج4 ص128.

[6] سيبويه : الكتاب ، ج4 ،ص478 .

[7] سيبويه : الكتاب ،ج 4، ص127 .

جاوره من الأنباط وعاشروه من الأعاجم ، وعَدِم منهم الطّبع السّليم الذّي كان قبل هذه المخالطة."[1]

ومنه فإنّ شدة تعلق القوم بلغتهم جعلهم يعتبرون أن كلّ " خروج عن النّمط وتجاوز للمسطر المرسوم وعدول عن القاعدة السّكونية إلى السّنة المتحركة المتغايرة فسادا وقد سمّي التّحول فسادا ."[2] أحسّ علماء العربية هذا التغيّر واستشعروا أمره فقيل :" تجد العربيّ ينتقل لسانه من لغته إلى لغة أخرى ." [3] غير أنّ ذلك لحن وفساد مرفوض عند العرب الخلّص ومن تلاهم من حرّاس اللّغة القائمين بأمرها ، واللّحن مرفوض لأنّ لحن العربي خَوَرٌ في طبعه " وإسقاط الكلمة في حكم السهو خيرٌ من إثبات اللّحن في حكم العمد ." [4] اهتمت كتب النحو برصد مظاهر التغيّر ، وقدّمتها على أنّها أحداث مستنكرة مستكرهة فقد خطب الوليد بن عبد الملك في يوم عيد فقرأ في خطبته من قوله تعالى (**يَا لَيْتَهَا كانَتِ القَّاضِيةَ**)[5] بضم التاء فقال القاضِيةُ قال عمر بن عبد العزيز : عليك وأراحنا منك [6] قال أبو حاتم الرّازي :"وقد كان لسان العرب فسد حين تعرّبت العجم واختلطت اللّغات ولحن أكثر النّاس في كلامهم ." [7] إلاّ أن هذه المسألة تحديدا تتعدّد زوايا النّظر فيها ، فما يراه القدماء فسادا ، يجعله المتأخّرون تغيّرا طبيعيا في حياة اللّغة ، من ذلك أنّه لو تمّ تخطّي حدود الزّمن ، والتّمديد في زمن السّماع لكان يمكن أن تتغير المدوّنة التّي أسّست عليها قواعد النّحو ولكانت اللّغة في تغيّر مستمر، ومنه فإنّ تغيّر اللّغة ليس فسادا فيها ، وأنّ الشّعراء القدامى ليسوا أحقّ من المحدثين بالرّواية عنهم ."[8] سجّل القدماء هذا التغيّر وعرفوا

---

[1] البغدادي: عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، ت عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ت ط1969 ،ج1 ص204.

[2] عبد السّلام المسدي : التّفكير اللّساني ، ص94 .

[3] ابن جنّي : الخصائص ، ص317.

[4] الرافعي : تاريخ آداب العرب ، ج1 ، ص102.

[5] سورة الحاقة ، الآية 27 .

[6] الرافعي : نفسه ، ص207

[7] الرّازي : الزينة ، ج1 ، ص82.

[8] حسن حمزة : الوحدة والتنوّع في النّظرية النّحوية العربية دراسة ومعجم ، مكتبة لبنان ناشرون ، الطبعة الأولى ، ت ط 2012 ص82 .

أسبابه ، روى الجاحظ عن ابن المناذر قوله : " ألا ترى أنّ أهل المدينة لمّا نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم ولذلك يُسمون البطيخ : الخِربِزْ ، ويُسمون السميط الرّزدق ، ويسمون المصوص المزور ، ويسمون الشطرنج الإشترنج ، في غير ذلك من الأسماء ، "[1] ويضرب الجاحظ المثل بتغيّر لسان أهل الكوفة بسبب مخالطتهم للفرس فهم يسمون " المسحاة بال ، وبال بالفارسية ، ويسمون الحوك : الباذروح والباذروح بالفارسية ، الحوك كلمة عربية "[2] والأمر نفسه مع أهل البصرة التي تقع أدنى بلاد الفرس فلو علقت لغتهم بلغات الأمم المجاورة لحدث التغيّر لكن " أهل البصرة إذا التقت أربع طرق يُسمونها : مربّعة ، ويسميها أهل الكوفة الجهار سوك ،والجهار سوك بالفارسية ، ويسمون السوق والسويقة وازار ، والوازار بالفارسية . ويسمون القثاء : خيارا والخيار بالفارسية ."[3]

هذا الطرّح يدفعنا للتّساؤل هل كان قدماء العرب كلّهم على درجة واحدة من الفصاحة ؟ ولماذا اختلفت لغاتهم؟ ما الذي طرأ على اللّغة العربية بُعيد نزول القرآن الكريم ؟ لماذا تغيّرت الألسنة ؟ هل كان التّغيّر والتبدّل تطورا ونموا مطلوبا ، أم إنّه فساد مرفوض ؟ و هل كانت تلك هي طبيعة اللّغة التي تقتضي التبدّل والتّغيّر. ؟

تنبّه علماء العربية لهذا التغيّر فعند مجاورة أهل البلدة لأيّ أمة أخرى ، تتبدّل لغتها بشكل لا يخفى على الناس أبناء اللغة الواحدة ، ومن طبع العامة أنّهم يبدّلون الألفاظ في اللّغة العربية تبديلا ، فيبتعدوا عن أصل تلك الكلمة إلى شكل آخر من الأشكال ، والأكثر من ذلك يؤكد ابن حزم على رجوع لغات كثيرة إلى أصل واحد بقوله " إنّ الذي وقفنا عليه وعلمناه يقينا أنّ السريانية والعبرية والعربية . التي هي لغة مضر وربيعة لا لغة حمير . واحدة تبدّلت بتبدّل مساكن أهلها فحدث فيها جرس كالذي يحدث من الأندلسي إذا رام لغة أهل القيروان ، ومن القيرواني إذ رام لغة أهل الأندلس."[4] والسبب عنده هو مجاورة تلك الأمم لأمم أخرى تخالفها فتبدّل الناس ألفاظ اللغة

---

[1] الجاحظ : البيان والتبيين ، ص19.

[2] الجاحظ : نفسه ، ص19 .

[3] الجاحظ : نفسه ، ص20.

[4] ابن حزم : **الإحكام في أصول الأحكام** .ج1 ، ص31 .

تبديلا ، وذلك بتغاير الأزمان واختلاف العوامل التي تدور عليها حياة الأمم ، ومنه فإنّ عرب الجزيرة أيضا قد بدّلوا ألفاظ لغتهم ، واختلفت ألسنتهم حين ظهرت عوامل جديدة في حياتهم الاجتماعية والفكرية والدينية ، وكان من نتائج ذلك حالتي تبدّل بارزتين، ظهرتا ظهورا جليا دونتهما كتب التراث ومعاجمه **الأولى** هي **الفساد واللّحن** على ألسنة النّاس والعامّة "ونحن نجد العامّة قد بدّلت الألفاظ في اللغة العربية تبديلا "[1] سواء من الوفود المسلمة حديثا ، أو من العرب أنفسهم ، و**الثّانية** هي **النّمو والتّطوّر** الذي شهدته اللّغة العربية على جميع مستوياتها ، وأظهر مظاهر التّحول إثر ذاك ، ما عرفته العلوم والمعارف من مصطلحات زخرت بها كتب العلوم في صدر الحياة الإسلاميّة ، وهو تطوّر ايجابيّ خاصّة وأنّ لغة القرآن الكريم تواتي أذواق العرب وتقدّر إحساسهم بمعانيه ، فكان القرآن يكتفي باللّمحة الدّالّة والإشارة الخاطفة ، وإثارة روح التّطلّع إلى المعاني الكامنة وراء الألفاظ ، وكان الدّافع إلى ذلك الحاجة ، فبسبب تطور الحياة الاجتماعية والعلمية ازدادت الحاجة للمصطلحات، وكانت اللّغة تنمو نموا سريعا إن على صعيد لغة العامّة ، أو على صعيد الفصحى ، وقد تُرك الاتجاهان معا لسنّة التطور الطّبيعي ، وكلّ واحدة وما تطعّمت به ؛ أمّا الفصحى فقد نمت نموا مطلوبا مستحسنا ،لأنّ أوّل وأكبر رافد لها كان القرآن الكريم ، وكان فضله غير مدفوع سواء في ذلك الزّمن بما أمدّ به اللّغة، وأرفد به الحياة الحضارية الجديدة من مصطلحات فاغتنت به المعارف والعلوم . أو بما دخلها من اللّغات المجاورة بكلّ الطرق السليمة لنمو اللّغة . أمّا لغة العامّة فقد تغيّر وجهها هي الأخرى بما هو سنّة في حياة اللّغة ونصيب مفروض، لكنّه مرفوض من طرف العلماء وأهل النّظر، لأنّ طرق النمو قد جانبتها السّلامة.

" وقد كان لكثير من علماء الفكر العربيّ الرّؤية الموضوعية ممّا أنطقهم بقانون التّغيير اللّغويّ في أجلى عباراته ."[2] منهم العلاّمة ابن خلدون في حديثه عن قانون الغلبة وقد جعلها "

---

[1] ابن حزم : الإحكام ، نفسه ، ص32.

[2] عبد السّلام ا لمسدي: التفكير اللّساني في الحضارة العربية ، ص96 .

المحرك الحضاري والسّياسي في تطوّر اللّغة ، إذ تمثّل قانون التّداخل اللّساني طبقا لميزان القول في الصّراع السّياسي بين المجموعات اللّغويّة المتغايرة ."[1]

وإذا جئنا لإسقاط هذا القول على العربيّة في ذلك الزّمن وجدنا أنّ العربية الفصحى ، لمّا تطعّمت بالقرآن الكريم تفصّح أهلها ، وازدادوا ثراء ، وازداد لسانهم إحكاما بسبب سيطرة النّموذج القرآنيّ ، ففي هذه المرحلة حدثت أولى التّجوّزات في حياة اللّغة ، وتغيّرت مدلولات ألفاظ كثيرة وانتقلت من معناها القديم ، إلى معنى جديد يتّفق مع مقرّرات الدّين ، والعقيدة الجديدة مثل كلمات " مؤمن ، كافر، مسلم، منافق ، صلاة ، حج " وبذلك فقد كان القرآن حدثا ضخما في حياة اللّغة العربية الفصحى . وهي كلمات إسلامية رفعت من بنيان العربية [2]

ويقصد بهذا النّمط كلّ الكلمات التّي دخلت استعمال العربية بعد الفتح الإسلامي ، التي تعرف بالألفاظ الإسلامية ، ذكرها ابن فارس في باب الأسباب الإسلامية وتحدّث فيه عن تغيّر فكر القوم من إرث أحاديث الجاهلية ، إلى مسائل فقهية تخصّ شؤون الحياة الجديدة كالمنبرية والمشتركة والمباهلة والأكدرية والغرّاء وهي أمورفي الفقه ، فتعجّب ابن فارس من أمرهم وذكر في سياق ذلك قوله : " ونقلت من اللّغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر وكان ممّا جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق ." [3] وعهدهم بها لمعانٍ أخر، الكفر التي دلت قبلا على الغطاء والسّتر، والصلاة التي دلّت على الدعاء ، والمحور في ذلك هو القرآن والعربية فالتاريخ الإسلامي " أحيا ألفاظا كانت نسيا منسيا وأمات مفردات عديدة كانت تصول وتجول في الميدان ، ولم يقتصر على ذلك بل عمل على توحيد معاني ألفاظ لا تحصى ، وأطلقها في النّاس واضحة الدّلالة معروفة الاستعمال فوحّد بذلك لغتهم ، فرقّاها ." [4]

---

[1] عبد السلام المسدّي : المرجع السابق ، ص 555.

[2] عبد العال سالم مكرم : التعريب في التراث اللغوي مقاييسه وعلاماته ، ، ص16.

[3] ابن فارس : الصاحبي ، ص79.

[4] راجي التهامي الهاشمي : مقال تأمّلات في استعمال اللغة ونحوها ، مجلة دعوة الحق ، العدد 1 ، ص79، 81

أمّا العاميّة فقد تُركت للعامّة يلوكون ألفاظها ، ويغيّرون أحكامها ، ويبدّلون ملامحها لا عن وعي وإرادة منهم ، ولكنّه حكم التّداخل الاجتماعي والاحتكاك اللّغوي الذّي يؤدّي إلى مثل هذه النتائج ، وفي جميع اللّغات ، ولا ريب أنّ اللّغتين متقاربتان ، ممّا جعل الأمر متداخلا. لذلك فإنّه ما إن اختلط اللّسان العربيّ بُعيد نزول الْقرآن الكريم ، وجاءت ضرورة بناء النّحو العربي ،حتّى هبّ علماء العربية للّغة يجمعون شتاتها ، وينقّون شوائبها ، وقد فطنوا لهذا الأمر فارتأوا ضرورة الفصل بين تلك المستويات اللّغوية ، وقدّروا أهمية الحفاظ على المرويات اللّغوية كما وردت ، بل قد دخلوا مرحلة التأليف من بابين اثنين ؛ الباب الأول يختص بجمع الفصحى وبناء قواعدها وتشييد نظامها النّحوي وهذا تشغله كتب النّحو عموما ، والباب الثّاني ظلّ يحارب الفساد اللّغوي أو الكلام الدخيل المرفوض ، ويخرجه ممّا صحت نسبته للعرب ، وارتأوا بذلك ضرورة الفصل ؛ أي فصل كلّ نوع عن الآخر ، وقد وردت إلينا في ذلك مؤلّفات كثيرة في لحن العامة منها لحن القدماء لأبي حمزة الكسائي ت191هـ ، لحن العامّة لأبي عبيدة ت209هـ ، لحن العامّة لأبي عثمان المازني ت248هـ ، لحن العامّة لأبي حاتم السّجستاني ت255هـ ، لحن العامّة لأبي حنيفة أحمد بن داود الدّينوري ت290هـ ، لحن العامّة لأبي بكر بن حسن الزّبيدي ت379هـ ، لحن الخاصّة لأبي هلال العسكري ت395هـ ،التّكملة فيما تلحن به العامّة ، وشفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدّخيل لأبي منصور الجواليقي ت465 هـ، درّة الغوّاص في أوهام الخواص للحريري ت516هـ ، غلطات العوام لإبن كمال باشا ت940 هـ ، لحن العامّة لأبي الفرج البغدادي ت 958هـ ، غلطات العوام للمولى مصطفى بن محمد ت 998هـ.[1]

وبقي التّأليف في علوم النّحو يدور بين حالين لا ثالث لهما ؛ الحال الأولى هي حراسة حدود الفصحى بتخريج مسائلها ، وإظهار أحكامها ، وتحديد حدودها ، وهو ما قام نحاة العربية القدماء وعلى رأسهم الخليل وسيبويه ، لأنّ " الخليل سيّد قومه وكاشف قناع القياس في علمه "[2]

---

[1] عبد العال سالم مكرم : التعريب في التّراث اللّغوي مقاييسه وعلاماته ،عالم الكتب ، د ت ، ص76.

[2] ابن جنّي : الخصائص ، ص285.

وقد أُكلت الدّنيا بأدب الخليل وكتبه ."[1] فلا مجال لعد مناقب الخليل " سوى أنه ضرب بسهم وافر في الدّراسات اللّغوية جميعها "[2] أما سيبويه فقد انتشر كتابه مشرقا ومغربا فهو إمام النّحاة " رائد في ميدان لم يطرق من قبل بمثل هذا الشّمول وهذه الدّقة ، وكتابه في النّحو لازال موردا يرده الظّمأى والحيارى ممّن شغفوا بالعربية وسحر بيانها ونحوها وصرفها وأصواتها ."[3]

والحال الثّانية تجتهد في إبعاد مخاطر اللّحن والخلط والفساد الدّخيل ، وتنقية شوائب اللّغة بما ظهر من كتب سبق ذكرها ، ولم يقتصر الأمر على زمن دون آخر بل قد شملت أعمال التنقية كلّ الأزمنة والعصور بدا ذلك من خلال ما تقدّم ذكره .

أمّا علماء اللّغة فقد أدركوا قيمة اللسان ، وأرادوا أن يقبضوا عليه في لحظة من لحظات التميّز التّاريخيّ ، لحظة رأوا فيها اللّغة تحظى بكلّ مواصفات القوة والعمق والتّفوّق والبروز ،إنّها **الفترة التّي اتّحدت فيها لغة الشّعر الجاهلي المتينة ، بالنّص القرآني المبين** ، وذلك تحت إمرة علماء نقاة ثقاة دوّنوا ألفاظها ، و قنّنوا أحكامها ، وصنعوا نحوها ، ثم هم لم يهتمّوا بكلّ ما كان على الألسنة ، ولم يهتمّوا بلغة العامّة التي يستخدمها أصحابها في كلّ شؤون الحياة ومظاهرها المختلفة في الزّمان والمكان ، " وإنّما هم يؤكّدون أنّهم يقعّدون لهذه العربية التي تصلح لفهم لغة القرآن ، فالبحث عن نقاء اللّغة وفصاحتها كان غاية من غاياتهم في الجمع اللّغوي ." [4]وبذلكّ هي اليوم تمدّنا بمفاتيح دائمة للقراءة السليمة للنّص القرآني خصوصا ،والنّص التّراثي عموما ، ولا أحد يستطيع إنكار هذا الأمر .

ونستطيع أن نبعد فكرة أنّ علماء العربية حينما وضعوا نحو العربية ، قد حدّدوا العربية بحدود ضيّقة ، لم تسمح لها بالتطور والنمو ، ولعلّها كانت خطوة محمودة لأنّ أبسط فضائلها أن أمدّت تّاريخ العربية بلغة قوية البنية، لغة بقاموس ومرجعية ثابتة محدّدة في دلالتها المركزية ، لغة

[1] ابن فارس : الصّاحبي في فقه اللّغة وسنن العرب في كلامها ، ص48 .

[2] إبراهيم أنيس : الأصوات اللّغوية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر ، د ط ، تط2013 ، ص101.

[3] محمد محمود غالي : أئمة النّحاة في التّاريخ ، دار الشروق ، د ت ، د ط ، ص57 .

[4] عبده الرّاجحي : النحو العربي والدّرس الحديث ، عن محمود أحمد نحلة أصول النحو العربي ، ص49 .

رغم نمّوها الدّاخلي ظلّت بمنأى عن الاختلاط باللّغات الضّعيفة ، أو الغريبة عنها ، تسعى دائما للحفاظ على نقائها ، لغة قابلة للنمّو والتّنمية ، وإذا كان هناك من نقص فبسبب المستعمل ، ولولا تلك الجهود الماضية " لمضت لغة العرب في سبيل ما تقدّمها ،ولماتت مع أهلها وكان من يظفر اليوم بحرف منها فقد أحيا شيئا من التّاريخ "[1] وهو ما ذهبت إليه الباحثة خديجة الحديثي التي أعظمت أمر علماء العربية ، وأثنت عليهم بالقول " لولا هؤلاء لأصبح شأن العربية . اليوم . شأن أجيالها الحاضرة وتراثها ، ولأصبح من يسمّى عربيا اليوم ، لا يستطيع أن يفهم كتابه ولا ما كتبه أسلافنا ، ولضاع الإسلام واندثر التراث وضاعت العربية بضياعهما."[2] لذلك فإن تدوين اللغة وتقعيدها في تلك المرحلة من مراحل حياتها يشكّل أكبر حدث في تاريخ العربية ، لأنّه خلّد ذكرها وأثبت مرجعيتها ، وجعل للمختلفين حولها ما يمكن الرجوع إليه " لتحاشي الشرود والشطط"[3]

ثم " إنّ صفات لغة من اللغات تظلّ قائمة طالما احتفظ أهلها بنفس عاداتهم في التفكير ؛ وإلاّ فهذه الصفات قابلة للفساد والاندثار والضياع ، ومن الخطإ أن نعدّ اللغة كائنا مثاليا تتطور مستقلة عن البشر . "[4] وإذا زالت كلّ الاعتبارات التي من شأنها أن تمكّن اللغة من البقاء حيّة بين متكلّميها يبقى اعتبار محتوى اللغة ؛ أي ما تحمله اللغة من مضامين وأفكار واهتمامات يعتزّ بها المستعملون لتلك اللغة ، والمثل في ذلك حمل اللغة العربية للقرآن الكريم [5]

المبحث الرابع: النظرية الخليلية والقياس وصفة الآلية .

نلتمس الرّأي في هذا المبحث من اللّساني عبد الرّحمان الحاج صالح ، الذّي ينطلق من الخليل ويجعله وسما لكل من سار على نهجه في سياق البحث النّحوي ، فلم يكن النّحو من صنيع الخليل وحده ، بل هو جهد لفيف من العلماء ساروا في فلك واحد ، انتقد بعضهم بعضا ، ليبني بعضهم بعضا ، وكانت العلوم ينسلّ بعضها من بعض ، لتظهر بذلك المعالم الكبرى للحضارة

[1] مصطفى صادق الرّافعي ، تاريخ آداب العرب ،ج1، ص 146 .

[2] خديجة الحديثي: تيسير النحو وبحوث أخرى ، منشورات المجمع العلمي ، ت ط 2007 ، ص426.

[3] فؤاد حنا ترزي ، أصول اللغة والنحو ، ص33.

[4] فندريس : **اللغة** ، تعريب عبد الحميد الدواخلي ، محمد القصاص ، مكتبة الأنجلو المصرية ، دت ، د ط ، ص433.

[5] فندريس : اللغة ، ص419.

العربية الإسلامية ، وميزتها الحضارية الشّاملة ، نقف منها على **الملمح النّحوي** أو ما أسميناه حضارة النّحو، " فأن يهتدي العرب إلى أخص خصائص الكلام فذلك أمر طبيعي ،بل لعله يكون عجيبا أن تعكف حضارة من الحضارات تدرّعت بسلطان العلم على ظاهرة اللّسان في ذاتها فلا تهتدي إلى نفس المحصول ." [1] وهذه منقصة كبرى ومعيرة لازمة ، إذ يُضرب القوم في صميم أفكارهم ، ومربط علمهم ، ولغة وحيهم ، فيُقال أنّهم لم يهتدوا لمعرفة خصائص لغتهم ، لكن هو التاريخ ؛ تاريخ العربية يُثبت أن العناية البالغة بالشعر والقرآن أثمرت نتائج قطعية ، هي ما يسمّى قواعد اللّغة التّي تأسّست على الكلام " وعلى كلام ذي خصائص بنيوية وفنية لاشكّ فيها." [2] وقد اتصف الدرس النحوي التراثي إجمالا بمجموعة مواصفات موضوعية جعلته يرقى إلى مصاف الصناعة العلمية الدقيقة ، وبكلّ مواصفات العلم المضبوط ، ولعلّ أظهر تلك المواصفات كما يذكر النحاة المحدثون صفات " **الموضوعية** ، **الشمول** ، **التماسك** ، **الاقتصاد** . "[3]

وبذلك فقد وضع النحاة للعربية منهجا قويما، وخاصّة بعد تدوينها الأوّل حيث إنّها اكتسبت منهجا خاّصا بها و تحوّل " النّحو العربي من الاعتماد على السّماع إلى الاعتماد على القياس عند معظم النّحاة . " [4] والحقيقة أنّ هذا التحوّل قد اقتضته طبيعة العمل في حد ذاتها لأنّ علماء العربية لجأوا " إلى السماع لجمع اللغة ، وإلى القياس لوضع النحو "[5] بذلك فقد تميّزوا تميّزا ظاهرا وعلى رأسهم الخليل صاحب أول معجم في العربية ، فقد فرض وجوده في قائمة العلوم قديما وحديثا ، خاصة أنّه حفظ للعربية وجودها بسبب أنّه كان واضح الأهداف وهو حفظ العربية في قالب علمي ، مع مراعاة الأصول التي بُنيت عليها ، ويمكن القول أنّ الخليل كان سيدا في الميدان إلى ذلك الزمن ، فقد قصر بعض معاصريه أعمالهم على " تصنيف الرسائل الموجزة

---

[1] عبد السّلام لمسدّي :التفكير اللساني في الحضارة العربية الإسلامية ، الدار العربية للكتاب ، د ت ، د ط ، ص

[2] حمّادي صمّود : التّفكير البلاغي عند العرب ، ص50.

[3] تمام حسان : الأصول دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، النحو ، فقه اللغة ، البلاغة ، مط عالم الكتب ، 2004 ، ص16.

[4] حسن خميس الملخ : نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين رسالة دكتوراه ، الجامعة الأردنية ، 1998 ، ص 21.22، نقلا عن رؤى لسانية في النحو العربي ، ص 208.

[5] فؤاد حنا ترزي: **في أصول اللغة والنحو**، مقدمة المؤلف ،

والمصنفات المختصرة ، التي تناولوا فيها موضوعا من الموضوعات كالإبل والوحوش ن والخيل والجراد والحشرات "[1] بينما سعى هو إلى " استقراء أقرب إلى ما يدعى بالإحصاء "[2] بكل ما تحمل كلمة إحصاء من معان علمية .

فكانت غاية النحاة وضع القواعد والأحكام والضوابط لغرض فهم النص القرآني ،وحفظ اللسان العربي من الضياع بعد أن استبدّ به اللحن ؛ لذلك انبرى الأوائل فاستنبطوا نظاماً ليكون حجة وهذا النظام هو أمر ملزم وسلطة حاكمة وشرع لا ينبغي مخالفته ، وإن كان الشرع في اللغة من اللغة نفسها ، وقد تمخض هذا المجهود عن مفهوم نظري غاية في الأهمية بل يعد أساس العمل النحوي وركيزته ألا وهو القياس. الذي يبدأ بملاحظة الظواهر اللغوية ثم تصنيف هذه الظواهر واستقراء عناصر جزئياتها بالمقابلة والحوار والاستنطاق، وينتهي بأن يحاول أن يستظهر القانون الجامع الذي يفسر الظواهر، ويستخلص الأحكام التي يجب اتباعها ، ويعدّ شاذاً إذا خرج عنها .

والعلاقة بين القياس النّحوي والقياس الفقهيّ وطيدة بسبب صفة التّلاحق ، بل التّطالب بين تلك الفروع المعرفيّة جميعها ، فبين اللّغة العربية وعلوم الدين خاصّة ، رابطة لا تنفصم عراها في مطلق الأحوال ، وهي رابطة قلّما توجد في حضارات العالم القديم والحديث بين لغاتها ودياناتها ، وقد بدأت الدّراسات اللغوية جميعها وفي جميع مناحي الحياة الفكرية والدينية والاجتماعية على أساس التّفكير الإسلامي ، فعلوم العربية ظهرت تدعو بعضها بعضا ، وتمدّ بعضها بعضا، وينسلّ بعضها من البعض ، كالبلاغة التّي طلبها إعجاز القرآن ، والنّحو الذي طلبه علم القراءات ، وتلك هي الحالة الصّحية ، والحركة الطّبيعية في هذا المجال "ولا يضرّ النّحو والنّحاة إذا كانوا تأثّروا بالفقه أو علم الكلام لأنّ تأثير العلوم بعضها في بعض أمر طبيعيّ ."[3] لا نحتاج إلى ما يبرّر هذا الطّرح طالما أنّنا إذا عدنا إلى الرّوايات ، وجدناها تثبت هذا الرّأي فهذا أبو عمر الجرمي

[1] الفراهيدي: أبوعبد الرحمان الخليل بن أحمد الأزدي ، **العين** ، تحقيق مهدي المخزومي و دت ، دط ، ج1 ، ج1 ، ص7 .

[2] الفراهيدي : العين ، ج1 ، ص7.

[3] حسن خميس الملخ . نظرية الأصل والفرع في النّحو العربيّ ، ص178.

ت225 هـ الذي كان محدّثا يجمع بين رواية أحاديث الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم ، وعلمه بالنّحو يقول : " أنا منذ ثلاثين سنة ، أفتي النّاس في الفقه من كتاب سيبويه ، فقيل له وكيف ذلك ؟ قال : أنا رجل مُكثرٌ من الحديث ، وكتاب سيبويه يعلّمني القياس ، وأنا أقيس الحديث وأفتي به . "[1]* ولم تك تلك مطالب العلوم وحدها بل هي مطالب فردية كذلك ، فقد ورد عن ابن الأنباري قوله إنّ :" جماعة من الفقهاء المتأدّبين ، والأدباء المتفقّهين ، المشتغلين عليّ بعلم العربيّة سألوني أن ألخّص لهم كتابا لطيفا يشتمل على ترتيب المسائل الخلافيّة بين الشّافعيّ وأبي حنيفة ؛ ليكون أوّل كتاب صنّف في علم العربيّة ."[2] أما السّيوطي في تأليفه لكتاب الأشباه والنّظائر فيقول :" أردت أن أسلك بالعربيّة سبيل الفقه "[3] ومن جهة أخرى ليس بغريب أن تتلاحم هذه العلوم أو أن ينطلق الدّرس الأصوليّ من أرضية نحوية تسعفه وتشدّ من أركانه طالما أنّه يمتلك أدوات القراءة " فالنّحو هو المعين الذي يعين الأصوليّ والفقيه للوصول إلى هدفه ." [4] وبالمقابل نجد من يقدم الفقه وأصوله على النّحو ، وهو رأي الغالبية العظمى ، ذلك أنّ النّحو قد اختلط اختلاطا ظاهرا بالعلوم الإسلاميّة ، منذ أن استقام عوده واكتمل بناؤه ، فتأثّر بالفقه وأصوله ، فكان أن اتّكأ على العلمين معا يقترض منهما مصطلحا أو تعريفا أو منهجا ، وإذا ألقينا بعض الإضاءة على المسار الزّمنيّ ، نجد أنّ علم أصول الفقه كان سابقا لأصول النّحو؛ ذلك أنّ أصول الفقه بوصفه علما مستقلا ، يختصّ بالقرآن والسّنة قد أصبح علما متكاملا في أوائل القرن الثالث للهجرة في الوقت الذّي ظلّت أبحاث علم أصول النّحو متناثرة في كتب النّحو، إلى أن تهيّأ له

---

[1] الّصفدي : صلاح الدّين خليل بن أيبك ، الوافي بالوفيات ، تحقيق وداد القاضي ، د ت ، د ط ، ج 16 ، 249.

* كما في العلوم الحديثة لا يتحدّث المختصّ في أيّ مجال علمي بدون تدقيق أو قياسٌ ؛ وإن اختلفت الطّريقة من علم لآخر ، الهندسة ، الفيزياء ، البصريات ، الرّياضيات ، الطّب ، وكذا تعتمد بعض العلوم الإنسانية على القياس.

[2] ابن الأنباري : أبو البركات عبد الرحمان بن محمد ، **الإنصاف في مسائل الخلاف** بين النّحويين البصريين والكوفيين ، مع كتاب الإنصاف في الإنصاف محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت لبنان ، دط ، ج 2 ، تط 1987 ، مقدمة الكتاب ، ص1.

[3] السيوطي : الأشباه والنّظائر ، عن الزّبيدي : سعيد جاسم : **القياس في النّحو العربي نشأته وتطوره** ، دار الشروق ، ت ط1997 ، ص14.

[4]عادل أحمد عبد الموجود : **التّوظيف الأصولي للنحو من خلال مباحث صيغ العموم** ، دار الكتب العلميّة ، ت ط2012 ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ص 121.122 .

رجاله ومنهم أبو علي الفارسي ، وابن جنّي ، وابن الأنباري [1] * ولئن كانت هذه العلوم تختلف غاياتها ، وتتباين مقاصدها ، وتتفاضل فيما بينها من جهات معيّنة ، فإنّها تلتقي في بعض الآليات التي ظلّت قابلة للإعارة بين العلوم مثل قضية التّأويل التي تجد أبعادا في العلمين معا ، وقد ثبت أنّ التّأويل قد ظهر في بيئة الفقهاء أوّلا ، ثم انتقل إلى العلوم الأخرى ، ومنها النّحو الذي لجأ إليه لردّ بعض الظّواهر اللّغوية إلى أصلها الذي لم ترد عليه ، وقد برزت قضية التأويل عند النحاة بروزا ظاهرا في سبيل تبرير القواعد التي تمّ اعتمادها ، وكذلك مسألة القياس ، فهو همزة الوصل بين العلوم جميعها ، لذلك كان القياس بمثابة الآلية التّي أخذ كلّ علم منها بطرف .*

وإذا كان القياس يشكّل الحجر الأساس في أصول النّحو " فإنّ هذه الفكرة نشأت في أحضان القياس الشّرعي ، ثمّ ترعرعت الفكرتان معا في أحضان المنطق ، ثمّ دوّنت أصول الفقه كاملة ، وصيغت صياغة منطقيّة ، وجاءت من بعد ذلك أصول النّحو مكتملة ناضجةّ على نحو أصول الفقه تماما ."[2]ما تذكر المؤلّفات في هذا السّياق ، فإنّ القياس النّحوي نشأ مقتفيا أثر القياس الفقهي الّذي اقتضته ظروف الحياة الإسلامية آنئذ ، لا بل إنّ " علم أصول الفقه من أكثر علوم الثّقافة العربية الإسلامية تأثيرا في علم أصول النّحو."[3] فقد استوجبت قضايا النّاس ومساءلاتهم المتجدّدة دوما ، أن ينظر الفقيه في مسائل سابقة ليقدّم الحكم في الأمور الحادثة والمتجدّدة ، وذلك عن طريق قياس هذه بتلك ، ويكون ذلك تتبّعا للأحكام الصّادرة عن الرّسول صلى اللّه عليه وسلّم ، والخلفاء الرّاشدين من بعده ، فهو قياس القضايا الجديدة على القضايا القديمة ، وإصدار الأحكام على منوالها ، فقالوا في تعريف القياس الفقهي "هو إلحاق أمر غير منصوص على حكمه بأمر آخر منصوص على حكمه بعلّة جامعة بينهما ، ولقد سمّاه بعض

---

[1] سعيد جاسم الزّبيدي : القياس في النّحو العربيّ ، ص11.

* لمعرفة التّأويل بين النّحاة والفقهاء ينظر في ذلك ظاهرة التّأويل وصلتها باللّغة ، السيد عبد الغفار ص56 وما بعدها

[2] حسن خميس الملخ : نظرية التعليل في النّحو ، ص167.

[3] أشرف ماهر محمود النّواجي : **مصطلحات علم أصول النّحو** ، دراسة وكشاف معجمي ، دار غريب ، القاهرة ، مصر ، د ط ، ت ط 2001 ، ص 67.

العلماء تفسيرا للنّصوص." [1] عرّفه أبو حامد الغزالي بقوله هو :" ردّ الشّيء إلى الشّيء بجامع." [2] " والأصحّ أنّه حمل معلوم على معلوم في إثبات حكم، أو نفيه، وبإثبات صفة أو حكم ، أو نفيهما ، وهو اعتبار فرع بأصل بجامع ."[3] ويجعل السيوطي النسبة بين الفقه وأصوله ، كالنسبة بين النحو وأصوله فيقول : " أصول النحو الذي هو بالنسبة إلى النحو كأصول الفقه بالنسبة إلى الفقه ." [4] أمّا القياس عند اللّغويين والنّحاة فهو " حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه." [5] ما يبدو من التّعريفين هو الاتفاق في الوسيلة والهدف والغاية ، لذلك لا ضرر أن ينتفع اللاّحق بالسّابق فالانتفاع ،والتّبادل ، ودوران المصطلحات من أبرز سمات صلة القربى بين علوم العربية عموما ، فقد " استفاد ابن جنّي و من بعده من علم الكلام ، والمنطق، وأصول الفقه ، ومصطلح الحديث ، استفادوا من المصطلحات ، من طريقة البحث ."[6] وإذ ثبت أنّ النّحو متأثر بالفقه فهو ما يوجب أنّ القياس النحوي متأثر بالقياس الفقهي ، والأثر متبادل وهو أظهر من أن ينكر *

ورّغم كلّ ما وجد من دواعي تقاطع علم النّحو بأصول الفقه ، فإنّ العلماء وفي مجال الاعتلال لقضايا كلّ علم يختلفون في طبيعة العلل التي يقدّمونها ،* وفي هذا السّياق يتحدّث ابن جنّي عن طبيعة علل العربية فيجعلها " أقرب إلى علل المتكلّمين منها إلى علل المتفقّهين وذلك

---

[1] ، كريم حسين ناصح الخالدي : **أصالة النّحو العربي** ، دار صفاء للنّشر ، ط1 ت ط 2005 ، الأردن ، ص11.

[2] الغزالي : أبو حامد بن محمد بن محمد ، **المنخول من تعليقات الأصول** ، تحقيق وتخريج محمد حسن هيتو ، دار الفكر ، ط ، دمشق ، ت ط1980 ، ص323 ، 324.

[3] نفسه ، ص324.

4 السّيوطي : جلال الدّين عبد الرحمان بن أبي بكر ، **الاقتراح في علم أصول النحو** ، ت ح محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشّافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 ، تط 1998 ، ص10.

[5] السّيوطي جلال الدّين عبد الرّحمان بن أبي بكر : الاقتراح في علم أصول النّحو، ص

[6] فاضل صالح السّامرّائي : ابن جنّي النّحوي ، ص142.

* نورد في هذا السياق قصة الفرّاء في مناظرة بينه وبين محمد بن الحسن الشّيبانيّ حين أفتى في مسألة فقهيّة ، قياسا على قاعدة نحويّة ، حيث امتحن محمدُ بن الحسنِ الفرّاءَ بقوله : "ما تقول في رجل صلّى فسها ، فسجد سجدتين للسّهو فسها فيهما ؟ ففكّر الفرّاء ساعة ثم قال: لا شيء عليه فقال له محمد : ولم ؟ قال : لأنّ التصغير عندنا لا تصغير له ، وإنّما السّجدتان تمام الَصلاة ، فليس للتّمام تمام . فقال محمّد :" ما ظننت آدميا يلد مثلك ينظر في ذلك وفيات الأعيان ، ج5 ، ص227 . وقد تم نقل النص عن سعيد الأفغاني : في أصول النحو ، المكتب الإسلامي ، بيروت لبنان ، ت ط 1987 ، ص105.

أنّهم إنّما يحيلون على الحسّ ويحتجون فيه بثقل الحال أو خفّتها على النّفس ، وليس كذلك حديث علل الفقه ." [1] إنّ نقاط التّقاطع والاشتراك كثيرة ؛ كاعتماد السّند والعناية برجاله في كلّ روايات اللّغة والحديث ، واستخدام الجرح والتّعديل ، مع وجود طبقات اللّغويين والنّحاة كطبقات المفسّرين والمحدّثين ، وهي كلّها مباحث متوسعة خارج سياق ما نحن فيه.

ولا شكّ أنّ النّظرة التّكاملية قائمة بين كلّ فروع المعرفة الإسلامية ، لذلك يذهب طه عبد الرّحمان إلى أنّ من " مبادئ التّكامل التّراثي ، مبدأ تداخل المعارف التّراثية فيما بينها "[2] وهذا التّكامل هو دوران للمعارف والآليات والمناهج ، بين كلّ تلك العلوم التي نشأت في فلك القرآن وقبل كلّ هذا وذاك ، فإنّ درس النحو الذي نشأ لحفظ القرآن ، قد نشأ كذلك لفهم القرآن وهو ما حدّد مسار درس النحو ، " ومن ثمّ فإنّ دراسة منهج النّحو عند العرب لا تكون صحيحة إلاّ مع اتصالها بدراسة العلوم العربية وبخاصة الفقه والكلام ."[3] ولابن الأنباري كلمته التي أوردها السيوطي في الاقتراح ، والتي يظهر فيها الحدود الفاصلة بين هذه العلوم فيقول:

" أصول النّحو أدلة النحو التي تفرّعت منها فروعه وفصوله ، كما أنّ أصول الفقه أدلة الفقه التي تنوعت عنها جملته وتفصيله."[4] وهذا القول هو المبرر لأن تأخذ العلوم في طريقها إلى الاختصاص بآليات تثبت ديمومتها، و تبرهن على احتكامها لقيم ومعايير مضبوطة ، ومنه يحق للعلوم جميعها أن تستعير أدوات بعضها ، وتمدّ بعضها بعضا.

---

[1] ابن جنّي: الخصائص، ص 77.

*لمعرفة العلاقة بين علل الفقه وعلل النحو ينظر في ذلك

. ابن جنّي: الخصائص ، ص وما بعدها 77.

. ابن الأنباري : لمع الأدلّة والإغراب في جدل الإعراب .

[2] طه عبد الرحمان ، تحديث المنهج في تقويم التّراث البيانات، المركز الثقافي العربي ، الطبعة 2 ، د ت ، ص75.

[3] عبده الرّاجحي : دروس في المذاهب النّحوية ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان ، ط2 ، ت ط 1988 ، ص10.

[4] السيوطي ، الاقتراح ، ص14 .

المبحث الخامس : التنمية اللغوية والاستعمال

أ طبيعة اللغة :

اللّغة منظومة اجتماعية ذات خصوصية فردية تظهر على ألسنة المتكلّمين، كما أنّها نظام مغلق من الإشارات والرّموز، وهو ما توصّل إليه علماء اللغة قديما وحديثا ، فحدّها أنّها " أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم ، هذا حدّها." [1] و" حدّ اللسان الحي الناطق المبين ،"[2] وجعلها المحدثون" نتاج اجتماعي لملكة اللسان، يتبنّاها الجسم الاجتماعيّ " [3] ولا سبيل إليها من غير التّدقيق في جوانبها الهندسية باعتبار منطقها الذي قامت عليه ، وبنيانها الذي تأسست عليه وهو تلك الشبكة من الكلمات القائمة على مجموعة الحروف والموزونة على صيغ قياسية معينة والتي تتحدّد دلالاتها من خلال استعمال المجتمع الذي يتكلّمها ، وكذلك من خلال ما تسمح به تلك اللغة من توسع وزيادة حسب طبيعة اللغة وقدرتها على التطور والتنمية .

هي لم تُخلق اللغة لتبقى في أبراج عاجية ، أو لتبقى مرصوفة في الكتب ، ولم تُخلق لتوضع في المتاحف خلف أعمدة الزجاج ، ولكنها وُضعت للاستعمال ، والمستعمل هو المجتمع وبما أنّ المجتمع يخضع لظاهرة التطور والتغيّر، فاللغة تتبعه في كلّ المراحل التي يمر بها فتتزيّا بزيّه ، وتقبض على كلّ الأحداث في تاريخ الجماعة اللغوية ، وبانتفاء الصفة المادية عن الظاهرة اللغوية ، تبرز اللغة بوصفها عملة ذهنية ونفسية واجتماعية " لها نفس المزايا التي للورق النقدي ، لكنّها مثله محفوفة بالأخطار "[4] غير أنّها متغايرة بتغاير الأماكن والعصور والأزمان والأذهان والتجارب والأحداث والأمم والمجتمعات ومن الصعب القبض على الحقيقة الكاملة للظاهرة اللغوية من خلال حقيقة واحدة من حقائق تلك العناصر المتقدمة ، بل تظلّ " خاضعة للحياة في تطورها الذي لا ينتهي إلى حدّ " [5] وهي بعد كلّ ذلك متأثرة بكل ما يحيط بها من حياة

---

[1] ابن جنّي : الخصائص ، ص67.

[2] الجاحظ : البيان والتبيين ، ج1 ، ص77.

[3] فرديناند دي سوسير: محاضرات في اللسانيات العامة ، ص 21.

[4] فندريس : اللغة ، ص6

[5] فندريس ، اللغة ، ص6 .

اجتماعية وسياسية ثقافية وفكرية ، كما تتحدّد دلالة اللغة من خلال رؤية و مفهوم المجتمع الذي يتكلّمها " ومن الباطل أن تَعتبر أنّ اللغة كائنا مثاليا يسير في تطوره مستقلا عن بني الإنسان متجها نحو غاياته الخاصة ." [1]

ب تقدّم اللغة :

التقدّم في حياة اللغة يتكوّن من أنّ اللغة تتلاءم وحاجات المتكلمين بها على خير وجه .[2] واللّغة لم توضع كلّها دفعة واحدة ، بل تنامت باستمرار حسب حاجات المتكلمين ومطالبهم ، في الزّمان والمكان ، وهو رأي من قالوا بالتواضع والاصطلاح معا ، بمن في ذلك ابن جنيّ و أبو علي الفارسي ، وغيرهما إلاّ أنّ " أوّل ما وضع منها وضع على خلاف ، وإن كان كلّه مسوقا على صحة وقياس ، ثم أحدثوا من بعد أشياء كثيرة للحاجة إليها غير أنّها على قياس ما كان وُضِع في الأصل مختلفا ." [3] النص الذي يظهر اختلاف أصول بناء اللّغات واختلاف القياس عليها بموجب ذلك ، يقر بإحداث كلمات كثيرة للحاجة إليها عندما تُملي ضرورة وهو ما اعترف به علماء اللغات فقال إبراهيم أنيس : " فليس من الضروري أن يكون لكل فعل اسم فاعل أو اسم مفعول مَرْوِيَيْنِ في نصوص اللغة ؛ فقد لا يحتاج المتكلّم أو الكاتب ألي كليهما في فعل من الأفعال فالمشتقات تنمو وتكثر حين الحاجة إليها ، وقد يسبق بعضها بعضا في الوجود ، ولهذا يجدر بنا ألاّ نتصور أنّ الأفعال أو المصادر حين عُرفت في نشأتها عُرفت معها مشتقّاتها ؛ فقد تظلّ اللغة قرونا وليس بها إلاّ الفعل وحده أو المصدر وحده ، حتّى تدعو الحاجة إلى ما يشتقّ منهما . " [4]

ففي اللغات تدرج وتتابع يعرفه الواضعون ؛ بمعنى أنّ كلّ نوع يلحق نوعه، وكلّ صنف يلحق صنفه ، لأنّ كل شيء كان يعتمد على القياس ولكي تستمر الظاهرة ، لابدّ من استمرار القياس

---

[1] فندريس : اللغة ، ص3.

[2] فندريس : اللغة ، ص433.

[3] السيّوطي : الاقتراح ، ص17.مع ابن جنّي: الخصائص ، ص326.وقد أخذ السيوطي النص عن ابن جنّي

[4] إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة ، ص53 .

فيها ، وبذلك تتحدد اللّغات وتتباين صفاتها وهويّاتها ، وهذا دليل قاطع على " ابتداء بعضها ولحاق بعضها به " [1] و ثمّة إشكالية أساسية تُحكم قبضتها على اللغة قبضا خفيا ،تتمثّل في طبيعة المستعمل والوعي بمعاني لغته وطريقة استعماله ، ففي غياب الوعي بالحقيقة الكاملة لقيمة اللغة في حياة الجماعة اللغوية ، ثم غياب المعرفة الكاملة بمعاني الكلمات التي تستخدمها الجماعة اللغوية ، تجد أبناء اللغة يستعملون بعض ألفاظها في غير ما وُضعت لها في أصل اللغة ، فقد أرجع الجاحظ الأمر إلى سبب هو من طبيعة المستعمل الذاتية منها ميله إلى الاستخفاف وتجنب الاستثقال فقال من أمثلة ذلك : " ألا ترى أن الله تعالى لم يذكر في القرآن **الجوع** إلاّ في موضع العقاب ، أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر. والناس لا يذكرون **السغب** و يذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة، وكذلك ذكر **المطر**؛ لأنّك لا تجد القرآن يلفظ به إلاّ في موضع الانتقام، والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر **الغيث** ." [2] فما يجري على ألسنة العامة أنّهم لا يتفقّدون ألفاظ اللغة ولا يميّزون ما هو أولى ، ولا يستخدمون اللفظ المناسب في المكان المناسب ، بل يلجأون إلى الأخف في الاستعمال ، وبذلك يجري الخطأ على ألسنة المستعملين .

فإذا جئنا إلى موضوع التنمية في اللّغة العربية ، فقد مرّت العربية بتاريخ طويل متمايز الأحداث والفترات وقد كانت بدايات التنمية الفعلية كما يقدّمها التاريخ ؛ تاريخ اللغة العربية فيها منذ عصر التدوين وذلك مع رؤبة والعجّاج * الشّاعران الرّاجزان فقد فرض عليهما الاستعمال إبداع كلمات لم تتلفظ بها العرب من قبل.

ثمّ مضت العربية تتقلّب من عصر إلى آخر دون أن ينقطع حرفها ، أو تُمحى معالمها أو ينتهي أمرها كما انتهى أمر لغات أخرى عاصرتها أو كانت قبلها ، ومع طلائع النّهضة العربية الحديثة وجدت العربية نفسها أمام امتحان آخر، شكّل منعرجا حاسما في تاريخها الحديث ، لقد

---

[1] ابن جنّي : الخصائص ، ص326.

*يأتي الحديث عن رؤبة والعجاج في موضوع ارتجال اللغة وابتداع ألفاظ فيها ،في مبحث الارتجال الفصل الثالث.

[2] الجاحظ البيان والتبيين ، ص20.

أقبلت الحياة الجديدة ومعها كلّ مستجد ، ومستحدث في شتّى مناحي الحياة ، ولابد على اللّغة أن تفي بأغراض المتكلمين وتسدّ حاجاتهم، وإلاّ ستكون " علامة لغوية معطّلة . "[1]

ولمّا كان هذا التّطوّر في حياة الجماعة اللغوية حاصل . لا محالة . والمفاهيم متجددة على الدّوام، وقعت الحاجة إلى استحداث اللّغة ، وكان الطلب ملحا خاصة مع طلائع النهضة العربية الحديثة ، وأمام هذا الظرف الطارئ في حياة اللّغة والجماعة اللّغوية ، ظهرت أصوات كثيرة تدعو إلى العامية وترى فيها الحلّ الأمثل لمواكبة العصر ، وفي المقابل فريق دعا إلى التّمسّك بالقديم والعودة إلى الماضي بكل ما فيه من علامات البعد عن الواقع ، والذّهاب في الماضي، وقام فريق ثالث مال إلى الاعتدال والتوسّط في الأمور، فهو يدعو إلى التنمية والتطوّر، ولكن في غير شطط وتجديد لا يفصل اللّغة عن جذورها ، بل يحافظ على كلّ أصولها القديمة ، ويحرص على تميّزها وبيانها ، ولا يخرج بها إلى الحوافّ ، وهو يريد أن يحميها من ابتذال العاميّة ، وهدير اللّغات المحكية ، وفوضى العاميات بما فيها من رطانة وتبلّد وانحراف ، ويصونها من الاقتراض المخلّ إلاّ للضرورة ، ويرقبها من سطو و تدخل اللّغات الأجنبية الغريبة ، ويمنعها من أن تذوب في غيرها من اللّغات ، فالمطلوب هو انفتاح تام لقبول كلّ الاشتقاقات اللّغوية الجديدة ، التي لا تخالف سنن اللّغة وقوانينها ، لكي يظلّ ينبوع الحياة جاريا ومتدفقا في أوردة اللّغة ، وتظل إمكانية القبض على ما جدّ في حياة النّاس قائمة على الدوام .

حين ألحّت الضرورة في الحياة الحديثة ، وفرض استعمال العربية نفسه على العرب ، كانت الحاجة " وهي العامل الثاني في تطوّر الدلالة " [2] تدفع إلى إحداث ألفاظ جديدة يقبض بها المتحدث العربي على مناحي الحياة ، عندها خبتْ أصوات دعاة العامّية ، وتضاءلت حظوظ دعاة الجمود ، وبرز الفريق الذي شمّر على ساعد الجدّ ، وراح يشقّ طريقا جديدا بآليات اللّغة القديمة فقام ينقّب في التّراث ، يستخرج ذخائره لينظر فيها ، ويتحرّى للمصطلحات الجديدة ألفاظا من

---

[1] هاشم محمد سويفي : المنظور المعاصر لنظرية القياس ، ودوره في تنمية اللغة العربية ، مقال ضمن مجلّة علوم اللغة ، دار غريب القاهرة مصر ، مج 4 ، العدد 2 ، تا 2001. ، ص37.

[2] إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، د ت ، د ط ، ص145.

بطون المعاجم تارة وذلك بإكساب المفردات أوالصّور اللّفظية القديمة معان جديدة مرة أخرى [1] والنماذج والأمثلة في ذلك كثيرة من ذلك ألفاظ : القاطرة ، الدّبابة الباخرة الهاتف ، المذياع ، السيارة ،الطائرة ، فهي صور لفظية قديمة ، لمعان حادثة مع العصر الحديث ، فكانت الألفاظ قديمة الصورة جديدة الدلالة ، أو بإحداث ذلك عن طريق التضمين ،والاشتقاق ، والتعريب ، والنحت ، والاقتراض تارات أخر.

وعلى العموم فإنّ عوامل تنمية اللّغة العربية كثيرة وسبلها عديدة ، يختلف العلماء في تحديدها وإقرارها بين الرّفض والقبول والإرجاء ، يحصى منها أحمد مختار عمر" الاشتقاق والتعريب والنّحت وإحياء الألفاظ القديمة ونقل المعنى " [2] ويرى غيره " القياس السّماع المعرب الدّخيل الاشتقاق النحت وما إليها كلّها من أقيسة اللّغة وأوضاعها العامّة "[3] ويضيف غيره الارتجال ويراه وسيلة فعالة ، وكذلك الأمر في التوسّع والإلحاق فهو من وسائل التنمية يُركّز البحث على جانب محدّد ، ورؤية تجعل القياس قانونا وآلة تُحرِّكُ مجموعة من والأدوات تُنتج المصطلحات، وهو الذي يتبدّى لنا من خلال السياسة اللّغوية التي انتهجها علماء العربية قديما ،والمجامع اللّغوية ؛ فبين ما يطلبه المستعمل المثالي من ضرورة إحداث اللفظ الجديد للقبض على ماجدّ في حياة الناس من معانٍ ، وبين ما تقدّمه اللغة من إمكانيات التوسّع الذاتية ، وما تقبله القواعد العلمية السليمة للتنمية في هذه الحدود ظلّت مساعي المجامع اللغوية تتقلّب بين التوفيق في تقديم المدد ، والعجز عن تلبية مطالب المستعمل أحيانا ، أمّا المستعمل ذاته في شريحته الواسعة ، فقد خضع لأوضاع جديدة أحكمت قبضتها على اللغة اليومية ، وظلّ ينأى بلغته اليومية عن جهود المجامع والهيئات التي اجتهدت في صبّ جهودها في قواميس للعربية الحديثة . وهو شأن آخر يخرج عن حدود البحث .

---

[1] صلاح الدين حسنين : حسين نصّار والصّناعة المعجميّة ، مقال ضمن مجلّة علوم اللغة ، دار غريب القاهرة مصر ، مج 5 ، العدد 3 ، ت ط 2002.، ص 203.

[2] أحمد مختار عمر : العربية الصّحيحة ، ص13 ، 18 .

[3] عبد العزيز مطر ، لحن العامّة ، ص64.

الفصل الأول:

القياس رهان عقول استبقت الزمن

المبحث الأول: القياس في فكر مدرستي النحو العربي

كان حديث البصرة والكوفة عند القدماء نوع من التميّيز لعلماء العربية على أساس جغرافي ،فهؤلاء بصريون وهؤلاء كوفيون ، وهو اعتبار مكاني في المقام الأوّل ، إذ من عادة الإنسان أن يُنسب للمكان ، أورد السيوطي في هذا السياق عن الفارابي قوله : " والذي نقل اللغة واللسان العرب عن هؤلاء ، وأثبتها في كتاب وصيّرها علما وصناعة هم أهل الكوفة والبصرة فقط من بين أمصار العرب ."[1] فتسمية البصرة والكوفة هي تمييز للكوفيين والبصريين، وتعريف لهم بالمكان الذي ينسبون إليه بالدرجة الأولى ، ثم تأتي الفروق المتعلّقة برؤية الاتجاهين* في تحديد قضايا النحو التي يتداولونها ، خاصة القياس الذي اختلف الاتّجاهان في استعماله .

لم يكن اصطلاح المدرسة ذاته من صنيع القدماء ، بل هو من وضع القراءات الحديثة للنحو العربي ، فهي التي دفعت إلى مثل هذا التقسيم الذي لا يخل من منفعة عملية ، حدّدتها زوايا النظر الحديثة ؛ تجسّدت في فرز الآراء النحوية واستقرائها ، ولعلّ شوقي ضيف كان رائد هذا الوضع من خلال كتابه المدارس النحوية ، ثم جرت التسمية على أقلام المحدثين الذين أضافوا شيئا من التأصيل لهذا التقسيم ، فتمّ تأليف كتاب مدرسة الكوفة لمهدي المخزومي، ومدرسة البصرة لعبد الرحمان السيد ، والمدرسة البغدادية لمحمود حسني محمود، المدرسة النحوية في مصر والشام لعبد العال سالم مكرم ، ومن ثَمَّ أصبح مصطلح المدرسة جارٍ على أقلام المحدثين ، وصار قولك مدرسة البصرة ، ومدرسة الكوفة ، والأندلس، وبغداد من البديهيات المسلّم بها في الدراسات الحديثة ، ولعلّ سبب هذا التقسيم الحديث يرجع إلى أصول قديمة ، منها ما ذهب إليه

---

[1] السيوطي : الاقتراح في علم أصول النحو ، ص34.

* في قضية الاختلاف بين الاتجاهين وهل هو اختلاف جوهري ، أم خلاف داخلي ؟ العودة في هذا لكتاب الوحدة والتنوّع في نظرية النحو العربي : مكتبة لبنان ناشرون ، تط 2012، الفصل الأوّل الخلاف ومدارسه في كتب المعاصرين ، ص13 وما بعدها ، وقد قدّم المؤلّف رؤية جديدة وتقسيما مختلفا للنحو العربي ، مع مطلع القرن الواحد والعشرين، يبدو فيه داعيا لتجنّب التقسيم ، والتمييز بين الاتجاهين أو الاعتقاد بوجود مدرستين ، لعدم تجانس المبادئ التي قام عليها التقسيم القديم والذي راعى المكان وتجاهل الزمان ، والرأي عنده أن يتم جمع النحو في مدرسة واحدة هي مدرسة النحو العربي التي تنوّعت أفكارها ، وتعدّدت أقسامها ، وتفرّعت أركانها بما لا يدعُ مجالا للسقوط .

ابن الأنباري حين وضع كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف الذي أظهر فيه مجموعة ما خالف فيه البصريون الكوفيين ، والمؤلّف ذاته لا يسعى للتفريق بينهما على أساس مذهبي ، بل على أساس تصوّر كلّ اتّجاه للقضايا الخلافية ، وغاية ما هنالك أنّه أجاب سائليه في المدرسة النظامية ، ولخص لهم " كتابا لطيفا يشتمل على أشهر المسائل الخلافية بين البصرة والكوفة . "[1] كما أن سيبويه ذاته لم يكن يشهّر بالكوفيين ، ولا متجاهلا لآرائهم ، كما أنّه لا يصرّح باختلاف مذهبيّ واضح ، ولا يبدو مُفاخرا باتجاهه البصري ، ويبدو ذكره للكوفيين تمييز للمكان وسرد لأفكارهم المخالفة له ، ونجده يبحث لها عن المبررات الموضوعية فقد قال في باب "هذا باب أيّ" : "حدّثنا هارون* أنّ أُناسا وهم الكوفيون يقرؤونها (**ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كلّ شِيعَةٍ أَيّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَانِ عِتِيًّا**)[2] وهي لغة جيدة ، نصبوها كما جرّوها حين قالوا: أمرُر على أيّهم أفضلُ فأجراها هؤلاء مجرى الذي إذا قلت : اضربِ الذي أفضلُ ، لأنّك تُنزِل أيّا منزلة الذي في غير الجزاء والاستفهام " [3] وينتقل سيبويه إلى الخليل فيقول : " زعم الخليل " [4] الشاهد في ما قدّمنا أن سيبويه لم يكن يميّز تمييزا مذهبيا، ولكنّه يعرض الآراء التي خالفته ويُمحّصها لا أكثر .

لذلك فإنّ إعادة النظر في هذه المسلّمات كثيرا ما يُثمر آراء وأفكار جديدة ، تستدعي الوقوف والرأي والتمحيص ، كما ظهر لنا هذا من خلال المؤلّف الحديث " الوحدة والتنوّع في نظرية النحو العربي لحسن حمزة " فقد كان متجاوزا لفكرة التقسيم على أساس المكان إلى تقسيم يعتدّ فيه بالزمن ويعتبره أهم من المكان .

---

[1] ابن الأنباري : الانصاف في مسائل الخلاف ، أبو البركات عبد الرحمان بن محمد ،**الإنصاف في مسائل الخلاف** بين النّحويين البصريين والكوفيين ، مع كتاب الإنصاف في الإنصاف محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت لبنان ، د ط ، ت ط 1987 ، ج1 ، مقدمة الكتاب .

*هارون هو هارون بن موسى القارئ الأعور النحوي ، صاحب القرآن والعربية ، كان يهوديا فأسلم ، وروى له البخاري ومسلم ، توفي في حدود السبعين ومائة الكتاب .

[2] سورة مريم ، الآية 69.

[3] سيبويه : الكتاب ، ج2 ، ص399.

[4] نفسه ، ص399.

اشتهر من علماء البصرة الخليل، فهو باكورة التأليف في النحو العربي ، سبقه جمع من شيوخ العربية من أمثال عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي ت117هـ ، و أبي عمرو بن العلاء ت- 154 هـ ، وعيسى بن عمرت 149 هـ ، ويونس بن حبيب ت182 هـ ، وهؤلاء جميعا مع من سبقهم كأبي الأسود أوّل من وضع نقط الإعراب في الرواية المشهورة عن الرّجل القيسي الذي يُحسن الكتابة ، وأصحابه عنبسة الفيل ، ونصر بن عاصم ، وميمون الأقرن ، وعبد الرحمان بن هرمز ، ويحي بن عمر ممّن وضعوا نقط الإعجام ، كانوا جميعا من أوائل رجال النحو ، ينسبون للبصرة حاضرة النحو آنئذ ، فهم من وضع اللّبنات الأولى لقواعد العربية ألا وهي نقط الإعراب ونقط الإعجام ، وهو ما يُعدُّ كشفا هائلا وخطوة أساسية في طريق النحو، فلهم جميعا فضل السماع ، والنظر، والتمحيص، والمناقشة، والدراسة والتحليل ، ولهم بعد ذلك مع من بعدهم من النحاة فضل وضع النحو؛ أو القانون الذي سيحكم العربية .[1]

نطرق حديث القياس من وجهة نظر الاتجاهين فالثابت " أنّ البصريين* كانوا مقدّمين على الكوفيين لقول أبي حاتم السجّستاني: " من أراد السنة والأمر العتيق في الدين وقراءة القرآن فليكن ميله إلى الحرمين وأهل البصرة ، فإنّهم أصحاب اقتصاد في القراءة وعلم بها وبعللها ومذاهبها ومجاري كلام العرب ومخارجها ، وكان منهم علماء الناس بالعربية وكلام العرب وكان منهم أبو الأسود الدّؤلي ."[2] والثّابت بعد ذلك " أنّ البصريين يتعبّدون الأقيسة ويقدّسونها ، أمّا الكوفيون فأصحاب قياس يطلقونه في كلّ مسألة ونحوهم كلّه قياس ."[3]

---

[1] خديجة الحديثي : تيسير النحو ، ص428.

*قدم أنس بن مالك على البصرة ، ولكنّ صحبته للرسول صلى الله عليه وسلّم كانت قصيرة لذلك فقد حال قصر الصحبة عن كثرة الرواية ، وقد تنوّعت الثقافة في هذه المدينة بتنوّع أجناسها من عرب ، وفرس ، ونبط ،ويهود ، وسريان ، ولكلّ طائفة من هذه الطوائف ما تحرص عليه من ثقافة تريد بثّها وإحياءها داخل المجتمع البصري الجديد ، لهذه العوامل مجتمعة كما يرى تمّام حسان اجتمع النقل مع العقل عند البصريين .

*يُنظر الأصول تمّام حسان ، ص31 ما بعدها .

[2] أبو حاتم الرّازي: الزينة ، ج1 ، ص 86.

[3] خديجة الحديثي : تيسير النحو وبحوث أخرى ، ص 421 .

تحدّدت وجهة نظر الاتجاهين وملمح عملهما من خلال اعتبارين هامين ؛ هما المكان الذي تؤخذ منه اللّغة ، وزمن أخذ اللّغة عن الأعراب ، أمّا الاعتبار المكاني فقد توجهت عناية عامّة **البصريين** إلى اللّغة التي يسمعونها من العرب الخلّص ، لأنّ نظام الكلام هناك محكم أشدّ الإحكام ، والعربي مخلص للسانه أشدّ الإخلاص ، وقد جُبلوا بالطبع وفُطِروا بالفطرة على السلامة اللغوية ، والعرب إجمالا يتوارثون الفصاحة ، فلا يخرجون في كلامهم الجديد عن سابقيهم ، بل إنّ العربي " يتصرّف في وجوه القول على حسب هذا القياس الذي خُلق فيه ، ورُكِّب في طبعه وكان مظهر قريحته."[1] من هنا توجهت عناية عامّة **البصريين** وأوّلهم سيبويه إلى اللّغة التي يسمعونها ، وأخذوا يقيسون على ما سُمِع ، ويجتنبون ما لم يُسمع إمعانا في تتبُّع كلام العرب قال سيبويه : " ولو قالت العرب أضربْ أَيٌّ أفضلُ لقلتَه ، ولم يكن بدٌّ من مُتابعتهم. ولا ينبغي لك أن تقيس على الشاذّ المنكر في القياس ، كما أنّك لا تقيس على أمْسَ أَمْسَكَ ، ولا على أتقولُ أَيقولُ ، ولا سائر أمثلة القول ، ولا على الآنَ آنك . وأشباهُ ذلك كثيرٌ." فقد تحدّد منهج سيبويه من خلال هذا النص ب :

- تقصّي كلام العرب والقياس عليه ؛
- حتمية تتبع كلام العرب لإثبات ما ثبُت وإنكار ما أُنكر؛
- عدم القياس على الشاذ والمنكر من كلام العرب ؛
- التمثيل بشواهد حيّة من كلام العرب .

وقد تمثّل إنجازهم في تحديد منابع اللغة ، ورصدها رصدا دقيقا ، فرُوعِيَت أصولها التي نُسِجت عليها قواعد العربية ، و عُرف هذا عن البصريين من خلال ما قدمته روايات السماع التي أفاض التراث النحوي في تفصيل أخبارها* فكان القرآن الكريم هو المرجع الأساس للتقعيد ، يُتبع بلغات أقرب القبائل العربية من القرآن الكريم فصاحةً وهي لغة قريش ، وقريش كانت أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ ، والأسهل على اللسان ، تختار من الألفاظ ما سهل النطق به حسُن سمعه ، وتقبّلته الأذن العربية السليمة ، ثم لابدّ أن يقوم بواجب الإبانة عمّا في النفس فيحقق

[1] الرافعي : تاريخ آداب العرب ، ص77.

المقصود الأول من الكلام وهو التواصل ، ذلك ما تحقّق في قريش بداية عهدها لأنها كانت على احتكاك مع كلّ قبائل العرب تتواصل معهم في شتّى مناحي الحياة ، وقد كان الكلام يفد إليها ، وكانوا يختارون " من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم ، فاجتمع ما تخيّروا من تلك اللّغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طُبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب ."[1] والخليل ذاته جمع مادة " العين وكلّ ما بنى عليه قواعد النحو واللغة . هو وشيوخه . على المسموع عن الأعراب "[2].

فالقبائل التي أخذ عنها البصريون تنتمي إلى بيئات مغلقة ، لم تشهد اختلاطا يفسد لغتها ، ويسبب هُجنتها ، وتحدّدت هذه القبائل هي الأخرى في كتب التراث النحوي ، كما ذكر السيوطي في الاقتراح في باب ما يحتج به من كلام العرب قوله عن الفارابي في كتاب الألفاظ والحروف الذي ذكر من العرب قريشا والقبائل التي عنها : " نُقِلت اللّغة العربية ، وبهم اقتُدِيَ ، وعنهم أخِذَ اللسان العربي ، من بين قبائل العرب هم : قيس وتميم وأسد ، فإنّ هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أُخِذ ومعظمه ، وعليهم اتُكِل في الغريب و في الإعراب ، والتصريف ، ثم هذيل ، وبعض كنانة وبعض الطائيين ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم ."[3] كما أنّ مسألة مكان أخذ الشاهد ونوعه كان محلّ خلاف بين الاتجاهين ، إذ توجّهت عناية البصريين إلى اعتماد مجموعة قبائل معينة من بطون شبه الجزيرة العربية ، وترك الكثير من كلام العرب ، بدعوى الاختلاط والفساد الذي حدث بعد الفتح الإسلامي. وهذا الأمر يُفاخر علماءُ البصرة به علماءَ الكوفة وسائر الأمصار، لأنّ " أهل الأمصار يتكلّمون على لغة النازلة فيهم من العرب ، ولذلك تجد الاختلاف في ألفاظ من ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر "[4] إجمالا ، وفي حكاية "أبي سعيد عبد الكريم بن رّوح" كما يورد الجاحظ ، أنّ أهل مكّة يُواجهون الشاعر البصري محمد بن المُناذر

---

*من الكتب التي قدمت روايات السماع عند البصريين والكوفيين ، نذكر الفهرست لابن النديم ، مجالس العلماء للزجاجي العمدة لابن رشيق ، خزانة الأدب للبغدادي ، كتاب الطبقات للزبيدي .

[1] ابن فارس : الصاحبي ، ص52 .

[2] خديجة الحديثي: تيسير النحو ، ص427.

[3] نص من كتاب الألفاظ والحروف للفارابي عن السيوطي : الاقتراح ، ص33.

[4] الجاحظ : البيان والتبيين ، ج1 ، ص19 .

قائلين : " ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة ، إنّما الفصاحة لنا أهل مكة " [1] فيُجيب ابنُ المُناذر بالقول : " أمّا ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن ، وأكثرها له موافقة ، فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم ، أنتم تُسمون القدر بُرمة وتجمعون البُرمة على بِرامٍ ، ونحن نقول قِدر ونجمعُها على قُدورٍ ، وقال الله عزّ وجلّ : (**وجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسيات**) [2]، وأنتم تُسمّون البيت إذا كان فوق البيت عُلِّيَةً وتجمعون هذا على علالي ، ونحن نسميه غرفة ونجمعها على غرفات وغرفٍ ، وقال الله تبارك وتعالى : (**غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ**) [3]وقال (**وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ**) [4]، وأنتم تُسمّون الطلع الكافور و الإغريض ، ونحن نسميه : الطلع ، وقال الله تبارك وتعالى : (**وزُرُوعٍ ونَخْلٍ طَلْعُهاَ هَضِيمٌ**) [5]، فعدّ عشر كلمات " [6] وهي كلمات ذكرها القرآن الكريم أوّل شواهد الفصاحة .

كما ورد عن أبي بكر بن دريد أنّ رجلا من الورّاقين في قال : " إنّما أخذنا اللّغة عن حرشة الضّباب وأكلة اليرابيع ، وهؤلاء أخذوا اللّغة عن أهل السّواد أصحاب الكواميخ ، وأكلة الشّواريز. "[7]

---

[1] الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج1 ، ص19 .

[2] سورة سبأ ، الآية 13.

[3] سورة الزمر ، الآية 20.

[4] سورة سبأ ، الآية 37 .

[5] سورة الشعراء ، الآية 148.

[6]الجاحظ : البيان والتبيين ، ج1 ، ص19.

[7] السّيرافي أبو سعيد : أخبا ر النّحويين البصريين والكوفيين ، تحقيق نخبة من العلماء ، مكتبة الثقافة الدينية ، دار المصري للطباعة ، ص69 .

*كَثُر رواة اللغة وقد ذُكِر منهم أبو البيداء الرباحي و أبوثروان العكلي اللذان اتّخذا التعليم مهنة لهما ، أبو مالك بن كركرة صاحب كتاب خلق الإنسان وكتاب الخيل ، أبو عرار ، و أبو زياد الكلابي صاحب كتاب النوادر ، والإبل ، وخلق الإنسان ، وأبو الشمح ، وأبو خيرة صاحب كتاب الحشرات ، وأبو الشبل العقيلي صاحب كتاب النوادر ، أبو محلم الشيباني صاحب كتاب الأنواء ، والخيل، وخلق الإنسان ،و أبو مهدية ، وأبو مسحل صاحب كتاب النوادر ، والغريب ، وعمرو ابن عامر البهدلي ،و مؤرَّج السدوسي صاحب كتاب غريب القرآن ، والمعاني ، أبوالعميثل صاحب كتاب التشابه ، والأبيات السائرة، لم يتقاضى هؤلاء شيئا في بداية عملهم ولكنّهم جعلوا من الرواية مهنة للتكسّب وقد أخذ عنهم اللحياني غلام الكسائي ، وخلف الأحمر ، وأبوعمرو بن العلاء الذي انتهت إليه عمادة الرواية في الربع الثاني من القرن الثاني للهجرة . يُنظر في ذلك مجالس العلماء للّزجاجي ، الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، الأشباه والنظائر للسيوطي ، عن فؤاد ترزي ، في أصول اللغة والنحو ،ص 48 ، 49 . ويُنظر في ذلك الفهرست لابن النديم .

والمعنى أنّ البصريين تحرّزوا من أطراف البوادي النائية البعيدة عن الحضر والمتاخمة للبلاد الأجنبية ، ونأوا عنها ليتجنّبوا لغتها في جمعهم " فلم يؤخذ عن حضري قطّ " [1] ولا من قبائل لخم ، وجُذام لمجاورتهم مصر والأقباط ولغتهم سريانية ، ولا من قضاعة وغسّان وإيّاد لمجاورتهم الشّام وهم نصارى يقرأون في صلاتهم بغير العربية ، ولا من تغلب ولا النمر فإنّهم مجاورين لليونانية ، ولا من بكر وقد جاوروا النبط والفرس ، ولا من عبد قيس وأزد عمان فإنّهم مجاورين للهند والفرس يخالطونهم ، ولا من ثقيف وسكان الطائف لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم ، ولا من سكان الحجاز بسبب مخالطتهم هم الآخرين لغيرهم ولقد تبيّن الفساد على ألسنتهم [2]. وقد كان الحضرمي يسعى إلى " إنشاء آلة نحوية لها من الاطّراد والبعد عن التوسّع والشذوذ ، ما يعصم الألسنة من الخطإ واللحن . " [3] ورفض تصديق الكثير من الشعراء ، وكان يسعى إلى تغليط كلّ من خالف قواعده التي أسس عليها بنيانه .

حرص البصريون على النقاء ، لأنّه أقوى عامل سيُبنى عليه القياس ، وقد أثبت نص السيوطي السابق كيف أنّهم جعلوا قلب شبه الجزيرة هو الأصل الذي تُأخذ منه العربية . وتُستثنى مكة والطائف لما فيهما من اختلاط ، بينما ظلّوا يبتعدون عن الأطراف المتاخمة للأجانب والتي احتكت مع الأمم المجاورة فأبقوها بعيدة عمّا يأخذون ، ورفضوا كلّ لغاتها لأنها قد اختلطت ولا جدوى من تنقيتها ، ولا مجال لاعتمادها مقياسا يقاس عليه ، فهي تُشكّل تحدّيا لهذا الهيكل البنيوي الذي اهتدوا إليه ، واجتهدوا في إقامة صرحه ، و إنذارا له بالهدم ، وتهديدا لطابع الصناعة والضبط الذي اتسم به منهجهم . [4]

الاعتبار الثاني في اهتمام علماء البصرة هو الزمان ؛ زمن أخذ الشاهد إذ لم يكن أمر الزمان أسهل ولا أهون من أمر المكان ، حيث راعى البصريون زمن الاحتجاج ، واهتمّوا بتحديده بدقة ، فكان العصر الأموي وبداية العصر العباسي أي منتصف القرن الثاني للهجرة آخر ما يحتج به

[1] السيوطي : الاقتراح ، ص33.

[2] السيوطي: الاقتراح ، ص33 ، 34.

[3] تمام حسان : الأصول ، ص33.

[4] تمام حسان : الأصول ، ص33.

؛ لأن حال اللغة قد تغيّر بعد هذا الزمن لما دخلها من فساد ولحن، والسبب الرئيس في ذلك هو حركة التداخل الاجتماعي بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية ، وعند هذه الحدود الزمنية رُفض كلام المولدين ، وظلّ خارج اهتمام النحاة .

واعترض المتأخّرون على الزمخشري حين فسّر أواخر سورة البقرة مستشهدا ببيت لأبي تمّام وهو من المحدثين .

لكنّه برّر ذلك بالقول " هو إن كان محدثا لا يُستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية ؛ فأَجعلُ ما يقوله بمنزلة ما يرويه . " [1] فكان اعتراضهم من سبيل " أنّ قبول الرواية مبنيّ على الضبط والوثوق ، واعتبار القول مبنيّ على معرفة أوضاع اللغة العربية والإحاطة بقوانينها ."[2]

أمّا الاستشهاد بحديث الرسول صلّى الله عليه وسلّم ، فرفض عند جمهور العلماء لأمرين : .

أوّلهما أنّ كلام الرّسول نُقل بالمعنى لا باللفظ كما قال ابن الضّائع في شرح الجمل " تجويز الرواية بالمعنى هو السبب عندي في ترك الأئمّة . كسيبويه وغيرة . الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث "[3] ، وقد قوبل هذا الكلام ، بالقول بأنّ النقل بالمعنى ، قد كان قبل تدوينه في الكتب وقبل فساد اللغة ، والغرض هو تبديل اللفظ بلفظ يصح الاحتجاج به فلا فرق بين اللفظين عند من يرى جواز الاستشهاد في اللغة بالحديث النبوي الشريف .

. وثاني الأسباب أنّ متقدّمي نحاة المَصرين من البصرة والكوفة ، وهم أوائل " الواضعين الأوّلين لعلم النحو ، المستقرئين للأحكام من لسان العرب . كأبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر، والخليل وسيبويه من أئمة البصريين ، والكسائي والفرّاء وعلى بن المبارك الأحمر ، وهشام الضرير ، من أئمة الكوفيين ، لم يفعلوا ذلك ، وتبعهم على ذلك المسلك المتأخرون من الفريقين ، وغيرهم من نحاة الأقاليم كنحاة بغداد وأهل الأندلس ."[4] ولم يحتجوا بشيء منه ، وقد قوبل هذا بالقول بأنّ

---

[1] البغدادي : خزانة الأدب ، ص7.

[2] البغدادي : خزانة الأدب ،ص7.

[3] البغدادي : خزانة الأدب ، ص10.

[4] البغدادي : خزانة الأدب : ص10.والاقتراح السيوطي ، ص29 ،30.

عدم الاستدلال بالحديث لا يعني عدم صحة الاحتجاج به ، وهو ما دفع بعض متأخّري النحاة إلى الاحتجاج به من أمثال ابن مالك وابن خروف .

أمّا الكوفيون فاتّجهوا للنّقل وعُرِفوا به ، وبرز منهم قراء ثلاثة هم" حمزة " و"عاصم " و" الكسائي" ، كثرت رواية الشعر بالكوفة وكان "المفضّل الضبّي "، "وأبو عمرو الشيباني" من الرواة البارزين في الكوفة قال أبو الطيب اللغوي : " الشعر بالكوفة أكثر وأجمع منه بالبصرة ، ولكنّ أكثره مصنوع ومنسوب إلى من لم يقله ، وذلك بيّن في دواوينهم ." [1] وقد أخذ **الكوفيون*** بهذا الكلام في المناظرات و**المحاورات** * التي أجروها مع البصريين ، ثم هم قياسيون كذلك ولكنّهم أخذوا عن القبائل التي تجنّبها البصريون فأثبتوها في كتبهم ، واتخذوا منها القياس .

ولا أدلّ على ذلك من كثرة النقل ممّا ورد عليهم ، لأنّهم لم يتركوا شيئا سمعوه إلاّ دوّنوه وتوسّعوا في الاحتجاج بلغات ضعيفة أخرى أبى البصريون الاحتجاج بها ، فما غلّطه البصريون وجعلوه لحنا وفسادا ورُفض بكامله ، جعله الكوفيون حجّة ، ومادة للدراسة والتقعيد ، ويتعلّق الأمر بالشعر الذي توسّعوا في روايته ، ولم يعتنوا كثيرا بفصاحته ، وأخذوا عن حمّاد الرّاوية ، وخلف الأحمر وهما معروفان عند أهل النقد بالوضع والانتحال .[2]

---

[1] أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين عن الأصول لتمام حسان ، ص38.

*من أشهر نزلاء الكوفة من صحابة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عبد الله بن مسعود الصحابيّ الجليل، تميّز بما حفظ عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم،فتوسعت جهوده مع تلاميذه (حمزة ، عاصم ، وأبي عمرو الشيباني ، والكسائي ، المفضّل الضبّي ، وأبي حنيفة النعمان ..) ، وظهرت في القراءات والرواية ؛ رواية الحديثة واللّغة والأدب وبها سيطر النقل على الكوفيين .

[2] خديجة الحديثي : تيسير النحو ، ص432.

* من أمثلة ذلك المجلس الذي رُويت فيه ما سمّاه النحاة المسألة الزنبورية ، فقد رُويَ عن مقدم سيبويه إلى البرامكة ، وقد عزم يحي البرمكي على أن يجمعه بالكسائي في مجلس الرشيد ، فدخل سيبويه صدر المجلس وبه جعفر والفضل ، ثم قدم الأحمر وسأل سيبويه مسألة أجاب سيبويه فقال الأحمر : أخطأت ، وسأله عن ثانية فأجاب سيبويه ، فقال له : أخطأت ، وعن ثالثة فقال له : أخطأت ، فقال سيبويه هذا سوء أدب ، قال الفراء : فأقبلت عليه فقلت إنّ في هذا الرجل حدّا وعجلة ولكن ما تقول في من قال : هؤلاء أبون ، ومررت بأبين ، كيف تقول مثال ذلك من وأبت أو أوبت قال : فقدّر فأخطأ ، فقلت أعد النظر فيه ،فقدّر فأخطأ ، فقلت : أعيد النظر ، ثلاث مرّات يُجيبُ ولا يُصيبُ . قال فلمّا كثر ذلك قال : لستُ أُكلمكما ، أو يحظر صاحبكما حتّى أناظره ، قال : فحظر الكسائي فأقبل على سيبويه فقال : تسألني أو أسألك ، ؟ فقال : لا بل اسألني أنت ، فأقبل عليه الكسائي بالقول : كيف تقول في : قد كنت أظنّ أنّ العقرب أشدّ لسعة من الزنبور فإذا هو هي ، أو فإذا هو إيّاها ؟ .

والحُجج التي يُطلقونها دفاعا عن آرائهم ، وجمعوا اللغة حتّى التي اختلطت أصولها في المناطق الحضرية ، وإذا تذكّرنا أنّ الكوفيين قد تتلمذوا على البصريين ، فالمعنى أنّ البصرة قد كانت سبّاقة إلى حقل النحو، وهي سبّاقة إلى القياس ، فلما جاء الكوفيون وجدوا " البناء قائما مكتملا والطريق معبّدة مطروقة . " [1] فإمّا أن يُكمّلوا ما بناه البصريون ، فيؤيّدوا طابعهم العقلي ، ويتناسوا منهجهم ، أوأن يحتفظوا بطابعهم النقلي ، فيخالفوا البصريين في أصولهم " وقد اختار الكوفيون الأصالة والخلاف " [2] وإن كانت أهداف البصريين واضحة جليّة ؛ وهي بناء هيكل نحوي لا يتقوّض ، فإنّ الكوفيين قد قصدوا إلى عدم إهدار نصوص اعتبروها فصيحة كما يذهب إلى ذلك تمام حسان .

وعلى العموم فإنّ تاريخ النّحو يشهد على أنّ البصريين هم من وضعوا أصول القياس النّحوي ، وأنّ المدرسة البصرية كانت تسعى إلى البحث عن جملة قواعد مطّردة اطّرادا واسعا في كلام العرب ، لذلك مالت إلى طرح الروايات الشّاذّة جانبا ، واجتهدت في تحرّي صحّة الاستقراء اللّغوي ، ورغم اختلاف المدرستين في استعمال القياس من حيث التقيّد والإطلاق ، إلاّ أنّ المفهوم الفعلي للقياس عندهما لم يتجاوز المفهوم الذي يتعلّق بوضع أحكام اللغة ، وذلك بسبب ارتباطهما بالسماع والرواية والتدوين ، ولا يتعدّى أكثر من ذلك كما ذهبت إلى ذلك خديجة الحديثي ، لكن يمكن القول أنّهم بصنيعهم هذا ؛ أي بسماعهم من الأعراب وغلقهم لباب الاحتجاج ، قد تخطّوا منهج الوقوف على السماع ، وأعدّوا النموذج الذي تُقاس عليه اللغة ؛ وهو القياس دون أن يتنكّروا لفكرة السماع ، فغلب على ظنّهم المزج بين السماع والقياس ، وقد ظهر هذا الأخذ بالمبدأين

. أجاب سيبويه فإذا هو هي ولا يجوز النصب ، ثم سأله ما تقول في فإذا عبد الله القائمُ أو القائمَ ، تمسّك سيبويه بالرفع دون النصب ، فقال الكسائي ليس هذا كلام العرب والعرب ترفع وتنصب ، قال يحي بن خالد البرمكي قد اختلفتما وأنتهما رئيسا بلديكما ، فمن يحكم بينكما ، قال الكسائي هؤلاء الأعراب على الباب قد اجتمعوا من كلّ الأمصار، وقد قبل كلامهم علماء المصرين فأدخلهم يحي وفيهم ابن ثروان ، وأبو فقعس ..ولمّا سُئلوا وقفوا مع صفّ الكسائي وساندوه الرّأي ، فأقبل يحي على سيبويه وقال له قد تسمع أيها الرّجل قال : فاستكان سيبويه ، فتدخّل الكسائي مع الوزير بالقول : قد وفد عليك من بلده مؤمّلا فلا تردّه فأمر له بعشرة لآلاف درهم ، فخرج سيبويه وجهة فارس ومات بها ولم يعد إلى البصرة . ينظر في ذلك الزجاجي أبوالقاسم عبد الرحمان بن إسحاق : مجالس العلماء ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، دت ، د ط ، ص9 ، 10 .

[1] تمام حسان : الأصول ، ص37.

[2] تمام حسان : الأصول ، ص37.

والمزج بينهما منذ " منتصف القرن الثاني الهجري عند الفراهيدي في العين ، وعند سيبويه في الكتاب . "[1]

و**الخلاصة** أنّ البصريين قد قرّروا " القياس على المشهور الصحيح الشائع ، وأبوا القياس على القليل النادر ، في حين أجاز الكوفيون القياس على الشاهد و الشاهدين ، أي توسّعوا في القياس وأباحوا النسج على القليل النادر." [2] وذلك هو أساس الخلاف المبدئي بين الاتجاهين فجمع البصريون لغة نقية لم يخالطها غير العرب الأقحاح من عرب البادية ، وجمع الكوفيون كل ما وصل إليهم ، ولم يستطيعوا التفريط فيه لأنّهم لا يريدون إهدار نص اعتبروه فصيحا .

ولاشك أنّ الصراع حول فكرة القياس قد بدأت تأخذ أبعادا أخرى بعد هذا الزمن من تاريخ النحو العربي .

المبحث الثاني: موقع القياس من العربية وعلومها

القياس آلة تتداولها علوم كثيرة ، وبسبب تداول هذه الآلية بين العلوم المختلفة ، سعى النحاة وعلماء العربية العاملين على بناء هيكلها النحوي إلى ترسيم حدوده ، وإثبات وقائعه بين اللغة ، وعلم النحو، وعلم أصول النّحو . يقرّ علماء العربية ويعترفون بصعوبة القياس ، ويذكرون توعّر مسلكه ، لأنّ العالم العارف بأمور اللغة يبدع ويفيد في أمور كثيرة لكنّه إذا رجع إلى القياس ليشتغل به وأخذ يصرّف ، ويشتقّ ويحدّد أصول الأفعال ومعاني الجذور اضطرب كلامه وخلّط .[3] وهذا ليس اتهاما لعلماء العربية بالعجز ، بقدر ما هو تنبيه على توعُّر سبل القياس ومشقّة إدراكه لدقّة أمره وقيامه على منطق الحساب .

---

[1] صافية زفنكي : المناهج المصطلحية مشكلاتها التطبيقية ونهج معالجتها ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق سوريا ، ت ط 2010 ، ص30 .

[2] صافية زفنكي : المناهج المصطلحية ، ص31.

[3] ابن جنّي : **المنصف** ،شرح تصريف المازني ، تحقيق ، إبراهيم مصطفى،عبد اللّه أمين ،مط مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط1، ت ط 1954.ج1 ، ص3.

فاهتم أئمة العربية منذ عهد الخليل وسيبويه ومن جاء بعدهما ، ممّن تفتّقت أذهانهم واستيقظت فطنهم ، اهتموا بالقياس وأولوه عناية كبيرة وتحدث أبو حاتم الرّازي بعدهما كلاما يلخص أهمية القياس بالنسبة لعلوم العربية إلى عهده وذكر علاقة ذلك بتعلم الحساب ، الذي تقوم عليه أمور كثيرة فقال : " جعلوه للغة العرب معيارا ، فإذا وجدوا اللّحن في كلامهم وزنوه به فقوّموه ، لأنّ اللّحن يزيل الحرف عن معناه ويحيد به عن سننه ، وليس هذا لسائر الأمم ، وهو علم جسيم ، له خطر عظيم ." [1]

فالعرب حريصون على لغتهم يقتاسونها ولا يفرّطون فيها ، ولا يخلّطون في استعمالها وكان ذلك حال حتّى بعض العامّة من مستعمليها ، ففي رواية يقدّمها ابن جنّي ، أنّ رجلا ذكر في كلامه جمال فلاة واسعة ، فقال متعجّبا " يحير فيها الطرف ، فقال آخر يلقّنه سرّا وكأنّه يخجل من خطئه في لغته فيقول له : يَحَارُ يَحَارُ ، ويعلّق ابن جنّي على ذلك بقوله : " أفلا ترى هداية بعضهم لبعض وتنبيهه إيّاه للصّواب. " [2] يدلّنا كلّ ذلك على العناية بالكلام ، والحرص على سلامته ، سواء تعلّق الأمر بكلام العامّة الذين يناشدون الفصحى ، أم بالعلماء الذين يسعون للقبض على نظامها ، وتتبع ما صحّ وثبت منها فقد ذكر الفارابي ت 350 هـ أنّه أنتخب في كتابه ديوان الأدب أحرى الأشعار بالذكر ، واختار أولاها بالقبول ، رغم كثرة المادة ، واختار للاستشهاد أحسن الأشعار المأثورة عن العلماء المتقنين لهذا الأمر، اعتمادا على صحة ما رووْا ، " علما أنّهم أخذوا من كلّ ألف واحدا ، ممّا ميّزوه بعقل صحيح ، ولبّ بارع ، وإيثارا للإتباع على الابتداع ." [3] فقد كان الفارابي وهو من علماء القرن الرابع ، لكنّه في حديثه عن أبنية العربية ، قد اعتمد ما جاء به أوائل علمائها ، فلم يبتدع واختار طريق الإتّباع حفظا للسان ، ودرءً للفوضى التي قد تُصيبه .

---

[1] الرّازي : الزينة في الكلمات الإسلامية ، ص83.

[2] ابن جني : الخصائص ، ص 202 ، 203 .

[3] الفارابي : ديوان الأدب ، تحقيق أحمد مختار عمر ، إبراهيم أنيس ، د ت ، د ط ، مجمع اللغة العربية المراقبة العامة للمعجمات وإحياء التراث ، ج1 ، ص75.

آمن علماء العربية بتميّز العربية عن سائر اللغات ورأوا أنّها " في غاية الضبط وإن وقع فيها اختلاف قليل فإنّه لا يُؤدّي إلى اختلالها واختلافها ، بل إن وقع خلاف رجع لوجه من القياس يقتضيه ومذهب واضح يقبله قانون كلامهم ويرتضيه . " [1] واستشفّوا بموجب ذلك قانونها الذي ترجع إليه قال أبو حاتم الرّازي أن للعربية " قانونا يُرجع إليه فيها ، ومعيارا يعتبر به ومقياسا يقاس عليه فإذا شرد عنهم حرف أو اعوجّ عن سننه ، أو اشتبه معناه رجعوا إلى قانونهم ، ووزنوه بمعيارهم ، واستعانوا عليه بمقياسهم ؛ فأقاموا درأه وقوّموا عوجه ، لكي لا يبطل معاني الأسماء ، فتَمحق عن اللغة وتدرسُ ." [2] وبذلك ترسّخت فكرة القياس من طبيعته الذّاتية ، وذلك كونه يعتمد على الدقة والحساب ، وقد بنيت العربية على هذا المنطق الحسابي قال الرازي في دفاعه عن بنية العربية وقيامها على منطق حسابي :" والمعيار بيننا وبينهم الحساب لأننّا اختلفنا في عدد الحروف ، والعدد هو الحساب ، والحساب هو الشاهد العدل الذي اتّفقت عليه الأمم كلّها ، ولم يختلفوا في أصله وبنيته كاختلافهم في سائر العلوم وهو من أجلّ العلوم . وعليه مدار أمر الدنيا والآخرة و به قام الدين." [3] وبذلك تأكدت للعرب فكرة مهارة صانع العربية " الذي لمّا أراد صوغها وترتيب أحوالها هجم بفكره على جميعها ورأى بعين تصوّره وجوه جملها وتفاصيلها ." [4] فبناها وأحسن بناءها على منطق قويم وحساب سليم يتماهى مع الدقّة والضبط والعدد والحساب ، ولذلك نطرق حديث القياس الذي كان آلة لصناعة العربية ، ونتحدث عن صمود هذه الآلة والجهاز النّحوي صمودا قويا ، بينما ظلّت ألفاظ العربية تتوالد وتنمو عبر كلّ الأزمنة والعصور وفق قوانين ثابتة ، وآليات محدّدة تضمن لها عربيتها الصّحيحة التي تكلّمها الأوائل وليست هذه الآلية إلاّ القياس ، فهل القياس آلة لتوليد اللّغة ، أم هو القانون الذي يحكمها ، أم هو دليل من أدلّة النّحو ؟

---

[1] أبو الطيّب الفاسي : فيض الانشراح ص857 ، عن محمد الخطيب : ضوابط الفكر النحوي ، ص419 .

[2] الرازي : الزينة ، ج1 ، ص82.

[3] الرازي : الزينة ، ج1 ، 80.

[4] ابن جنّي : الخصائص ، ص 88.

لا ريب أنّ القياس هو جلّ علم النّحو، وأصول النّحو معا ، فمعظم أدلة النّحو وشواهده مستنبطة به ، كما أنّ معظم علل أصول النّحو مستخرجة به ، والقياس آلة العربية ، فهو مثبّت نظامها ، وحافظ ثروتها ، وقد قال الكسائيّ إنّما النّحو قياس يتّبع و به في كلّ أمر ينتفع

جاء في التعريف اللّغوي للقياس قول ابن الأنباري : " اعلم أنّ القياس في وضع اللّسان بمعنى التقدير، وهو مصدر قايست الشّيء بالشّيء مقايسة ، وقياسا قدّرته ، ومنه المقياس أي المقدار ، وقيس رمح أي قدر رمح ." [1]

أمّا في الاصطلاح فهو في تعريف العلماء عبارة عن تقدير الفرع بحكم الأصل ، وقيل هو حمل فرع على أصل لعلة ، وهو إجراء حكم الأصل على الفرع ، وقيل هو إلحاق الفرع بالأًصل بجامع ، وقيل هو ردّ الشيء إلى الشيء بجامع ، وأورده صاحب المنخول في معناه الفقهي بالقول هو " رد الشّيء إلى الشيء بجامع وهذا فاسد ، والمحتمل هو اعتبار أصل بفرع والأصح ما قاله القاضي رحمه الله من أنّه حمل معلوم على معلوم في إثبات الحكم أو نفيه . "[2]

لا نكاد نفرّق بين النّحو والقياس لما بينهما من رباط وثيق ، سوى أنّ النّحو هو انتحاء سمت كلام العرب ، والنّحو قياس يتّبع ، بدأ النّحو بأبي الأسود ت 69هـ لأنّه " أوّل من أسّس العربية ، وأنهج سبيلها ، ووضع قياسها " [3] أمّا ابن أبي إسحاق الحضرمي ت117هـ فهو " أوّل من بعج النّحو ومدّ القياس والعلل ، وكان أشدّ تجريدا للقياس وكان هو والنّحو سواء وهو الغاية ."[4] لأنّه متأخر عن الأوائل ، أخذ عنهم ثمّ اعتنى بفتح باب القياس ، حيث قام برصد الظّواهر اللّغوية المطّردة في العربية ، وبدأ ينظر فيما يخالفها على أنّه الشّاذ الذي لا يعوّل عليه ، وتورد الكتب

---

[1] ابن الأنباري : **رسالتان الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلّة في أصول النّحو** ، أبو البركات عبد الرحمان بن محمد ،تقديم وتحقيق ، سعيد الأفغاني ، مط الجامعة السورية ، د ط ، ت ط 1957، ص93.

*ينظر المدخل ، العلاقة بين القياس الفقهي والقياس النحوي.

[2] أبو حامد الغزالي : محمد بن محمد بن محمد ، **المنخول من تعليقات الأصول** ، ت محمد حسن هيتو ، دار الفكر ، ط2 ، ت ط 1980 ، ص 322 ، 323 .

[3] القفطي : جمال الدّين أبو الحسن ، علي بن يوسف ، **إنباه الرّواة على أنباء النّحاة** ، القاهرة ،مصر ، مط عالم الكتب ، ط6 ، ت ط 1988 ، ص46، 47 .

[4] ابن سلام الجمحي : **طبقات فحول الشّعراء** ، تحقيق محمود محمد شاكر ، د ت ، د ط ، ص11.

قصصه الطّريفة مع الفرزدق ، الذي كان مولعا بالخروج عن الظواهر اللّغويّة المطّردة مراجعة يسوؤك وينوؤك [1] ، أمّا الخليل فذكر أبو سعيد السّيرافي أنّ الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي ت175 هـ قد كان الغاية في استخراج مسائل النّحو وتصحيح القياس. " [2] فالخليل رجل القياس هو نفسه رجل النحو.

وعرّف ابن هشام الأنصاري النحو بقوله : " النحو علم بأقيسة تغيّر ذوات الكلم وأواخرها بالنسبة إلى لغة لسان العرب " [3] وعرّفه ابن عصفور ت663 بقوله : هو "علم مستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكامه التّي ائتلف منها ." [4] كما نقل السّيوطي عن صاحب المستوفى قوله : " النّحو صناعة علمية ، ينظفر لها أصحابها في ألفاظ العرب من جهة ما يأتلف بحسب استعمالهم ، لتعرف النّسبة بين صيغة النّظم ، وصورة المعنى فيتوصّل بإحداهما إلى أخرى ." [5] ما يبدو من هذه النّصوص كلّها أنّ المفاهيم كانت متقاربة وأنّ علماء العربية اتّخذوا القياس وسيلة مطابقة بين حالتين :

الأولى: موجودة متعارف عليها وهي اللّغة التي تجري علي ألسنة المتكلمين الفصحاء ، فقد لاحظ العلماء نقاءها وعرفوا أهميتها ، ومن ثمّ سارعوا للقبض عليها كما هي ، وارتأوا ضرورة استمرار مجاراة العرب في كلامهم ، وعدم الخروج عن نواميسهم ، وطريقتهم في الكلام ، وهي قضية جوهرية في تاريخ اللّغة العربية كلّه ، والأخبار في ذلك كثيرة من ذلك مسألة همّك ما أهمّك ؛ التي أورد فيها الكسائي يجوز كذا وكذا ، فأجاب عيسى بن عمر :

---

[1] نزهة الألباب ، ص 12 بحث.

[2] السّيرافي :أبو سعيد ، أخبار النّحويين البصريين والكوفيين ، ص 31.

[3] السّيوطي : الاقتراح ص 15.

[4] السّيوطي : الاقتراح ، ص 15.

[5] السّيوطي : الاقتراح ، ص14.

" لا ، عافاك اللّه ، إنّما أريد كلام العرب ، وليس الذي تأتي به كلام العرب . " [1] فهو الحرص على عروبة اللغة في المقام الأوّل منذ عهدها الأول ، ونعلم الحدّة والصّرامة التّي قوبل بها كلّ من يتجاوز طريقة العرب في كلامهم ، والسّياج المنيع الذي أقيم على حدود العربية ، فيجب أن تحفظ كما سُمعت ولا يتمّ التّصرف فيها إلاّ بالوجه الذي ورد عليه كلام العرب الخلّص ، بل قد دفعهم حبهم للّسان العربي أن وصفوه بالشرف والبيان ، ووُصف غيره بالعجمة وعدم الإفصاح ، ولا أحد ينكر اعتناء العرب في شبه الجزيرة بلغتهم ومبالغتهم في تمدّحها وإعجابهم بدقّة وضعها ، ومهارة واضعها ، وصدّق العرب بفكرة أنّ من أخصّ صفات العربية أنّها لغة الإبانة والبيان ، وقد وصف اللّه تعالى العربية بالإبانة مرّات عديدة ؛

قال تعالى : **(لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)** [2]

و قال تعالى : **(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)** [3]*

وهو ما دعا علماء العربية إلى التشدّد في أمر العربية وجعلها أرقى اللّغات إبانة و بيانا ، لا بل راح بعضهم ينفي البيان عن اللّغات الأخرى ، تعصبا للغته ودينه الّذي نطق بها ، قال ابن فارس : " وإذا أردت أنّ سائر اللّغات تبيّن إبانة العربية فهذا غلط ." [4] فالدّاعي إلى رفض صفة البيان عن اللّغات الأخرى هو ما خصّ به اللّه عز وجلّ العربية من مقام نالت به التّشريف ، حين نطق القرآن بها ، قال ابن فارس : " فلمّا خصّ . سبحانه . اللّسان العربيّ بالبيان عُلم أنّ سائر

---

[1] الزبيدي : طبقات النّحويين واللّغويين ، ص36 ،37.

[2] سورة النّحل ، الآية 103.

[3] سورة يوسف ، الآية 2.

*. قال الله تعالى في مقام تكريم القرآن وترسيخ عروبته

. قال تعالى : **(وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا)** سورة طه ، الآية 113.

. قال تعالى: **(كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُه قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)** سورة فصّلت ، الآية 3.

. قال تعالى: **(وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيًا لَقَوا لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ)** سورة فصلت ، الآية 44

. قال تعالى: **(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّ لَهُمْ)** سورة إبراهيم ، الآية 4

[4] ابن فارس : الصّاحبي في فقه اللّغة وسنن العرب في كلامها ، ص 40 .

اللّغات قاصرة عنه ، وواقعة دونه ."[1] وذهب الفارابي في ديوان الأدب إلى تنزيه العربية من كلّ نقيصة وعيب قد اعتري اللّغات الأخرى فقال في اللّسان العربي الذي كان اختيارا ربانيا من جملة اختيارات كثيرة خُصّ بها الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد ابتأر الله تعالى للرسول من كلّ نفيس وفاضل من الأصل القرشي الشريف ، والزمان ؛ زمن العلم والبلاغة والفصاحة ، والأمة ؛ خير أمة أُخرجت للناس ، والاسم ؛ الذي جمع المحامد واللسان العربي فهو " هو المنزّه من بين الألسنة من كلّ نقيصة ، والمعلّى من كلّ خسيسة ، والمهذّب ممّا يستهجن أو يُستشنع ، فَبُني مباني بان بها جميع اللغات ، من إعراب أوجده الله له ، وتأليف بين حركة وسكون حلاّه ، فلم يجمع فيه بين ساكنين ، أو متحركين متضادين ، ولم يُلاق بين حرفين لا يأتلفان ، ولا يعذُب النطق بهما ، أو يشنعُ ذلك منهما في جرس النغمة وحسّ السمع كالعين مع الحاء ، والقاف مع الكاف ، والحرف المطبق مع غير المطبق ." [2] وتلك كلّها علامات مازت العربية عن غيرها من اللغات ، أمّا أبو حاتم الرّازي ؛ فقد حدّد أفضل ألسنة الأمم في زمانه إجمالا ، والتي هي العربية والعبرية ، والسريانية ، والفارسية ثمّ فضّل العربية على سائر اللغات بقوله : " إنّ أفضل اللّغات الأربع لغة العرب وهي أفصح اللّغات وأكملها وأتمّها وأعذبها وأبينها . ولم يحرص النّاس على تعلّم شيء من اللّغات في دهر من الدّهور، ولا في وقت من الأوقات كحرصهم على تعلّم لغة العرب ." [3] وعبّر عن رغبة كل الأمم في زمانه وقبل زمانه في ترجمة علومهم إلى العربية والأخذ عنها وعدم رغبة أهل القرآن في ترجمته إلى لغات الأمم الأخرى ، وقد تعذر الأمر " لكمال لغة العرب ونقصان سائر اللّغات ." [4] وهو ما حدا بعلماء العربية الأوائل إلى الإعلاء من شأنها واعتبارها من الممتنع الذّي لا يبارى ولا يجارى ولا يتكرّر، واللّغات كلّها منقادة لها ، تنهل منها وتستقي من معينها ، ويجتهد أقوام كثيرون في تمثّلها على ألسنتهم .

---

[1] ابن فارس : الصّاحبي في فقه اللّغة سنن العرب في كلامها ، ص 40.

[2] الفارابي : ديوان الأدب ، ج1 ، ص72.

[3] الرّازي : الزينة ، ص73.

[4] الرّازي : الزينة ، ص75 .

ومن المحدثين من يساند القدماء الرّأي ، ويرى العربية هبة واختيارا ربّانيا ، تميّزت بالكمال الفطريّ الذي أهّلها لتلقّي الرّسالة الإلهية وتبليغها ، والإحاطة بعلوم حضارته يقول الرافعي :" فلا جرم كانت حرية بأن تكون مناط الإعجاز لأنّها الخِلقة اللّغوية الكاملة . "[1] أمّا مازن المبارك فيقرّر مصادرة وإجمالا بتميّز العربية عن سائر اللغات بسبب القرآن الذي ألبسها ثياب التّشريف والخلود فيقول : " و في ضوء هذه الحقيقة نحكم للغة العربية بمغايرتها لسائر اللغات ." [2]

على الرغم من وجود هذا الاتّجاه الذي يمجّد العربية ، ويسمو بها فوق لغات البشر ، فإنّ هناك من يرفض الرّأي ويصفه بالوهم ، منهم ابن حزم الذي وصف بالتوهّم كلّ قوم يزعمون أنّ لغتهم أفضل اللّغات وذلك لا معنى له في ظنّه طالما أنّ وجوه الفضل معروفة ، وإنّما التّمايز بين اللغات يكون بعمل أو اختصاص وليس من صميم عمل للغة ، ولم يأت في نص تفضيل لغة على لغة ، وفي هذا السياق خطّأ ابنُ حزم جالينوسا حينما ذهب إلى أنّ لغة اليونانيين أرقى اللغات ، وهي تفوق كلّ اللّغات ، وأنّ سائر اللغات تشبه نباح الكلاب أو نقيق الضفادع بقوله : " كلّ من سمع لغة ليست لغته ولا يفهمها فهي عنده في النّصاب الذي ذكر جالينوس ولا فرق . " [3] وفي هذا السياق ما أورده ابن جنّي من شغف العجم بلغتهم وحرصهم على أن لا يدخلها شيء من لغة العرب ، وكيف أنّهم يعيبون على شعرائهم أن يأتوا بألفاظ عربية في أشعارهم وبذلك فالقضية أن تساوت اللغات ولا فضل للعربية على الأعجمية قال ابن جنّي : " لو أحسّت العجم بلطف صناعة العرب في هذه اللغة ، وما فيها من الغموض والرّقة والدّقة لاعتذرت من اعترافها بلغتها ، فضلا عن التقديم لها ، والتنويه بها ." [4]

ويقف بعض المحدثين موقف ابن حزم ، ويرى العربية بنية ونظاما ، فهي بنية بخصائص اشتقاقية ، وإمكانيات توليدية ، وأسرار في الصياغة تفي بكلّ أغراض التّرجمة ومهما علت الأفكار، وتألّقت فالعربية قادرة على القبض عليها ، وعلى الرغم من كلّ تلك المؤهّلات فهي

[1] الرّافعي : تاريخ آداب العرب ، ص147

[2] مازن المبارك : نحو وعي لغوي ، ص7 .

[3] ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ، الإحكام في أصول الأحكام ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ج1 ، ص34 .

[4] ابن جنّي : الخصائص ، ص204.

ليست أمرا خارقا ، وليست بدعا من اللّغات ، فلا يفضّلها عن غيرها من اللّغات ولا يراها لغة العبقرية أو يرى فيها عبقرية اللغّات .[1] إذ لا مجال لتفاضل اللّغات ، بل العبرة بطبيعة اللّغة وآلياتها .

كلّ هذا الاهتمام وهذا الشعور اتجاه العربية كان دافعا للبحث عن آلية تمنع العربية من التّفسّخ والذّوبان والانصهار، خاصّة لِماَ دار حولها من لحن وفساد دفع أهلها للبحث عمّا يُقوِّم فسادها ويردّ لحنها ، فلم تكن هناك وسيلة أفضل من **صناعة النّموذج** ، الذي يسير عليه المتأخرون وهي **الحالة الثانية** أي النحو الذي سينحوه من تلاهم من متكلّمي العربية ، فتتم عملية لقياس ؛ قياس اللغة الجديدة التي ستتجدّد مع دورة الحياة على اللغة القديمة الفصيحة . ولا بدّ من إعداد النّمط أو القالب والنول الذي ينطلق منه المتكلم ، فيصنع على منواله المَقلّد وينظر فيه المُولَّد ويرجع إليه من أخطأ وأفسد ، وبتتبّع تلك القواعد والأقيسة يمكن إنتاج الكلام الجديد ، وهو ما يريد علماء العربية أن يُؤسّسوا له .

مع كلّ ما تقدّم ذكره من عناية العرب بكلامهم ، كانت جهود علماء العربية جهودا عملية أيضا ، فقد اهتموا بالقياس ، ورصدوا وقائعه ، وحرصوا على ترسيمه ، وتثبيت حدوده ، وكان القياس مسألة جوهرية في حياة اللغة العربية ، وعلم النّحو، وعلم أصول النحو معا .

هنا تكمن أصالة النّحو العربي الذي صمد في جهازه ونظامه عبر قواعد النّحو؛ التي تأبى أن تُخترق رغم الخلاف ذات بينها ، ورغم محاولات التجديد الكثيرة التي تحدثت عن جمود النّحو العربي وسعي أصحابها إلى التجديد قديما وحديثا * إلاّ أنّ النحو القديم باق على نهجه ومازال المختلفون في قضايا العربية يحتكمون إلى سيبويه إلى يومنا ، وقد وجد النحو العربيّ دفاعا قويا وردودا كثيرة وافية في كلّ العصور والأزمنة التي مرّ بها النحو العربي في رحلته إلينا ، و مجدّدا تحدّث تمام حسان عمّا بذله نحاة العربية في هذا السبيل فقال : " أمّا جمع المادة واستقراؤها وتقسيمها ، وتسمية أجزائها ، ومفهوماتها ، ثم وضع القواعد التي تصف جهات الشركة بين

[1] صبحي الّصّالح : دراسات في فقه اللّغة ،دار العلم للملايين بيروت لبنان ط3، د ت ص362.

المفردات ، فقد تمّ كلّه على نحو يثير الإعجاب ، وقد بُذِل فيه من الجهد ما سوف يظلّ أثره ملحوظا أبد الدهر."[1] وذلك لم يُعجز علماء العربية ، ولم يُثنهم عن عمليات النّظر والتّدبّر والتّفكّر والاستنباط بمواصفات التّأنّي والرّويّة ، وكان ذلك من أهمّ سمات قوّة العقل والإدراك ، وتلك لازمة من لوازم علماء العربيّة الذّين تعاطوا الفكر نقيا ، فنما وأربى وتولّدت منه نّظراتهم اللّغويّة الناضجة ، وقد كان الرّهان على القياس عملا ناجحا ورؤية ثاقبة .

المبحث الثالث: سمات التفكير العلمي في الدرس اللّغوي التّراثي

بسبب ما تقدّم ذكره من شأن العربية ، وهمة أهلها لابدّ أن يتسلّح علماؤها بسلاح العلم لذلك فقد صرفت العربيةُ الهمم لشأنها بحثا ، واستقصاء ، وجمعا ، وتأليفا ، من هنا تولّدت ملامح التفكير العلمي ، وكانت ضرورة الاعتناء بدراسة اللّغة دراسة علمية ، تبدّى لنا الأمر من خلال مجموعة علامات نحصي منها :

. أ البحث الميداني

أوّل ما يطالعنا حين الحديث عن بدايات تشكل الدرس النّحوي ، أنّ علماء العربية خرجوا في زيارات ميدانية إلى مواطن جريان اللّغة على ألسنة العرب ، وهي سابقة علمية جريئة ، تنمّ عن وعي وتفوّق ذهني ؛ لأنّها فطنة مبكرة أن ارتأى علماء اللّغة أن تُجمع اللّغة من أفواه المتكلمين ، فكانت الرّحلات العلمية تنطلق من المدن والأمصار صوب البوادي التي لم تختلط لغاتها بلغات الأعاجم ، وظلت بعيدة عن اللّحّن والعجمة والفساد بكلّ أشكاله ، ولعلّ أبا الطيّب اللغوي كان أكثر ضبطا ودقة ، حين حصر تلك الزيارات الميدانية على ثلاثة علماء في قوله : " وكان في هذا العصر ثلاثة من أئمة الناس في اللغة والشعر وعلوم العرب لم يُر مثلهم ولا قبلهم ، ولا بعدهم، عنهم أُخذ جُلّ ما في أيدي الناس من هذا العلم ، بل كلّه ، وهم : أبو زيد وأبو عبيدة

*من الذين قالوا بضرورة تجديد النحو العربي من القدماء ابن مضاء القرطبي 513 . 592هـ هو صاحب أكبر اتّجاه معارض من خلال مؤلّفه الرّد على النحاة ، ابن مالك صاحب الألفية 600 .672 هـ ، ابن هشام الأنصاري708 هـ 761 ، ومن المحدثين مهدي المخزومي ، تمام حسّان ، وإبراهيم مصطفى الذي أقتفى آثار ابن مضاء .

[1] تمام حسّان: اللغة بين المعيارية والوصفية ،

والأصمعي ، وكلّهم أخذوا عن أبي عمرو وعيسى بن عمر وأبي الخطاب الأخفش ، ويونس بن حبيب عن جماعة من ثقات الأعراب وعلمائهم ."[1] فقد قام البحث على المشاهدة للحوادث والاعتماد المطلق على المسموع الثابت الذي ثبُت سماعه عن الأعراب ، وهو ما يظهر من كم الشواهد والأمثلة التي قدّمها كلّ منهما ، وظلّ المسموع هو الميدان الحقيقي الذي يطبّقان عليه كل المسائل والأحكام قال سيبويه :" استحسن من هذا ما استحسنت العرب وأجِزْه كما أجازته " [2] ولا يذكر سيبويه مسألة من مسائل الكتاب إلاّ وهو يقصد الاعتماد المطلق على نماذج العرب في الكلام والجيّد منها خاصة الكتاب ، كما في قوله في مسألة ما يتبع الصفة من التنوين فيقول في قول القائل : " مررت برجلٍ مُخالطِ بَدْنِهِ داءٌ ، ففرق بينه وبين المُنَوَّنِ . قيل له ألست تعلم أنّ الصفة إذا كانت للأوّل فالتنوين وغير التنوين سواء، إذا أردت بإسقاط التنوين معنى التنوين ، نحو قولك :

. مررتُ برجلٍ ملازِمٍ أباك ،

. ومررت برجلٍ ملازِمٍ أبيك ،

. أو ملازِمك ،

فإنّه لا يجد بُدأ من أن يقول نعم ، وإلاّ خالف جميع العرب و النحويين ." [3] ثم تابع شرح المثال فقال : " ولو أنّ هذا القياس لم تكن العرب الموثوق بعربيتها تقوله لم يُلتفَت إليه . " [4] كما أنّ سيبويه يُجيز ما أجاز العرب الأقحاح ، ويؤكّد على صفة العرب لقوله : " ومن جواز الرفع في هذا الباب أنّي سمعتُ رجلين من العرب عربيين يقولان ." [5] فسيبويه يلتزم بعدم مخالفة كلام العرب الذي بنى علمه عليه ، وكذا كلام النحاة الذي أجمعوا عليه .

---

[1] أبو الطيب اللغوي ، مراتب النّحويين 39، 40 عن خديجة الحديثي تيسير النحو وبحوث أخرى ، ص427.

[2] سيبويه : الكتاب ،ج2 ، ص69.* وفي رواية وأجره كما أجرته .

[3] سيبويه : الكتاب ، ج2 ، ص19.

[4] سيبويه : الكتاب ، ج2 ، ص20.

[5] سيبويه : الكتاب ، ج2 ، ص27 ، 28 .

وقد نظر المحدثون لعملية جمع اللّغة نظرة تأملٍ وإعجاب ، فأطلق عليها عبد الرحمان الحاج صالح عبارة " **الوفاء للواقع** "[1] لأنّ علماء العربية كانوا أوفياء للواقع اللّغوي الّذي أرادوا أن يصفوه ، فكانت الأناة وكان التّدقيق في نقل الكلام من أفواه المتكلمين ، بدليل ما ورد في كتب التّراث اللّغوي من تحديد للقبائل التّي يؤخذ عنها الكلام ، قال أحد المحدثين " جُمّاع اللّغة كانوا يحدّدون بكيفية صارمة المناطق الجغرافية لهذا الجمع ، لم يجمعوا اللّغة العربية إلا انطلاقا من لهجة جماعة ذات جبلّة أو سليقة ، غير مطعون في فصاحتها."[2] وذلك يتّفق مع يذهب إليه العلم الحديث من ضرورة مشاهدة الظّواهر ، ومعاينتها عن طريق الاتّصال المباشر ، عن طريق السّماع والتّدوين ، ولابدّ من أن يتحقق عنصر الكفاءة من المتكلّم والمستمع على حدّ السواء ضمن منطقة جغرافية محدّدة ، وجماعة لغوية معيّنة وقد أقرّ المحدثون الأمر لاعترافهم بفكرة ارتباط اللغة بالجنس الذي يتكلّمها ، لذلك لا يصح علميا أن يهتم العالم باللّغة وتفاصيلها " بغض النّظر عمّن يتكلم بها ." [3] فالدّراسات العربية لم تُخالف هذا الإجراء ، وقد ظهر الأمر كما عرفناه سابقا مع البصرة والكوفة ، حين حدّد النحاة الزّمان ، والمكان ، والمتكلّم والمستمع المثالي * وهو ما أطلقت عليه الدّراسات الحديثة مصطلح " INFORMANT " وهو من يُمثّل اللغة قيد الدّراسة تمثيلا صحيحا [4] وباعتمادهم على المنطوق من الكلام ثمّ تقيده وتقديمه للدراسة يكون العمل علميّ بامتياز .

ب تدرّج وتسلسل مراحل الدرس النحوي

بعد مرحلة جمع اللّغة والتدوين ، جاءت مرحلة الاستقراء ، ثم مرحلة صناعة النحو، وهي المرحلة التي برزت فيها الّذهنية القياسية ، التي اهتمت بصناعة النّماذج الأوّلية ، فظهر من العلماء فريقان متمايزان ؛ أحدهم اقتصر على السّماع والوقوف على المسموع من الكلام والآخر

---

[1] مقال عبد الرحمان الحاج صالح ، عن إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر، د ط ، ت ط2013، ص525 .

[2] عبد الجليل مرتاض : مباحث لغوية في ضوء الفكر اللّسآني الحديث ، ص7 .

* نقصد بالمستمع المثالي جُمّاع اللغة والمتكلّم المثالي المتكلّمين في الميدان وهي القبائل التي سبق ذكرها .

[3] مقال عبد الرحمان الحاج صالح :عن الأصوات اللغوية : ابراهيم أنيس، ص525 .

[4] عبد الرّاجحي : فقه اللغة في الكتب العربية ، ص179.

وضع الآلة الصّانعة ، ولم يشأ الوقوف على السّماع لأنّ ذلك يخالف طبيعة الأشياء ويخالف طبيعة اللّغة النّامية المتطوّرة ، ولابدّ للّغة من الحركية والتّوالد والتّغير في الزّمان والمكان ، ومن ينظر نظرة تأمل " لإفرازات الميراث الفكري اللّغوي يتجلّى له أنّ إقرار مبدأ التّغيّر في الظّاهرة اللّغوية ، قد كان عمودا فقريا في الحضارة العربية ، انطلاقا منذ نشأتها الأولى ." [1] والمعنى أنّه ما إن تغيّرت حياة النّاس للوهلة الأولى من الجاهلية للإسلام ، حتّى تغيّرت معه لغتهم ، ووُضع أمامهم قاموس جديد ، ولا بدّ للرّسالة الخاتمة أن تستمر، ولابدّ من وصل الماضي بالحاضر، والتّطلّع للمستقبل ، وهو ما جسّدته **نظرية النّحو هو انتحاء سمت كلام العرب والقياس عليه** .

وكلّ هذا يبرهن لنا فكرة التتابع المنطقي بين مراحل تشكل الدرس النحوي ، لأن كل خطوة كانت تسلمّ للخطوة الموالية اقتضاء أو التزاما ، وأعمال نحاة العربية لم تكن يتيمة متقطّعة ، بل هي سلسلة حلقات يكمّل بعضها بعضا ، ويبني بعضها بعضا شأنها شأن كلّ العلوم الناضجة ، ولعلّ البداية الحقيقية للانتقال بالنّحو العربي من مرحلة الملحوظات الأوّلية البسيطة التي تعتمد الإشارات النّحوية شبه الكليّة لبعض قواعد النّظام النّحوي كالإشارة إلى إنّ وأخواتها إلى مرحلة العلم المضبوط بقواعد وأصول ثابتة . تعود إلى عبد اللّه بن أبي إسحاق الحضرمي ت117هـ .[2] وقد نظر البعض " للنّحو في بداياته على أنّه معرفة ، وأن التصنيف فيه كان يشمل مسائل جزئية كجمع ألفاظ اللّغة دون ترتيب ، وقد جمعت المعاجم فيما بعد ما تفرّق في الرّسائل اللّغويّة ، وجمع كتاب سيبويه ما تفرّق من أقوال شيوخه ، والنّحاة من قبله ونظر لها وقسّمها ، ولمّا بدأ النّحو ينضج أصبح يستحق اسم العلم. " [3] وبسبب كلّ ما تقدّم من جهود " أضحت أصول اللغة والنحو موضوعا لعمل منسق ودرس عميقٍ وكانت نتيجة ذلك أن حُددت أبعاد الكلمة العربية ، وضروب اشتقاقها ، كما حُدِد مفهوم الجملة العربية ووسائل صياغتها ." [4] وهي نتيجة من نتائج

---

[1] عبد السلام المسدي : التفكير اللساني في الحضارة العربية ، ص92.

[2] حسن خميس الملخ : رؤى لسانية في نظرية النّحو العربي ، دار الشّروق عمّان ط 1 ، ت ط 2007 ، ص15.

[3] مجلة عالم الفكر: مقال منهج المعرفة عند علماء العربية ، ص 134 .

[4] فؤاد حنا ترزي : في أصول اللغة والنحو ، المقدمة ص 6 .

الدراسة العلمية فلا يمكن وصف خطوات كهذه إلا بالنّظام والانتظام ، وهي ليست تطورا مفاجئا في مسيرة الدرس النحوي العربي كما يدّعي البعض .*

ولأنّ غاية النحاة هي وضع القواعد والضوابط والأحكام ، لهدف واضح هو التمكن من فهم النص القرآني والحفاظ على صحة قراءته ، وحفظ اللسان العربي من الضياع ، وهذا النظام النحوي سيكون ملزما ، ويُعتبر سلطة حاكمة وشرعا لا ينبغي مخالفته ، وإن كان الشرع في اللغة من اللغة نفسها . حيث بدأ الأمر بدأ بملاحظة الظواهر اللغوية ، ثم تصنيف هذه الظواهر واستقراء عناصر جزئياتها ، بالمقابلة والتقسيم والحوار والاستنطاق ، وينتهي بأن يحاول أن يستظهر القانون الجامع الذي يفسر لنا هذه الظواهر ، فيُجرّدها في شكل قواعد ، ويعرضها أحكاما ناضجة ، يجب اتّباعها ، ويعدّ شاذا كلّ من خرج عنها . [1]

ـ ج التصور العلمي الدقيق

أما عن صفة تلك الجهود العلمية فقد كانت " طفرة في التفكير، وكانت قبل زمانها "[2] فقد كان للخليل وحده " تصور علمي وأدوات تحليلية ، لا يضاهيها في القيمة العلمية ، إلاّ ما ابتكره العلماء في عصرنا هذا ، وذلك لا من النّاحية اللّغوية فقط ، بل أيضا من النّاحية المنهجية التّجريبية منها و النّظرية (الإطار النّظري المنطقي الرّياضي والإطار التّجريبي الفيزيولوجي .) "

---

*من هؤلاء المدّعين جورج مونان ؛ فقد تحدّث عن تاريخ علم اللغة عند أمم كثيرة ، وذكر عظيم إنجازاتها على نحو يثير الإعجاب ، ولمّا أرغمه السياق إلى ضرورة ذكر النحو العربي ، كمنتَج من آثار الحضارة العربية الإسلامية قال : " ولا ينطبق هذا على العالم الإسلامي ... وسرعان ما ظهر في هذا العالم الإسلامي ، . وبخاصّة في مدينة البصرة . مباحث كاملة في القواعد العربية ، ومنذ القرن الثاني للهجرة ممّا حمل بعضهم على افتراض ، اقتباس واسع عن حضارات سابقة " ينظر في ذلك علم اللغة منذ نشأتها حتّى القرن العشرين ، ترجمة بدر الدين القاسم ، مطبعة جامعة دمشق ، ت ط 1972 ، ص 106 . وكما هو ملاحظ لا يستفيد الدرس النحوي العربي بضخامته وشموخ بنائه ، من هذه العبارة ، غير تشكيك في أصول انتمائه .

[1] محمد الخطيب : ضوابط الفكر النحوي ، ص421.

[2] أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ص594.

[1] وقد تجلّى ذلك من خلال ما كشفه المحدثون من مبادئ علمية ، قدّمها كتاب العين للخليل ، والكتاب لسيبويه ، والتي تميّزت إجمالا بعناصر هي عناصر البحث العلمي نحصي منها :

. الإطار التجريبي النظري ؛ تبدّى ذلك في حديث الخليل وسيبويه ومن بعدهما ، في أبواب الظواهر اللغوية الصوتية كالإدغام والإمالة والقلب الإبدال والمدّ والوقف ، والعمل كلّه مستمدّ من النّص القرآني الكريم ويتعلّق الأمر بالتّلاوة التي تدور على الألسنة ، إذ لابدّ من مراعاة كلّ الأحكام الصحيحة ، وهو ما دفعهم إلى تقصّي الصّوت بدقة لاستعراض لملامح * الصوت الفيزيولوجي وإظهار دور الحنجرة ، وتحديد صفات الحروف كما تحدث بطريقة تموضعها على جهاز النطق ، وعلى أساس سريان الصوت أو توقّفه من أقصى الحلق إلى الشّفتين فورد عنه أنّه " يفتح فاه بالألف ثم يُظهر الحرف نحو : اب ، ات ، اث، .. ، فوجد العين أدخل الحروف في الحلق ، فجعلها أوّل الكتاب ، ثم ما قرب منها الأرفع فالأرفع ، حتّى أتى على آخرها وهو الميم "[2] ، وكما هو ملاحظ فعمل الخليل يعتمد التجربة الحيّة ، ثمّ نجده قد عالج العمل بنجاح وذكاء وكان يُدخل الألف على الصامت الساكن ليكون الألف وصلا و" عمادا وسُلّما للسان إلى حرف البناء ، لأنّ اللسان حين ينطلق بنطق الساكن من الحرف يحتاج إلى ألف الوصل " [3] وهو من دواعي التّسهيل باعتبار طبيعة العربية التي تميل إلى الأخفّ . وتطوّر البحث في هذا الميدان في القرون اللاّحقات مع عدّة علماء تطرّقوا لعلم الأصوات اللّغوية من نواحي علم التشريح ، فوصفوا تشريح مخارج الأصوات وصفا دقيقا خاصة من أتقن منهم علم الطّب كابن سينا *والفخر الرّازي فقد ورد عن الرّازي قوله : " الصوت يحصل بسبب استدخال النّفس ، أو بسبب إخراجه ، وعند

---

[1] عبد الرحمان الحاج صالح : بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية ، ج2 منشورات المجمع الجزائري للغة العربية ، ت ط 2007 ، ص59.

. إبراهيم السّامرّائي : الأصوات العربية ، دار جليس الزّمان ، عمان الأردن ، ط1، تط 2001 ، ص 5 .

* ينظر في ذلك الخليل معجم العين ، ج1 ، ص49 ، 61 .25.

[2] الخليل بن أحمد : العين ، ج1 ، ص175

[3] الخليل بن أحمد : العين ، ج1 ، ص52.

*قدمّ الشيخ الرّئيس ابن سينا : أبو علي الحسين بن عبد الله ، رسالة في أسباب حدوث الحروف ، تحقيق محمد خان الطّيّان ، و مير علم ، تقديم شاكرالفحّام ، وأحمد راتب النّفاح ، مط مجمع اللغة العربية بدمشق ، وفي الرّسالة تشريح الصوت بكل أنواعه ومخارجه .

هذا تحتاج هذه المباحث إلى معرفة أحوال القلب والرّئة ، ومعرفة الحجاب الذي هو المبدأ الأوّل لحركة الصّوت ، ومعرفة العضلات المحركة للبطن والحنجرة واللّسان والشفتين ، .. وهذه المباحث لا تتمّ دلالتها إلاّ عند الوقوف على علم التشريح " . [1] وخاصّة في مجالاته المتطوّرة في العصر الحديث .

. **اعتماد منهج التّفكير العلمي** الذي يعتمد البراهين والأدلة دائما ، كما هو الأمر في التفكير الرّياضي وقد لاحظ المعاصرون أنّ الأفكار الأساسية ولب العمل الذي قدّمه الخليل وبُني عليه التحليل هو في الغالب أساليب رياضية محضة ، وقد اعتمد مستوى أدنى من اللغة والتحليل العمودي [2] واستخدم طريقة الحصر وإخضاع المادة العلمية للدراسة بطريقة إحصائية وحسابية دقيقة فقام بحصر كلام العرب المكوّن من حروف فقال : " أ، ب ، ت ، ث، ، مع ما تكلّمتُ به فكان مدار كلام العرب وألفاظهم فلا يخرج منها عنه شيء ." [3] ثم حصر الأبنية في الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي وتمثّلت حسبتها كما قدّمها الخليل في :

. **البناء الثنائي** : يتصرّف على وجهين نحو قَدْ ، دَقْ ، شَدْ ، ودَشْ ،

. **البناء الثلاثي** : يتصرّف على ستة أوجه وتُسمّى الكلمة مسدوسة نحو ضرب ، ضبر ، برضَ ، بضَرَ ، رضب ، ربض ،

. **البناء الرباعي** : يتصرف على أربعة وعشرين وجها والحروف الأربعة تُضرب في وجوه الثلاثي الصحيح وهي ستة أوجه ، فيُكشف المستعمل الذي يعرفه العرب ويُلغى المهمل الذي لا معنى له في كلام العرب مثل عبقر، عبرق ، عقرب ، عرقب... والكل أربعة وعشرين وجها .

---

[1] الرّازي : محمد فخر الدين ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، تقديم خليل محي الدين الميس ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، مج1 ، ص21 ، 22 .

[2] عبد الرحمان الحاج صالح : بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ص46.

[3] الخليل : العين ، ج1 ، ص47 .

. البناء الخماسي : البناء الخماسي يتصرّف على مائة وعشرين وجها ، وهو حاصل خمسة حروف في وجوه الرباعي الأربعة والعشرين ، يُستعمل أقلّه ويُلغى أكثره لأنّ العربية تميل إلى ألأخفّ وتتجنّب الأثّقل نحو سفرجل ، سفرلج ، سرفجل ، سفجرل ...إلى مائة وعشرين وجها. [1]

وهي عملية حسابية دقيقة تقوم على استفراغ جميع التراكيب التي تحتملها الصوامت وهو ما يُسمى في الرياضيات الحديثة بقسمة التراكيب combinatoire ، ويكون الخليل بهذا العمل الحسابي أوّل من أقام أسس الجبر التركيبي ، ورسم دائرة احتمالات التركيب طردا وعكسا أو ما يُعرف في الرياضيات بالزمرة الدائرية groupe cyclic [2] بحيث يتمّ البحث عن المجهول باعتماد الخطوات المتسلسلة وباعتماد الأدلّة والبراهين ، ويتم الجمع بين تلك الجزئيات لتلتزم كلُّها بالترابط داخل مسألة معرفية واحدة ، وهو من مناهج التّفكير العلمي البشري ، وبذلك يمكننا أن نصف تلك الجهود المتقدمة في علم العربية بمواصفات البحث العلمي بالمفهوم المعاصر .

هذه المسيرة الحافلة في تاريخ النحو العربي ثمّ الحقائق التي بنى عليها الخليل أفكاره مع كلّ من سار في فلكه ، هي الداعي إلى ربط التفكير النّحوي العربي بالتّفكير العلمي الرّياضي ، حيث أنّ الطّريقة والمنهج الذي سلكه العِلمان ، هي طريقة العلم المضبوط فعلماء العربية " نظروا في عيّنة من كلمات العربية وتراكيبها واستخلصوا منها معايير وقواعد يمكن القياس عليها ، وهي معايير مقبولة عقليا ." [3] هذه المعايير والمقاييس* التي صنعها الأوائل هي التي صارت فيما بعد نموذجا ومثالا يُحتذى لتسير العربية على خطى السلامة اللغوية ، وتمتلك قانون التنمية ؛ تنمية الكلمات والألفاظ ، واستطاعت العربية أن تحافظ على نظامها وقوامها .

---

[1] الخليل : العين ، ج1 ، ص59.

[2] عبد الرحمان الحاج صالح : بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ص46 .

[3]. حسن خميس الملخ ، نظرية التعليل في النحو العربي ، ص15 .

* لمعرفة الإتجاه العلمي في مسيرة ونشأة النّحو العربي وموجبات ربطه بطرق التفكير الرياضي ، ينظر في ذلك نظرية التّباديل الرّياضية ، نظرية الإحتمالات الإعرابية في النّحو العربي ، نظرية التّنبّؤ والافتراض من خلال كتاب رؤى لسانية في نظرية النّحو حسن خميس الملخ ، من ص15 ..100 .

. د تجريد الثّوابت تجريدا منطقيا وقسمة رياضية مضبوطة .

يُقصد بالتّجريد خلق الاصطلاحات التي تدلّ على الأقسام ، [1] وهو عامل هام من عوامل ترسيخ العلوم وإثبات فاعليتها وديمومتها ، أمّا التّقسيم فهو عملية تصنيف تلك المفاهيم ووضعها في أبواب خاصة تحت مسمّيات ومصطلحات محدّدة ، والتقسيم التجريد أساسان لكلّ نشاط علمي أيّا كان نوعه ، لأنّ التجريد أكثر ثبوتا وحضورا في النفس من الأشياء المشخّصة و" التجريدي أكثر بقاء من المشخّص . ينفذ إلى المخ بعد مجهود عقلي ، ويتطلّب من الذهن تركّزا ، أمّا المشخّص فليس إلاّ انعكاس الأشياء في مرآة الشعور ." [2] فإذا عدنا إلى كتاب سيبويه في بعض المصطلحات التي اعتمدها نجده يقدّم مصطلحات تطبيقية دقيقة لتوصيف الظواهر النحوية ،وألفاظ " المستقيم ، المحال ، الحسن ، الصحيح " التي جاء بها ليجعلها مقياسا لمسموع الكلام ثم قدّم عليها أمثلته التطبيقية المشهورة حينما ذهب إلى تصنيف الكلام من حيث الاستقامة والإحالة في قوله : " هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة ، فمنه مستقيم حسن ، و محال ،ومستقيم كذب ومستقيم قبيح ، وما هو محال كذب . فأمّا المستقيم الحسن فقولك أتيتك أمس ، وسآتيك غدا ، وأمّا المحال فأن تنقض أوّل الكلام بآخره فتقول : أتيتك غدا وسآتيك أمس . وأمّا المستقيم الكذب فقولك : حملت الجبل ، وشربت ماء البحر ونحوه . وأمّا المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك : قد زيدا رأيت ، وكي زيدا يأتيك ، وأشباه هذا ، وأمّا المحال الكذب فأن تقول : سوف أشرب ماء البحر أمس ."[3]

لقد تمّ تحليل كلام سيبويه من خلال زوايا نظر كثيرة ، ومفاهيم ومعطيات متباينة ، ويمكن مرة أخرى اعتبار النص أساسا نظريا وتطبيقيا وقاعدة جوهرية ، ونموذجا يُحدُّ به القياس بمعنى أنّه قدّم لنا أفقا نظريا أعلى ، مع مجموعة أمثلة تطبيقية لِما يُحتمل أن يسمع من الكلام ، وهو بمثابة جملة الشروط الموضوعية التي اعتمدها علماء العربية في القياس بعد ذلك ، وقد كان لهذا

---

[1] مقال مجلة عالم الفكر ، ص134.

[2] فندريس : اللغة ، ص 181.

[3] سيبويه : الكتاب ، ج1 ، ص 25 .

العمل أثره البالغ ، لأنّه جعل المادة اللغوية في بطون المعاجم ، وكتب التراث ، سواء كانت ثروة مفرداتية ، أو مصطلحات نحوية ، أو جملا تعبيرية ، متماسكة على نحو مقبول ، يقبله الحس العربي القديم والحديث معا ، وقد قاده حسّه اللّغوي إلى تلك المصطلحات المعبّرة والدقيقة ، وهي مصطلحات " **مستقيم** ، **حسن** ، **صحيح** ، **محال** ، " كما فعل غيره من علماء العربية ، على نحو مقبول فيه الكثير من الموضوعية والتماسك لذلك وصفه المحدثون " بالدقة والشمولية والخبرة اللغوية الطويلة ، والتنوّع " [1] لقد خَبِر سيبويه كلام العرب ومازه ، فوجده أصنافا محددة ليقدّم تصنيفه على أساس من تلك النماذج المسموعة ، وهو ما يفسّر أصالة تلك المصطلحات ، أي أنّه استنبطها من الواقع الكلام الحي المسموع ، ثم إنّ كانت كثيرة كثرة تثري عطاءه ، وتوحي بغزارة علمه ودقة فكره ، ومتنوّعة تنوّعا لا يحول دون انسجامها ، ولا يبعث على تناقضها " إنّ هذه التعابير عند التحليل الدقيق لا تختلف أبدا عن التحديدات التي وضعها مطلع الكتاب ، بل بقيت متماسكة بالرغم من تنوّعها . " [2] فهي متنوّعة تنوعا اشتقاقيا لا يؤثّر على أحادية البنية ، وثبات الفكرة في ذهن صاحبها ، وبذلك كان هذا التنوّع مدخلا " لثبات مصلحاته في منهجية علمية تمتاز بالدقّة والشمول . "[3] وهو حال المصطلحات في كثير من العلوم قال أحمد أمين : " جاءت العلوم فوضع لها العلماء مصطلحات خاصّة ، أخذوا أكثرها من كلمات عربية الأصل وحوّروا مدلولها ، فالعروض ، والبحر الطويل ، والبسيط والمديد ، والنحو ، الفاعل ، والمفعول ، والمنطق ، والقضيّة ، والموضوع ، والمحمول وأصول الفقه ، والقياس ، والاستحسان إلخ كلّ هذه معانٍ دخلت في اللغة ومعاجمها لم يكن للعرب بها علم . " [4] وهذه المصطلحات مازالت أدوات هذه العلوم إلى يومنا هذا.

. الاعتماد على الاستقراء النّاقص والمقصود به " إجراء الملاحظة على نموذج مختار من جملة الظواهر المدروسة التي لا حصر لها ، والاكتفاء بالقليل عن الكثير لأنّ " إثبات ما لا يدخل تحت

---

[1] ميشال زكريا : بحوث ألسنية عربية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط1 ت ط 1992 ، ص43.

[2] ميشال زكريا : بحوث ألسنية عربية ، ص 43.

[3] نفسه ، ص44.

[4] أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ص579 ، 580.

الحصر بطريق النقل محال " [1] إنّه تجريد دقيق وحصر للكلام في مجارِ محددة وهذا رأي ابن الأنباري فإذا أسقطنا هذه العبارة على عمل سيبويه في نصه السابق ، وجدناه قد أجرى ملاحظاته التطبيقية في توصيف الكلام على نموذج مختار هو قوله :

1 مستقيم حسن في جملتي : أتيتك أمس

سآتيك غدا

2المحال في جملتي : أتيتك غدا

سآتيك أمس

3 المستقيم الكذب في جملتي : حملت الجبل

شربت ماء البحر

4 المستقيم القبيح في جملتي : قد زيدا رأيت

كي زيدا يأتيك

5المحال الكذب في جملة : سوف أشرب ماء البحر .

من خلال هذا التقسيم لما يقع عليه الكلام في العربية ، ذكر سيبويه ثلاثة أنماط من التراكيب منها في باب الاستقامة " المستقيم الحسن ، والمستقيم الكذب ، والمستقيم القبيح " وفي باب الإحالة المحال ، والمحال الكذب ولا وجود لمحال حسن أو صحيح ، لأنّ الكلام الذي يستحيل تركيبه لغويا ليس بمقدورنا أن نصفه بالحسن أو القبح [2] ، وهذا ما يتّفق مع مبدأ عدم التناقض الذي هو من قواعد المنطق ، وما بناه علماء العربية على المنطق أخذ صبغة منطقية جعلت المصطلح الذي تمّ تجريده يتطابق مع واقع الكلام المعمول به .

[1] تمام حسان : الأصول ، ص16.ال

[2] ميشال زكريا ، بحوث ألسنية عربية ، ص13.

فقد دلّت الشّواهد الكثيرة في كتاب سيبويه على الاعتماد على السماع لأنّ " القياس لا يكون إلاّ بسماع لأنّ اللغة تؤخذ سماعا عن النّاطقين ." [1] ومعنى هذا أنّ القواعد والضّوابط القياسية مأخوذة من مسموع الكلام الذي جرى على ألسنة العرب الخلّص من سكان البوادي والمدن داخل عصور الاحتجاج ، ثمّ إنّ النّظر في الواقع اللّغوي قد قاد علماء العربية إلى عدم التسوية بين الكلمات التي تسمع من أفواه المتكلمين ، وليس هذا إلاّ وفاء للواقع اللّغوي . [2]

فما كان يفد على علماء العربية الذين سيصنّفون ألفاظها متباين الحدود والأشكال والهيئات والدّلالات ، ولا بدّ من تحديد معان وأشكال وأقيسة تؤخذ كأنماط للتنمية استعدادا لتشغيل قانون القياس بوصفه عملية تجريدية يتمّ من خلالها " استنباط الجذر من جهة والوزن من جهة أخرى "[3] فقد قام علماء العربية بتجميع كافة الأشكال التي تنتمي إلى المنطوقة والتي تحرّوا فيها الصحة والسلامة . ورغم الاتفاق العام الذي يدفع ابن جنّي إلى القول: " أنّ من قوة القياس عندهم اعتقاد النّحويين أنّ ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب" [4] إلاّ أنّ الكلام في تجربة علماء العربية لم يُؤخذ عفوا ولا رجما ولكنّه وفاء تام للواقع كما هو.*

ومنهج علماء العربية إجمالا لم يخل من مصطلحات كثيرة عَبَرَت مع العربية مثل مصطلحات أصل ، فرع ، علة ، حكم ، عدول ، ردّ ، بالإضافة لمئات المصطلحات التي ضبطت الفكر النحوي فكان العمل دقيقا ، واستطاعت المصطلحات أن تصمد ، وصمدت معها اللغة ، ونظرية النحو العربي لقرون طويلة .

---

[1] خديجة الحديثي ، تيسير النّحو وبحوث أخرى ، ص329.

[2] عبد الرحمان الحاج صالح : مقال تعالى نُحيّي علم الخليل ، السامرّائي : الأصوات اللغوية ، ص526.

* إنّ هؤلاء العلماء أكثر وفاء للواقع من اللّغويين الوصفيين في زماننا ، لأنّهم لا يهدرون ما هو من هذا الواقع ولا يصحّ ترك النّظر فيه ، ألا وهو معيار اللّغة و هو عند النّحاة العرب كلّ ما تكلّم به عامّة العرب الموثوق بلغتهم أو ما كان على قياسه ولا يصحّ علميا أن توصف لغة بغض النّظر عن من يتكلّمها وهو كلام الحاج عبد الرحمان صالح .

[3] عبد الرحمان الحاج صالح :دراسات في اللسانيات العربية ، ص49.

[4] ابن جنّي: الخصائص ، ص121 ، 180.

المبحث الرابع: علماء العربية والقياس

احتفى علماء العربية بالقياس احتفاءً لا نظير له فجعلوا النحو هو القياس ، والقياس هو النّحو" فالنحو هو انتحاء سمت كلام العرب ، في تصرّفه من إعراب وغيره ، كالتّثنية والجمع ّ والتّحقير والتّكسير والإضافة والنّسب والتّركيب، وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللّغة العربية بأهلها في الفصاحة ، لينطق بها وإن لم يكن منهم ؛ وإن شذّ بعضهم عنها ردّ به إليها . " [1] ويورد السيوطي عن صاحب البديع " النّحو صناعة علمية يعرف بها أحوال كلام العرب من جهة ما صحّ ، وما يفسد في التّأليف ليعرف الصّحيح من الفاسد ." [2] لم يشأ علماء العربية التفريط في منهج العربية الأولى التي نزل بها القرآن الكريم لذلك أرادوا حفظها ومراعاة جميع أساليبها في عمليات التصريف ، والاشتقاق ، والتثنية ، والجمع ، والنسبة ، والتصغير، ويرتبط ذلك كلّه بالظروف التاريخية التي تعيشها العربية آنذاك ، والمتمثّلة في الاختلاط اللغوي بسبب الفتوحات ، وعامل الدين الذي يجب أن يخرج خارج الجزيرة العربية ، وقد كانت لهم الإرادة الكاملة في تثبيت دعائم العربية ، التي يجب أن تستمر في المتكلمين ما استمرّت الرسالة . ولابدّ من صناعة النموذج الذي يقيس عليه المتأخرون كلامهم ، والنتيجة هي عبور النحو القديم إلى العصر الحاضر، عبر كتب التراث النحوي العربي الذي يشهد على شموخ نظرية النحو وأهم دعائمها القياس الآلة الصانعة .

أ . ابن جنّي رجل القياس وعميد القياسيين

ابن جنّي أبو الفتح عثمان (321 ت392) وهو من استقام له القياس كما لم يستقم لأحد قبله ، وضرب فيه بسهم وافر، وذلك بفضل ما تميّز به من شمول في رؤيته للقياس ، وهو الذي يعتقد " أنّ مسألة واحدة من القياس أنبل وأنبه من كتاب لغة عند عيون النّاس." [3] رأى ابن جنّي أنّ اللغة ذاتها وُضِعت على قياس فقال في قوّة إحكام اللغة العربية و " هذا يدلّك على قوّة تداخل هذه اللّغة وتلاحمها ، واتّصال أجزائها ، وتلاحقها ، وتناسب أوضاعها ، وأنّها لم **تُقْتَعَثْ اقْتِعاثًا***

[1] ابن جنّي: الخصائص ، ص68.

[2] السيوطي : الاقتراح ، ص15.

[3] ابن جنّي: الخصائص ، ص88.

ولا **هِيلَتْ هَيْلاً** ، وأنّ واضعها عُني بها ، وأَحسن جِوارها ، وأُمِدّ بالإصابة ، والأصالة فيها." [1] فلغة العرب على ضبط وقياس تام ، وكلّ ، ما وُجِد فيها من خلاف لا بدّ له من القياس وجه يُؤخذ به " ولو كانت هذه اللغة حشوا مكيلا ، حثواً مهيلاً ، لكثر خلافها ، وتعادت أوصافها " [2]ولم يستأثر ابن جني بالقياس لنفسه ، بل ما فتئ يذكر أستاذه أبا علي الفارسي في كلّ كتبه ، ويروي عنه ، ويُناقشه في أفكاره ويستدرك عليه ، وقد حدد ابن جنيّ أدلة النحو فجعلها السماع و الإجماع والقياس ، ولا تخل كتب ابن جنّي إجمالا من حديث القياس والقياسين ، بل قد تمهّر فيه ، وكان يركن إليه كثيرا " ويجعله عيارا على ما يرد من نصوص مخالفة للجمهور أو مفردة فيعرض النّص على القياس فإن وافقه وكان العربيّ فصيحا وإلاّ رُدّ ." [3] ، تكلّم ابن جنّي في القياس ، وامتدح من تكلّموا فيه فقال في المبرّد: " هو رجل يعدّ جيلا في العلم ، وإليه أفضت مقالات أصحابنا ، وهو الذي نقلها وقرّرها ، وأجرى الفروع والعلل والمقاييس عليها ." [4] وما هذا إلاّ اعتراف من ابن جنّي للمبرد بما وضع وأضاف .

دقّق ابن جنّي صانع القياس ، في القياس كثيرا وانتبه لكثير من تفاصيله فقال في مسألة ما سمع عن العرب وأخذ كما هو ، وما استدرك بالقياس لاحقا بقوله : " لكنّ القوم بحكمتهم وزنوا كلام العرب فوجدوه على ضربين أحدهما مالا بدّ من تقبّله بهيئته ، لا بوصيّة فيه ، ولا تنبيه عليه نحو حجر و دار، ومنه ما وجدوه يتدارك بالقياس ، وتنتفي الكلفة في تعلمه على النّاس فقنّنوه ، وفصّلوه إذ قدروا على تداركه ." [5] دقّق ابن جنّي في كلام العرب ، وقسّمه إلى قسمين الأول ينزل في المتكلمين كما سُمع وهذا لا مجال للتبديل فيه ، ولا يتغاير عليه الناس لأنّه قد ثبُت

---

[1] ابن جنّي: الخصائص ، ص251 ، 252 .

* اقتعاثا يريد القول أنّها ليست جُزافا ، بل هي مقدّرة بمقياس ، يُقال قعث له ، إذا حفن له بيده وأعطاه ، واقتعث العطية إذا أكثرها ، وفي هذا معنى الخروج عن التقدير والميزان الخصائص ، ص252.

[2] ابن جنّي : الخصائص ، ص205 ، 206 .

[3] فاضل صالح السّامرّائي : ابن جنّي النّحوي ، دار عمار ، ط2 ، ت ط 2009، ص 224 .

[4] ابن جنّي : **سرّ صناعة الإعراب** ، ت محمد حسن إسماعيل ، أحمد شحاتة عامر ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط2 ، ت ط 2007م ، ج 1 ، ص140.

[5] ابن جنّي : الخصائص ، ص

بالسماع و" تبديل العبارات ممتنع بالاتفاق ، كتسمية الفرس دار والدار فرسا "[1] ، والجزء الثاني يُستدرك بالقياس ، وهو ما عمل النحاة على وضع القانون الذي يحكمه ، وتحدّث عن استمرار عملية القياس لأنّ اللّغة لا توجد دفعة واحدة ، وإنّما هي في توالد حسب حاجة المتلاغين بها فقال : " ثم احتيج فيما بعد إلى الزّيادة لحضور الدّاعي إليه فزيد فيه شيئا فشيئا ، إلاّ أنّه على قياس ما كان سبقا منها في حروفه وتأليفه ، وإعرابه المبين لا يخالف الثّاني الأوّل ، ولا الثّالث الثّاني كذلك متّصلا متتابعا ."[2]

بل قد بلغ اهتمام ابن جنّي بالقياس أن أجاز أن يقاس الكلام الأعجمي على موازين العربية وصيغها فيعدّ عربيا بالوزن ، وهو يستدّلّ على ذلك بقبول العرب للكلمات الأعجمية فقال : " و يؤكّد هذا عندك أنّ ما أعرب من أجناس الأعجمية ، قد أجرته العرب مجرى أصول كلامها ؛ ألا تراهم يصرفون في العَلَم نحو آجر ، و إبريسم ، و فرند، وفيروزج ، وجميع ما تدخله لام التّعريف ، و ذلك أنّه لمّا دخلته اللاّم في نحو الدّيباج ، والفرند، والسّهريز ، والآجر ، أشبه أصول كلام العرب ، فجرى في الصّرف ومنعه مجراها ." [3] بل قد ذكر لنا ابن جنّي كلام أبي على الفارسي عن ابن الأعرابي قال : " درهمتِ الخُبَّازى " أي صارت كالدراهم فاشتقّ الفعل من الدرهم وهو اسم أعجميّ ، ويقال: رجُل مُدرهم ، أورد أنّ لو شاء شاعر، أو ساجع ، أو متّسع أن " يبني بإلحاق اللاّم اسما ، وفعلا ، وصفة لجاز له ويعدّ ذلك من كلام العرب ."[4] تمادي ابن جنّي في القياس ، وأتي في الخصائص بأمثلة تخرج حتى عن واقع الاستعمال من ذلك كلمة " المُزَرَّج " وردت في قول الراجز :

هل تعرف الدار لأمّ الخزرج منها فَظَلْتُ اليوم كالمزرّجِ [5]

---

[1] أبوحامد الغزالي : المنخول من تعليقات الأصول ، ص71.

[2] ابن جنّي : الخصائص ، ص362.

[3] ابن جنّي : الخصائص، ص282 ، 283.

[4] ابن جني : الخصائص ، ص283.

[5] ابن جنّي : الخصائص ، ص283.

المزرّج هو الذي شرب الزرجون وهي الخمر ، تمّ اشتقاق كلمة المزرّج من الزرجون والقياس فيها مُزَرْجنٌ لأنّ النون في زرجون أصلية كعرجون النون أصلية ، وقد أصاب رؤبة حين قال : في خدر ميّاس الدمى مُعَرجَنِ وهو اشتقاق صحيح [1] ، يستدلّ عليه بتفسير قول الله تعالى : (**وَالقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ**) [2] أنّ معنى العرجون من الإنعراج ، وعلى هذا تكون نون عرجون زائدة كنون زيتون [3]، التي هي مشتقة من زيت وعرجون من عرج ، ومنه معراج .

قال ابن جنّي وسألت الشجري يوما عن جمع كلمة دكان فقال دكاكين ، قلت وسِرحان قال سراحين ، قلت وقُرطان قال قراطين ، فقلت فعُثمان ، قال عُثمانون فقلت له : هلاّ قلت أيضا عثامين ، قال أيش عثامين ، ؟ قال أرأيت إنسانا يتكلّم بما ليس في لغته ، والله لا أقولها أبدا .[4]

وفي هذه المسألة القياسية يُعظم ابن جنّي شغف العرب بلغتهم وتمسّكهم بأقيستها .

ولابن جنّي أمثلة كثيرة ، لم يتقبّلها الاستعمال العربي عبر كلّ الأزمنة والعصور، وهو تمثيل يفترضه ابن جنّي افتراضا ، ويتعسف في تقديم البرهان المنطقي لما يذهب إليه ، وربّما ارتأى إدخاله في الاستعمال العربي فيذهب في هذا السياق ، إلى القول لو أنّ جماعة من المتكلّمين في مسائل أبنية التصريف تكلّموا فقالوا في القياس على " صمحمح " فقالوا من الضرب ضَربرَب ، ومن القتل قَتَلْتل ، ومن الأكل أكَلْكَل ، ومن الشرب شَرَبرَب ، ومن الخروج خَرَجرَج ، ومن الدخول دخَلخَل ، وفي " سَفرجل" من جعفر جَعَفْرَرْ ومن صقعب صَقَعْبَبْ ، ثم تسألهم بأيّ لغة تتكلّمون لن يتردّدوا في القول أنّها العربية [5] وهذا الكلام من ابن جنّي يقوم على حروف العربية وعلى ميزان العربية ، ولكنّه غريب أو كالغريب ، لأنّه خروج بالحرف والوزن من

---

[1] ابن جنّي : الخصائص ، ص283.

[2] سورة يس ، 39 .

[3] ابن جنّي : الخصائص ، ص 284.

[4] ابن جنّي : الخصائص ، ص204.

[5] ابن جنّي : الخصائص ، ص 284.

المألوف المتفق عليه ، إلى غير المألوف الذي لم يتم الاتفاق عليه ونعلم أنّ اللغة شركة بين أفراد الجماعة اللغوية .

يلحّ ابن جنّي على القياس كثيرا ، ويدافع عنه بقوّة ثمّ ما يفتأ يشيد به ، ويبرّرالأخذ به ويقدّم الأمثلة التّي تبدو في ظاهرها تعجرف على حدّ قوله ، وغرضه أن يدفع أهل الصّنعة إلى رأيه ، ويرغمهم عليه ، ويأتي بما كان في كلام العرب من أمثلة مثل قوله ما كان في كلام العرب على **فَعْلٍ** تكسيره على **أفْعُلٍ كفرخ وأفرخ** وكعب وأكعب ، و ما كان على غير ذلك من أبنية الثّلاثي فتكسيره في القلّة على **أفعالٍ** نحو جبل و أجبال ، وكبد وأكباد ، وقفلٌ وأقفال .

ثم يطرح تساؤله كالمستنكر لمن دفعه الرّأي إلى إنكار القيا س فأنكره فيقول : " فليت شعري هل قالوا هذا ليعرف وحده ، أو ليعرف هو ويقاس عليه غيره ." [1] إنّه ولاء واضح من ابن جنّي لمبدأ القياس ودعوة صريحة للعمل به ، لا بل هو دفاع قوي عن القياس ضد منكريه . لذلك فقد كانت كتب ابن جنّي من أمثال المنصف والخصائص وسر صناعة الإعراب معينا ثرّا وموردا لا ينضب ، يعج بمسائل القياس وأحكامه ، قال فيه أحمد أمين هو من رفع لواء مذهب القياس وأمدّ القياسيين وفاق أستاذه وهو أبو علي الفارسي فيه . [2]

ب إنكار القياس مع ابن مضاء :

رغم قيام القياس في العربية علما قائما بذاته ومذهبا سائغا لجمهور العلماء إجمالا ، إلاّ أنّه لم يُقبل قبولا مطلقا ، فمنهم من أنكره إنكارا جذريا ، ومنع اعتماده منهجا أوآلية ، لذلك لم تكن طريق القياس النّحوي ولا الفقهي خالية من المعارضة والردّ ، كما أنّها لم تكن معبّدة مأهولة ، بل قد لقي معارضة شديدة واضحة خاصّة عندما بدأ يجنح لطرق الجدال ؛ أو ما عرف بالجدل النّحوي .

---

[1] ابن جنيّ : الخصائص ، ص333.

[2] أحمد أمين : ظهر الإسلام

ولعلّ أبرز المنكرين له إنكارا واضحا من فريق النّحاة ابن مضاء القرطبي ت513هـ عميد المدرسة الظاهرية ، وهو فيما ذهب إليه متأثّر بالمذهب الظاهري في العلوم الإسلامية [1] الذي جعله ابن حزم ت456هـ عمادا لمذهبه الفقهي ، فهو الذي يفسر بظاهر النّص ويرى بضرورة تعطيل قدرات القياس لأنّه " من المحال الباطل أن يأمرنا اللّه بالقياس ، أو بالتّعليل أو بالرّأي ، أو بالتّقليد ، ثمّ لا يبيّن لنا ما القياس ؟ وما التّعليل ؟ وما الرّأي ؟ وكيف يكون كلّ ذلك ؟ وعلى أيّ شيء نقيس ؟ وبأيٍّ شيء نعلّل ؟ ورأي من نقبل ؟ ومن نقلّد ؟ لأنّ هذا تكليف بما ليس في الوسع ." [2] فكما يبدو من نص ابن حزم أنّه مستنكر للقياس جملة ، بسبب عدم وجود معتمد واضح له ، خاصّة في ظل كثرة الآراء واختلاف مناهلها ، وصعوبة تطبيقها في مجال النّص الديني .

وقف ابن مضاء النحويّ موقف ابن حزم رجل الفقه ، وبدا مستنكرا لكثير من القضايا التي اجتهد علماء العربية قبله في الحديث عنها ، وتأصيل أصولها ، و نادى بفكرة النحو من غير عامل ومعمول ، أو ما عرف بإبطال العوامل النحوية ، وقد اجتهد في تقديم الأمثلة التطبيقية في موضوعه ، قال : " قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النّحو ما يستغني النّحويّ عنه ، وأنبّه على ما أجمعوا على الخطأ فيه . " [3] فقد كان رأي ابن مضاء أن من سبقه من نحاة العربية قد أجمعوا على قضايا وأُمور أراد أن يستدركها عليهم ، ويُنبّه على أخطائهم فيها . وهي :

---

[1] ابن مضاء القرطبي : أحمد بن عبد الرّحمان بن محمد ، ت ح محمد إبراهيم البنّا ، **الرّد على النّحاة** ، القاهرة مصر دار الاعتصام ، ط1 ت ط 1979. ، ص35 ، 40.

* هي منطقة تلاقح فيها القياس الفقهي بالقياس النّحوي ، وبدأت علل النّحو تأخذ مناحٍ بعيدة في الجدل والنّقاش ، وهنا حديث العلل الأوائل والثّواني والثّوالث .

[1] ابن حزم : ملخص إبطال القياس والرّأي والاستحسان والتّقليد والتعليل ، ت ح سعيد الأفغاني بيروت لبنان ، دار الفكر ، ط2 ، ت ط 1969 ، ص 73.

[3] ابن مضاء : الرّد على النحاة ، ص69.

. **قولهم بالعوامل** في النصب والخفضِ والجزم ، وقد جعلوا حدوث هذه الحركات ينسب لعوامل لفظية ومعنوية ، والرّأي عنده أنّ " العامل أحدثَ الإعرابَ ، وذلك بيّن الفساد . " [1] فيجب تدارك الأمر وإلغاء العوامل .

كما دعا إلى **إسقاط العلل الثواني والثوالث** ، فورد عنه قوله : " وممّا يجب أن يسقط في النحو العلل الثواني والثوالث " [2] والاكتفاء بعلة واحدة كما في قضية رفع الفاعل ، فلو قيل لمَ رُفع الفاعل في جملة قام زيد ؟ الجواب هو رُفع لأنّه فاعل وكذلك نطقت العرب ، وقد ثبت ذلك باستقراء كلامهم . ولا داع للبحث عن علل أكثر من هذا الحد ، والفرق بين العلل الأوّل والعلل الثّواني ، أنّ العلل الأوّل تفيد متعلّم العربية بالنطق بكلام العرب نطقا صحيحا وهو المبتغى ، بينما يُستغنى عن العلل الثّواني لأنّ العرب بحكمتهم صنّعوا كلامهم على تلك الشّاكلة ، وهو أن اعتلّت العرب لكلامها وأحكمت بناءه [3] ولا تفيدنا العلل الثّواني إلاّ في أنّ العرب أمّة حكيمة وفقط ، وكأنّه يُريد ترك هذه العلل لعلم آخر غير علم النحو .

ولذلك أنكر القياس ، ومال عنه ثم نسب الحكمة للعرب فقال " العرب أمّة حكيمة فكيف تشبّه شيئآ بشيء ، وتحكم عليه بحكمه ، وعلّة حكم الأصل غير موجودة في الفرع " [4] و يرفض أن يفعل ذلك واحد من النّحويين ، لأنّه سيوسم بالجهل ولن يُقبل قوله ، ثم لِمَ ينسب النحاة للعرب ما يجهّلون به بعضهم بعضا ؛ وذلك أنّهم " يقيسون الشّيء على الشّيء ويحكمون بحكمه إذا كان حكم الأصل موجودا في الفرع . " [5]

وفي ثورة ابن مضاء أمرٌ ثالث هو **إلغاء التمارين وإسقاطها** من النحو وهي تمارين في علم الصرف يفترضها النحاة للتدريب على أحكام الإعلال والإبدال والإدغام ، قال " وممّا يجب أن يسقط من النحو : " ابْنِ من كذا مثال كذا " ، كقولهم : " ابن من البيع مثال فعل " فيقول قائل : "

[1] ابن مضاء : الردّ على النحاة ، ص 69.

[2] ابن مضاء : الرد على النحاة ، ص127.

[3] ابن مضاء : الرد على النحاة ، ص127.

[4] ابن مضاء : الرّد على النّحاة ، ص131 .

[5] نفسه ، ص131.

بَوَعَ " أصله " بيع " فيبدّل من الياء واوا لانضمام * ما قبلها " لأنّ النطق بها ثقيل ، كما قالت العرب : موقن وموسر ، أصل موقن : ميقن ؛ لأنّه اسم فاعل ، وفعله : أيقن ، ففاء الفعل منه ياء وكذلك ينبغي أن يكون اسم الفاعل منه فاؤه ياء. " [1] وحجة ابن مضاء في ذلك أنّ النّاس عاجزون عن حفظ اللغة الفصيحة الصحيحة، فكيف إذا كثُر الجدال والحجاج في هذه المسائل المضنية ، وكثُر هذا الفنُّ وطال النزاع فيه ، والأمر غير مُجدٍ ولا نافعٍ على رأيه .

وما يبدو من ثورة ابن مضاء كلّها أنّه أراد أن يُفسّر القضايا اللغوية تفسيرا غيبيا ، لكن لابدّ أن ننظر للظواهر من زواياها المختلفة ، فالأفعال والأحداث في عالم الأعيان ضلع والكلمات أسماءً وأفعالاً حال تجرّدها ضلع آخر، ولا يجب الخلط في الأمر ، وعلماء اللّغة وضعوا المصطلحات مجرّدة من الظاهرة اللغوية المجرّدة هي الأخرى ، بينما تكون نسبة الأحداث والأفعال في عالم الأعيان لله شيء آخر يختلف .

. ج تثبيت أركان القياس مع ابن الأنباري 513 577.

في القرن السادس للهجرة يرفع عَلَم القياس عالم ثبت واسع العلم ، دقيق الملاحظة ، كثير التحصيل ، هو ابن الأنباري الذي جاء في أعقاب رِدّة ابن مضاء ، وبذلك تجلت خصوصيته في القياس كونه وقف على أكبر اتّجاه معاكس جاء مضادا للنّحو قبل زمانه ، إنّه تيّار الرّد على النّحاة الذي جاء إنكارا واستنكارا للقديم .

لقد انتصر ابن الأنباري للقياس ونصّبه علما قائما بذاته مستقلا بأهدافه ، فهو في اعتقاده جزء لا يتجزّأ عن علوم الأدب ، قال علوم الأدب ثمانيّة ومنها النّحو ثمّ قال : " وألحقنا بالعلوم الثّمانية علمين وضعناهما ، علم الجدل في النّحو ، وعلم أصول النّحو فيعرف به القياس و تركيبه وأقسامه من قياس العلّة وقياس الشّبه وقياس الطّرد إلى غير ذلك ." [2] وكأنّي به يفصل علم النحو عن علم أصول النحو فصلا واضحا .

---

[1] ابن مضاء : الرد على النحاة ، ص135 .

[2] السّيوطي : الاقتراح ، ص11

جاء ابن الأنباري بُعيد ثورة إنكار القياس التي أثارها ابن مُضاء ، وكان كتاباه ؛ لمع الأدلّة ، والإغراب في جدل الإعراب فضاء ثرا ومجالا خصيبا اكتملت فيهما فكرة القياس ونضجت نظريته نضجا تاما ، فكانت فصول القياس متناثرة في ثناياهما ، عنها أخذ السّيوطي بعناية فزاد عليها وصنّف وأضاف معترفا لابن الأنباري بالسّبق والفضل ، ففي الرّسالة الأولى دافع مستميتا عن الاستدلال بالقياس الذي خصّه بالباب التاسع ، وردّ فيه بقوة على من ينكر القياس ويعترض على الاستدلال به ، وكان ذلك من خلال مبدأ عام أقرّه ابن الأنباري يتمثّل في **إثبات الفرق الجوهري بن اللغة والنحو** ذلك أن **اللغة** أُخذت عن العرب وقد تمّ أخذها نقلا ورواية بمشافهة الأعراب " ولو قلنا إنّ النحو ثبُتَ نقلا لا قياسا وعقلا لأدّى ذلك إلى رفع الفرق بين اللغة والنحو. " [1] فأوّل ما يُقرّه أنّ اعتماد النحو على القياس يعني تشغيل العقل وإلغاء مبدأ التقليد ، وهذا ضمان لآلية لقياس واعتراف بصلاحيتها ، ثم قام بعرض تلك الشُّبهات التي دارت حول القياس ، ثم دحضها الواحدة تلو الأخرى لظهور فسادها ، وهي في جملتها ثلاثة أفكار وقد سمّاها الشبهات كما أراد لها المنكرون .

. **الشبهة الأولى** " لو جاز حمل الشيء على الشيء بحكم الشبه لما كان حمل أحدهما على الآخر بأولى من صاحبه " [2] وفيه مسألتان تطبيقيتان :

. الأولى هي ليس حمل الاسم المبني لشبه الحرف على الحرف في البناء بأولى من حمل الحرف لشبه الاسم على الاسم في الإعراب.

. الثانية ليس ترك التنوين فيما لا ينصرف لشبه الفعل ، بأولى من تنوين الفعل لشبه الاسم وقد فنّد الفكرة لفسادها ، واعتمد في ذلك على قضية الأصل والفرع والاعتبار في حمل أحدهما على الآخر هو" أن يكون المحمول خارجا عن أصله إلى شبه المحمول عليه ، فالمحمول أضعف لخروجه عن أصله إلى شبه المحمول عليه ، والمحمول عليه أقوى لأنّه لم يخرج عن أصله إلى شبه

[1] ابن الأنباري : الإغراب في جدل الإعراب ، ص 100.

[2] ابن الأنباري : الإغراب في جدل الإعراب ، ص100.

المحمول " [1] والمنطق في ذلك أنّ يكون حمل الأضعف على الأقوى وليس العكس وبالتالي تسقط فكرة حمل الاسم على الحرف في البناء دون حمل الحرف على الاسم في الإعراب . [2]

. **والرّد** هو أنْ حكَمَ بفساد الرّأي لأنّ حمل الشيء على الآخر يقضي بأن يُحمل الأضعف على الأقوى وليس العكس " والمحمول أضعف لخروجه عن أصله إلى شبه المحمول عليه والمحمول عليه أقوى لأنّه لم يخرج عن أصله "[3] وبذلك دحض مقولة " حمل الاسم على الحرف في البناء دون حمل الحرف على الاسم في الإعراب . " [4] *

. **الشبهة** الثانية أو الاعتراض الثاني من منكري القياس ، هو إذا كان الشبه هو الدافع إلى القياس، فإنّ ما من شيء يشبه شيئا من جهة إلاّ وفارقه من جهة أخرى " فإن كان وجه المشابهة يوجب الجمع فوجه المفارقة يوجب المنع ، وليس مراعاة ما يوجب الجمع لوجود المشابهة بأولى من مراعاة ما يوجب المنع لوجود المفارقة " [5] كما في مسألة ما لم يُسمّ فاعله .

. **والرّد** هو أن حكم بفساد الرّأي لأنّه " يجب القياس عند اجتماعهما في معنى خاص وهو معنى الحكم أو ما يوجب غلبة الظّن "[6] فالإسناد هو معنى الحكم في الأصل وبه تمّ قياس ما لم يُسمّ فاعله على الفاعل في الرّفع وكان القياس أولى من المنع .

. **الشبهة** الثالثة هي أنّ القياس يؤدّي إلى " اختلاف الأحكام " [7] لأنّ الفرع يأخذ شبها من أصلين مختلفين والمسألة التطبيقية هي قضية أنْ المخفّفة المصدرية أشبهت أنَّ المشدّدة المُعملة من وجه

---

[1] ابن الأنباري : الإغراب في جدل الإعراب ، ص101.

[2] نفسه ، ص101.

[3] ابن الأنباري : الإغراب ، ص101.

[4] نفسه : ص101.

*يُنظر تفصيل المسألة ، في الإغراب ، ص 102.

[5] ابن الأنباري : الإغراب في جدل الإعراب ، ص100.

[6] ابن الأنبتاري : الإغراب ، ص103.

[7] ابن الأنباري : الإغراب ، ص 101.

، وما المصدرية غير المُعملة من وجه آخر، والحمل عليهما معا يجعلها مُعملة وغير مُعملة معا وهذا مُحال .[1]

. **والرّد** هو أن حكم بفساد الرّأي لأنّه لا يلحق بهما معا وإنّما يلحق بأقواهما والأصل في الأمور الاختلاف ، ولا يوجد تطابق مطلق وبذلك لا يحدث تناقض في الأحكام ، وأنّ الخفيفة أشبهت أن المصدرية أكثر من شبهها لما المصدرية فقد أشبهتها لفظا ومعنى ولكنّها مخففة .[2]

وبذلك دحض الحجج الواهية بأدلّة تطبيقية دقيقة.

أما في لمع الأدلة فقد أثبت أقسام أدلّة النّحو التي جعلها ثلاثة نقل وقياس واصتصحاب حال ، ومراتبها كذلك بمعنى أن يعمل بالمنقول ، والنقل هو الكلام العربي الصحيح الخارج عن حد القلة إلى حد الكثرة ، ويستثنى من ذلك كلام المولدين ، ثم بالقياس والقياس عنده ضرورة تمليها طبيعة اللّغة النّامية المتطورة " وإنكار القياس في النّحو لا يتحقق فمن أنكر القياس فقد أنكر النّحو ولا نعلم أحدا من العلماء أنكره لثبوته بالدلائل." [3].

وقال ابن الأنباري أدلة النحو ثلاثة نقل و قياس و اصتصحاب حال.[4] هنا يتحدد موقع القياس من علم النحو وعلم أصول النّحو وقد قال في حدّه " النّحو علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب ." [5] لذلك تمّ التّشديد على إثبات القياس والاعتراف له بالأهميّة فقال ابن الأنباري متسلحا بالمنطق الذي يدركه المتأمّل أنّ الحروف التي تبنى عليها الكلمات محدودة محصاة وكذلك الشّأن في كل اللّغات ، أما الكلمات فكثيرة * والدليل وجود المهمل والمستعمل لذلك وجب ربط المعاني بالألفاظ وتلبية طلبات المعاني المستحدثة في حياة المتلاغين بالألفاظ الدّالّة عليها في لغتهم فهو يقول :

---

[1] ابن الأنباري : الإغراب ، ص101.

[2] ابن الأنباري : الإغراب ، ص104.

[3] ابن الانباري : الإغراب في جدل الإعراب ، ص81 95 .

[4] السيوطي : الاقتراح ، ص14 .

[5] ابن الأنباري : لمع الأدلّة : ص95.

" وإذا بطل أن يكون النّحو رواية ونقلا وجب أن يكون قياسا وعقلا ، والسّر في ذلك هو أنّ عوامل الألفاظ يسيرة محصورة والألفاظ كثيرة غير محصورة ، فلو لم يجز القياس واقتصر على ما ورد في النّقل من الاستعمال ، لأدّى ذلك إلى أن لا يفي ما نخص بما لا يخصّ و بقي كثير من المعاني لا يمكن التّعبير عنها لعدم النقل وذلك ينافي حكمة الوضع ." [1] فهو يؤكّد من خلال هذا النّص زوال مقولة أنّ اللّغة تؤخذ نقلا فذاك ينافي طبيعة اللّغة المتطوّرة المتغيّرة ولابد بعدئذٍ من قانون يحكم الظاهرة ، فلا تترك اللّغة لسنّة التطوّر العشوائي فتنمو كالفطريات العشوائية ، بل يجب أن يتحكم العقلاء في أمرها ويحتكموا إلى قانون خاص بها وهو هذا القياس . وبذلك يعطي ابن الأنباري المبرر لضرورة إجراء النّحو علي أسس قياسية لأنّ طبيعة النّحو تخالف طبيعة اللّغة التي أخذت بالمشافهة والنّقل فيقول :" ألا ترى أنّ اللّغة لمّا وضعت وضعا نقليا لا عقليا لم يجز إجراء القياس فيها ، واقتصر فيها على ما ورد به النّقل ؟ ألا ترى أنّ القارورة إنّما سمّيت قارورة لاستقرار الشيء فيها ولا يسمى كلّ ما يستقرّ قارورة ، وكذا سمّيت الدّار دارا لاستدارتها ولا يسمّى كلّ شئ مستدير دارا ؟ " [2] وهو ما يدفع النّاس للاجتهاد الدّائم في البحث عن كلمات جديدة تناسب المعاني الجديدة وتلك هي دورة حياة اللغة التي يجب أن تؤخذ بالقياس

أما ما زاد في حياة المتلاغين من معاني عبر الأزمنة فإنّ طريق القبض عليه في عالم اللّغة هو القياس ، لأنّه هو الآلية التي تنتج اللّغة ، وتصنع الكلمات ، حسب ما يحدّد أهلها ، وما تتّفق عليه الجماعة اللّغوية وهنا تظهر ثقافات الشعوب وتتحدّد هويّاتها ، وتتعيّن إرادتها وتتّضح آرِؤاها اتجاه لغاتها ، وتبرز مظاهر تقدّمها أو تأخّرها .

ما نخلص إليه من كل هذه النصوص لابن جنيّ وابن الأنباري هو اتفاقهما على جعل القياس دليلا قاطعا من أدلة النّحو، وقد سعى كلّ منهما إلى الدفاع عنه و ترسيمه مطلبا أساسيا وكما تتداخل علوم العربية جميعها وتتقاطع فروعها ، نجد أنّ القياس نقطة تقاطع بين علم النحو وعلم أصول النحو ؛ فإذا كان النحاة قد نظروا إليه بوصفه آلة لصنع الكلمات واستمرارية اللغة

[1] ابن الأنباري ، لمع الأدلّة ، ص99.

[2] ابن الانباري : لمع الأدلّة ، ص99 100.

مرهونة به ، ومنه فقد أعظموا شأنه خمسين مسالة في القياس أفضل وأنبه من كتاب في عيون الناس ، ثم اهتموا بتفاصيله الجزئية وعلله التفصيلية وسعوا للقبض على تلك الأحكام النحوية وجعلوها بمثابة القوانين الصّارمة ، التي لا يتجاوزها متجاوز إلاّ وهو لاحن ومخطئ وفي ذلك معارك كثيرة تتراوح بين الطرافة والعنف والغضب بين الشعراء والنحاة والنقاد والبلاغيين.

فإنّ علماء أصول النحو قد نظروا إليه بوصفه علما معضودا ، ينظر في كليات الأمور فبحثوا أدلّته الإجمالية ، لتكون شفيعا للأحكام الكليّة ، وبذلك يتم التعويل في " إثبات الحكم على الحجّة والتعليل ، والارتفاع من حضيض التّقليد إلى يفاع الإطلاع على الدّليل. " [1]

فالقياس همزة وصل بين النّحو، وأصول النحو وهو علم وعمل اكتمل على مرحلتين بارزتين **الأولى** كانت من صنيع النّحاة الذين بدأت بأبي الأسود الدّؤلي ، والخليل ، وسيبويه وعيسى بن عمر، والحضرمي وغيرهم ، وهؤلاء هم الذين حدّدوا مسائله الأولّية كموضوع الابتداء والإخبار والتّعريف ، والإنكار، والإفراد ، والتثنية ، والجمع ، والاستثناء، وكلّ أبواب النّحو ووضعوا قواعده الجزئية وتفاصيله التطبيقية التي استنبطت من استقراء كلام العرب ، وعند هذه المرحلة نضج معظم علم النحو ، وهؤلاء " أرادوا أن يضعوا للغة أحكاما عامة على أساس ما انحدر إليهم من نصوصها "[2] معتمدين في ذلك على ما سُمع ودُوِّن وهذا هو المعنى الأول من معاني القياس .

و**الثانية** هي مرحلة أنضج من الأولى ، وتستغرقها في الوقت نفسه ، فقد تغيرت فيها ظروف المجتمع الإسلامي ، وتغيّرت مطالبه اللغوية ، وتوجّهت أنظار العلماء إلى إمكانية استنباط ألفاظ جديدة على قياس اللغة القديمة لتدخل في الاستعمال " هنا أخذ القياس اللغوي معنى جديدا لم يكن مألوفا لدى سيبويه " [3] هو من صنيع علماء أصول النّحو منهم أبوعلي الفارسي زعيم مدرسة القياس في القرن الرابع ، وابن السّراج ، وابن جنّي ، وغيرهم ، وهؤلاء " عنوا بالأسس

---

[1] السيوطي : الاقتراح في علم أصول النّحو ، ص 14.

[2] إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة ، ص18.

[3] إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة ، ص18.

الكلّية التي تحكم التّقعيد النّحوي ." [1] وبلغة القرون الهجرية ، وحسب استقراء أحمد أمين فإنّ المعركة النّحوية كانت في القرن الثّاني ، وامتزجت آراء البصريين مع الكوفيين في القرن الثالث ، ثم شهد القرن الرّابع تمام هذا الامتزاج * لا يعني ذلك أنّ هناك انفصال مرحليّ واضح لكن يتعايش المعنيان ، زمنا وتكون السيطرة والغلبة للمعنى الجديد على حساب القديم .

وهذا التدرّج في الأحكام ، والتدرّج في ظهور العلوم واكتمالها هو ما أطلقنا عليه سابقا التّدرج الطبيعي في العلوم ، قال أحمد أمين في علماء المرحلة الثّانية : " لزّجّاج أستاذ أبي علي الفارسي وهو من علمت في التّوسّع في القياس ، والتّوسع في الاشتقاق ، و أبوعلي الفارسي هو الذي أنجب ابن جنّي الذي سار على مذهب أستاذه وتوسّع فيه ." [2] فهي جهود علماء تتلاحق مكمّلة بعضها البعض لتبني بعضها البعض " ولم يكن لهذا النّحو النّماء الذي نراه الآن والتّفرّع في البحث والاحتجاج القوي ، والقياس الدقيق والتحليل البارع ، إلاّ في القرن الرّابع للهجرة ." [3] في المرحلة الموالية أخذ القياس مفهوما مغايرا للمفهوم السابق [4] وبدأ يرتقي لمعالجة مسائل أصول النحو ، بمعنى أنّ هناك مرحلتان متمايزتان لتحديد معنى القياس **فالمرحلة الأولى** كانت قراءة أوّلية في كلام العرب الخلّص بحثا عن " مدى اطّراد الظّواهر وشيوعها ، وما يقتضيه ذلك من جمع النّصوص اللّغوية واستقراء مادّتها ." [5] وهي مرحلة علم النّحو التي جمعت فيها المادة الأولية وصنعت منها القوالب وجرّدت النّماذج وتأسست القواعد .

أمّا **المرحلة الثّانية** فهي مرحلة أصول النحو وهي مرحلة التّنظير لقواعد وأسس لتوليد اللّغة فهي تسعى " لإلحاق بعض الظّواهر أو النّصوص ببعض." [6] هي مرحلة لإلحاق كلام

---

[1] عادل أحمد عبد الموجود : التّوظيف الأصولي ، للنّحو ، ص69.

* ينظر في ذلك أحمد أمين : ظهر الإسلام كلمات هنداوي ، ت ط 2013 ، ص347.

[2] أحمد أمين : ظهر الإسلام ، ص348.

[3] سعيد جاسم الزّبيدي : القياس في النّحو العربي نشأته وتطوره ، ص13.

[4] علي أبو المكارم : أصول التّفكير النّحوي ، ص77

[5] علي أبو المكارم : أصول التفكير النّحوي ، ص77.

* يأتي تفصيل ذلك في الفصل الثالث ، مبحث الارتجال .

[6] علي أبو المكارم : أصول التفكير النحوي ، ص 77

المولّدين الذي لم يسمع من العرب الخلّص ، بكلام العرب في الفصاحة ، هي مرحلة للتّفاصيل الجزئية والعلل الفرعية التي أوجبت تلك القياسات في **الألفاظ والأحكام والظّواهر والنصوص**. وليس معنى ذلك أنّ العرب لم يلحقوا كلاما بكلامهم قبل هذا الزّمن بل يثبت التّاريخ أنّ ارتجال اللّغة قد كان منذ عهد رؤبة وأبوه العجاج *. ويمكن تلخيص الأمر إجمالا أنّ بين النّحو وأصول النحو تلاحق وتواصل ، وأن علماء أصول النّحو سموا بالبحث من الفروع إلى الأصول وانتقلوا من فرض القواعد إلى وصف الحقائق ، وتدرّجوا من انشغال النّحاة المحدود باللّغة التي تجري بين أيديهم ، إلى عمل أكبر وهو تصوّرهم لحقائق تلك اللّغة وتعليل ظواهرها ، ضبطا وقياسا وتجريدا .

لم نشهد مصطلحا أسيء فهمه كالقياس لقد توالى تغيّر مفهوم القياس بتغير القرون والأزمنة فدلّ في بدايته على الإحكام للّغة وتقييد نماذجها من أفواه العرب كان ذلك على عهد الخليل وأبي الأسود الدّؤلي ، ثم دلّ على استنباط صور جديدة في صيغ أو دلالات أو تراكيب مع القرن الثالث الهجري لينتقل بعد ذلك إلى رتبة أهم مع الفارسي الذي أعظم شأنه خمسين مسالة وابن جني وابن الأنباري وغيرهم ، وإذا أردنا أن نتكلم عن المنهج ككل فإنّ الأوائل من النحاة قد اعتمدوا السّماع والقياس على السّماع ثم أضاف الآخرون الإجماع واصتصحاب الحال فيما لم يرد عليه دليل من سماع أو إجماع أو قياس وتمت " الصياغة المنهجية لأصول النّحو مجتمعة ،على يد ابن جني و ابن الأنباري ثم السيوطي فاستوى بذلك علما له منهجه وحدوده ."[1] وقد أُردفت المرحلة الثانية بمفهوم ثالث يُعدّ امتدادا لسابقه لأنّه مبالغة في التعليل وأسرف المتأخّرون من النحاة في القياس كثيرا عندها شاعت عبارة النحو كلّه قياس .[2]

ومع هذا التّغير الذي طرأ على مفهوم القياس من مرحلة لأخرى نجد بعض المعاصرين يعطون أحكاما مغايرة لما سبق من كل تلك المعطيات ، ويجعلون القياس قياسا واحدا يقول محمد حسن عبد العزيز : " والمحدثون لا يرون القياس . مع أنه جزء من القواعد . عملية تقعيد ، بل هو

[1] محمود أحمد نحلة : أصول النّحو العربي ، دار العلوم العربية ، بيروت لبنان ، ط 1 ، ت ط 1987 ، ص6 .

[2] إبراهيم أنيس : أسرار اللغة ، ص19.

نشاط لغوي يمارسه الفرد بابتداعه صيغة جديدة ، على وفق صيغة أخرى باطراد ، وهو عملية قائمة على أساس المشابهة بين المقيس والمقيس عليه في الشكل أو في المعنى . " [1]

المبحث الخامس : من السماع إلى القياس الأقسام والحدود والأصول والفروع .

عرف عن العرب ميلهم الشّديد إلى استخدام القياس استخدما عمليا وذلك عن طريق عمليات الإلحاق الواسعة التي تجري في حياة اللّغة ، و على ألسنة المتكلّمين وهذا الأمر لم يكن مبهما عند علماء العربية منهم ابن خلدون ت 732 هـ جنح للقياس الاستعمالي في حديثه عن ملكة اللّغة و ركّز على السّماع وجعله هو الأساس الذي يسمح بالتّكرار ، ومنه يكون الإبداع ، ويحصل القياس. بعد ذلك فهو تحصيل حاصل " فالمتكلم من العرب يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصّبيّ استعمال المفردات فيلقفها أولا ، ثم يسمع التّراكيب بعدها فيلقفها كذلك ، ثمّ لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كلّ لحظة ، ومن كلّ متكلّم واستعماله يتكرّر إلى أن يصير ملكة وصفة راسخة."[2]

وطبعا بعد أن تحصل الكفاية اللّغوية يصبح السّامع قادرا على الإبداع والإبداع هو قياس الكلام الجديد على المسموع القديم يعود لطبائعهم ، وقد عرفنا سابقا العلاقة بين اللّغة ومستعملها ، فالعرب يكثرون من التّجانس والتّشابه وحمل الفروع على الأصول وهذا كثير في كلامهم وفي مجالات متنوعة من أحداث اللّغة .مثل

الاستعمال وما سمع استعماله " لابدّ لكلّ قياس من مستند سماع ." [3] فلا قياس بدون سماع و لابدّ من الاعتماد المطلق على المسموع ، ولا غير المسموع يقول سيبويه :" استحسن من هذا ما استحسنت العرب وأجره كما أجرته ." [4] لكن مرّة أخرى يشترط في ما يقاس عليه أن

---

[1] محمد حسن عبد العزيز: القياس في اللّغة العربية ، مط ، دار الفكر العربي ، مصر ، ط 1 ، ت ط 1995، ص13 14.

[2] ابن خلدون :عبد الرحمان ، **المقدمة** ، تحقيق علي عبد الواحد وافي ، لجنة البيان العربي ، ط2 ، بيروت لبنان ، د ت ،ج 4 ، ص1389.

[3] السيوطي ، الاقتراح ، ص21.

[4] سيبويه ، الكتاب ، ج1 ، ص255.

يحظى بشرف السّماع ؛ والسّماع رتبة هامّة تختلف عن الرّواية وتفوقها أهميّة عند العلماء ، لذلك فالسماع ما يرويه العالم بعد سماعه بنفسه ، وأمّا ما يرويه عن عالم أخر أو عن جيل سابق من العلماء أو عن مصنّف من المصنّفات اللّغوية فلا نعدّه سماعا وإنّما نعدّه رواية . "[1] وفي مطلق الأحوال " السّماع والنّقل هو الأصل الأوّل من أصول النّحو العربي ." [2]

وبذلك طغى مصطلح السماع على الرّواية وفاقه في الأهمية وقد ارتبط هذا الأخير مع مصطلحي **الإطراد والشّذوذ** فلا شيء يسمع إلاّ و قد لازمته صفة القلّة أو الكثرة .

١. بين القياس والسماع

نظر علماء العربية في أمر تتابع الكلمات واستمرارها على الألسنة أو ندرتها وانقطاعها وتهافتها فقال ابن جنّي : " جعل أهل علم العرب ما استمرّ من الكلام في الأعراب وغيره من مواضع الصّناعة مطّردا ، وجعلوا ما فارق عليه بقيّة بابه وانفرد من ذلك إلى غيره شاذّا ." [3] وقال السّيوطي " أصل طرد في كلامهم التّتابع والاستمرار، وأمّا مواضع شذذ في كلامهم فهو التفرّق التفرّد ."[4] و يقصد بالاطّراد اتّفاق جميع النّماذج اللّغوية على الحالة التي ستصير القانون الذي سيصاغ في شكل قاعدة ثابتة وهي في حدّ ذاتها طريقة بارعة في التّصنيف ،ورؤية علمية عملية في الفرز لكم الكلمات المسموعة استعدادا للتجريد وإطلاق الأحكام فهي مشاهدة حية للحوادث وإذا اطّردت الأمثلة والنّماذج استدعى الأمر قيام قاعدة نحوية تُجرّد قياسا على ما سُمِع و رغم هذه القاعدة العامة التي انطلق منها النحاة وهي كما سبق القول ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ، إلاّ أنّ الواقع الاستعمالي يفرض نفسه ويملي مقاييسه فتتحدّد أربعة أنماط من المسموع .

---

[1] علي أبو المكارم : أصول التّفكير النّحوي ، ص33.

[2] محمود أحمد نحلة : أصول النّحو العربي ، ص 31.

[3] ابن جني ، الخصائص ، ص108 ،109.

[4] السيوطي :المزهر في علوم اللّغة وأنواعها ، ص187.

وما يقرّه عبد الرّحمان الحاج صالح في هذا السّياق هو تحرج علماء العربية من كلّ ما لم يخضع لهذه المقاييس العلمية في ميدان المتابعة الميدانية والمشاهدة الحيّة والسّماع هو حادث تاريخي هام لم نشاهد له نظيرا في ما قبل هذا العصر من تاريخ العلم .[1]

أحاديث و أصناف المسموع الأربعة يلخّصها ابن جني حسب مقياس الاطّراد والشّذوذ فيقول : " أنّ الكلام في الاطّراد والشّذوذ على أربعة أضرب . " [2] علما أنّ المطّرد يتجاذب مع الشّاذّ فمتى حضر الأول غاب الثّاني والعكس صحيح .

إلاّ أنّ العرب لم تترك شيئا يشذ إلاّ حفظته وقدّرت به وجها أو تأويلا أو رأيا قال السيوطي ما ينسبه لابن السراج " فينبغي أن تعلم أن القياس إذا اطّرد في جميع الباب لم يكن بالحرف الذي يشذّ منه .وهذا مستعمل في جميع العلوم ، ولو اعترض بالشّاذ على القياس المطّرد لبطل أكثر الصناعات والعلوم ، فمتى سمعت حرفا مخالفا لا شكّ في خلافه لهذه الأصول فاعلم أنّه شذّ ، فإن كان سمع ممّن ترضى عربيته ، لابدّ أن يكون قد حاول به مذهبا ، أو نحا نحوا من الوجوه ، أو استهواه أمر غلطه ." [3]

ولكنّ الشّاذ في مطلق الأحوال لا يجعل حجة على الأصل.

النوع الأول : مطّرد في القياس والاستعمال جميعا[4].

"وإذا فشا الشّيء في الاستعمال وقوي في القياس فذلك مالا غاية وراءه " [5] فهو النوع المطلوب والكلام المرغوب والأمثلة في ذلك كثيرة تفوق الحصر ولا خلاف في هذا النّوع مثل:

- قام زيد
- ضربت عمرا

---

[1] مقال عبد الرّحمان الحاج صالح ، عن إبراهيم أنيس : الأصوات اللّغوية ، ص526.

[2] ابن جنّي : الخصائص ، ص109.

[3] السيوطي : المزهر ، ج1 ، ص190

[4] ابن جنّي : الخصائص ، ص109.

[5] ابن جنّي : الخصائص ، ص128

- مررت بسعيد

و كلّ ما جرى على الألسنة وانقاد في اللّغة من النّصب بحروف النّصب، والجرّ بحروف الجرّ والجزم بحروف الجزم فهذا كلّه من معقول القياس ومسموع الكلام .

النوع الثّاني : مطّرد في القياس ، شاذّ في الاستعمال [1]

" إذا كان الشّيء شاذّ في السّماع مطّرد في القياس ." [2] هذا النموذج كثرت أمثلته في القياس قلت فيما سمع عن العرب ويدور حوله الخلاف وأمثلته كثيرة منه:

. مثل : قول العرب مكان مبقل فهذا مسموع بقلّة وهو المطّرد في القياس لكنّ الأكثر في السّماع والاستعمال فيه هو باقل .

مثل: مفعول عسى اسما صريحا يغلب القياس فيه قولك

هنا يجب أن تحمى سليقة العرب ومعنى التّحامي هو أن تأتي ما أتوه وتمتنع عن ما امتنعوه ولا يصح أن تتجاوز تلك الأمثلة وتقيس عليها

ومنه الماضي في : يذر ويدع قال سيبويه " وأمّا استغناؤهم بالشّيء عن الشّيء فإنّهم يقولون يدع ولا يقولون ودع. " [3]

النّوع الثّالث : المطّرد في الاستعمال الشّاذ في القياس [4]

هي حالة يغلب فيها الاستعمال ويسيطر رغم شذوذ تلك الظواهر في القياس وهذا النوع فيه نظر وذلك باعتبار ما تحامته العرب بالاستعمال فسمع عنها وأكثرت من استعماله، يقول ابن جنّي :" واعلم أنّ الشيء إذا اطّرد في الاستعمال وشذّ عن القياس ،فلابدّ من استعمال السّمع الوارد به فيه

---

[1] ابن جني : الخصائص ، ص109.

[2] ابن جنّي : الخصائص ، ص110.

[3] سيبويه : الكتاب ، ج1 ،ص25.

[4] ابن جنّي : الخصائص ، ص109.

نفسه ،لكنّه لا يتّخذ أصلا يقاس عليه غيره . " [1]ويختار ابن جنّي ترك القياس المحصل واعتماد السماع رغبة كلام العرب في قوله : " واعلم أنّك إذا أدّاك القياس إلى شيء ما ثمّ سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره ، فدع ما كنت عليه إلى ما هم عليه ." [2] مثل : استحوذ وقد وردت في قوله تعالى: (**اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمْ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ**) [3] لماّ وردت في القرآن الكريم بهذا القياس نجدها شاذّة عن مقاييس العربية و " هذا ليس بقياس ؛ لكنّه لابدّ من قبوله ؛ لأنّك إنّما تنطق بلغتهم ،وتحتذي في جميع ذلك أمثلتهم ." [4]

مثل: . استتيست الشّاة

. استنوق الجمل

. أغيلت المرأة وهي كلمات سمعت عن العرب تقبلها لكنّك لا تتّخذها قياسا فتقول في :

. استقام استقوم

. استباع استبيع

في صائم وقائم . صومة . و قومة [5]

النوع الرابع : الشّاذّ في القياس والاستعمال جميعا [6]

" وأما ضعف الشّيء في القياس وقلّته في الاستعمال فمرذول مطّرح " [7] ويستثني ابن جنّي من هذا جزءا بقوله : " غير أنّه قد يجيء منه الشيء إلاّ أنّه قليل ." [8] وهذا الاستثناء الذي يخرج من

---

[1] ابن جنّي : الخصائص ، ص110.

[2] ابن جنّي : الخصائص ، ص122.

[3] سورة المجادلة ، الآية 19.

[4] ابن جنّي : الخصائص ، ص122.

[5] ابن جنّي : الخصائص ، ص122

[6] ابن جني : الخصائص ، ص110.

[7] ابن جنّي : الخصائص ، 128.

[8] نفسه ، ص.129

النوع الرّابع يسمح بمروره لكن يمنع الصّنف الأخير منعا كاملا باتّفاق القياس والاستعمال معا من ذلك :

مثل . تتميم صيغة مفعول فيما عينه واو نحو : . ثوب مصوون

. فرس مقوود

. رجل معوود

وهذه العبارات لا يحسن استعمالها في ما استعملته فيه العرب ، ولا القياس عليها ولا تصحّ إلاّ للتمثيل على وجه الحكاية ، بمعنى أنّها قابلة للتمثيل غير قابلة للقياس .

وقد تعامل علماء العربية مع هذه الأوضاع بشبه اتّفاق أي أنّ " الأوّل قبله الجميع والثّاني رفضه الجميع وبقي الخلاف حول الثّالث والرّابع . " [1]

. ب حدود المصطلحات

لكن ما هي حدود تلك المصطلحات والمقاييس ؟ أي ما هي حدود الشّاذ و المطّرد و القليل ، والنّادر، والكثير والأكثر ؟ وهو " أمر لم يتحدّد في أذهانهم تحديدا دقيقا " [2] كما أنّ هذه المصطلحات كانت تقدم عملا نظريا مقبولا ، فماذا عن مدى إمكانية تطبيقها عمليا ؟ بمعنى أنّ هناك خلاف في مجال تطبيق تلك المصطلحات في ما تعلّق برؤيتهم للظاهرة الواحدة وإن كانت الأمثلة كافية لتكون قياسية أم لا ، حاول ابن هشام الأنصاري أن يستدرك هذا النّقص الأمر لكّنه أسرف قليلا في التقسيم والتجريد [3] حينما ذهب إلى " أنّهم يستعملون غالبا ، وكثيرا ، ونادرا ، وقليلا ، ومطّردا . فالمطّرد لا يتخلّف ، والغالب أكثر الأشياء لكنّه يتخلّف ، والكثير دونه ، والقليل دونه ، والنّادر أقلّ من القليل " [4] ومع هذا التقسيم والتبويب للمصطلحات إلاّ أنّ الحدود لم

---

[1] توفيق محمد شاهين : عوامل تنمية اللّغة العربية ، ص67.

[2] إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة ، ص20.

[3] علي أبو المكارم : أصول التفكير النّحوي ، ص96.

[4] السيوطي : الاقتراح ص36

تك بيّنة جليّة ، لذلك فقد واصل سعيه لإيجاد الحدود الفاصلة بينها فقال : " والعشرون بالنسبة إلى ثلاثة وعشرين غالب ، والخمسة عشرة بالنسبة إليها كثير لا غالب والثلاثة قليل والواحد نادر *[1]"

وهي حسبة دقيقة لو تمّ اعتمادها نموذجا ومقياسا تقاس بها نسب الكلمات التي يُراد تصنيفها في أي مسألة من مسائل اللّغة، ويمكن لمستخدم هذا القياس أن يتوصّل من خلاله إلى تصنيف يقوم على منطق معين في حدود تلك المصطلحات ، لكن ماذا عن نتائج تلك الحسبة وكيف ستكون القواعد التي تُبنى على ذلك الحساب .

. مواصفات مقاييس المقيس عليه

. الكثير: يُفترض في المقيس عليه أساسا أن يكون كثيرا ؛ أي كثير الورود في كلام العرب سواء تعلّق الأمر بنصٍ هذا ينبغي أن تواجد نصوص أخرى تماثله وتتفق معه تزيد في قياسيته وإذا كان قاعدة أو حكما نحويا فيشترط أن لا يتوفر من القواعد ما يناقضه ، وبذلك يتحقّق التجانس والتناسق في المثال أو المنوال الذي سيحاك على منواله كلّ جديد .

. القليل : الكثرة ليست من شروط المقيس عليه ، فقد أجاز النّحاة القياس على القليل ، وقد عقد له ابن جنّي بابا أثبت فيه جواز القياس على القليل كما في مسألة **ركوبة وحلوبة** التي يقال في النّسب إليهما ركبي ، وحلبي قياسا على **شنوءة** والنسبة فيها شنئيّ إذ ورد المقيس عليه في هذه الحالة كلمة واحدة وقد اعتبر القياس فيها قياس على القليل وليس قياس على الشّاذ والسبب هو عدم ورود ما يناقضها قال فيها الأخفش :" إنّما جاء هذا في حرف واحد وهو جميع ما جاء ويقصد بذلك أنّ ما جاء من مقيس عليه كلمة واحدة هي كلمة شنوءة . [2]

---

[1] السيوطي : الاقتراح ص36

* ورد هذا النص على لسان السيوطي قال : " لو اعتبرنا المطّرد ثلاثا وعشرين كلمة لكان الغالب بالنسبة إلى الباقيات عشرين والكثير خمسة عشرة و القليل ثلاثا والنّادر واحدة ." المزهر ، ج1 ، والنصان متفقان معنى .

[2] علي أبو المكارم : أصول التفكير النّحوي ، 97.

وفي العموم يكون القياس على القليل . إذا كان اللّفظ فردا لا نظير له في ما سمع من ألفاظ " وهذا يقبل و يحتج به ويقاس عليه إجماعا "[1]

. أن ينفرد به المتكلم ولا يسمع من غيره لا ما يوافقه ، ولا ما يخالفه وتتدخل مسألة الثقة أي من يوثق بعربيته ، من أمثال ابن أحمر قال فيه ابن جنّي: " والقول في هذه الكلم المقدّم ذكرها وجب قبولها ، وذلك لما ثبتت به الشّهادة من فصاحة ابن أحمر فإمّا أن يكون شيئا أخذه عن من ينطق بلغة قديمة لم يشارك في سماع ذلك منه ، وإمّا أن يكون شيئا ارتجله ابن أحمر فإنّ الأعرابي إذا قويت فصاحته ، وسمت طبيعته تصرّف وارتجل ما لم يسبقه أحد قبله به . " [2]

الشّاذ : الشّاذ هو ما خالف القواعد النّحوية ، والنصوص اللغوية مسموعة أو مروية وموقف نحاة العربية من الشّاذ واضح ، فهم لم يفتحوا باب القياس عليه لكي لا تتّسع دائرة الشّذوذ في اللّغة وتضطرب قواعدها وتختلط أصولها . [3] كما أنّ الشّاذ لا يجعل أصلا يقاس عليه ما جدّ أنّ القياس على الشّاذ قياسا مطلقا ممنوع في عرف نحاة العربية ، ولا يُفعل ذلك إلاّ في الضرورة ، ويقصد به الضرورة الشعرية.

. ج الأصل والفرع مصطلحان أساسيان في القياس .

لقد كانت فكرة الأصل والفرع بابا كبيرا من أبواب النحو في العربية ، دلّت على تحكّم القوم في كلامهم وقدرتهم على تمييزه ، وترتيبه ، في نفوسهم ، وضعا واستعمالا وتقعيدا ،وهذا ليس بدعا في العربية ، بقدر ما هو دليل على تماسك بنيانها ، وحكمة وضعها ، ومهارة واضعها. قال ابن فارس: " للغة العرب مقاييس صحيحة، وأصولا تتفرّع منها فروع." [4]

---

[1] السيوطي : الاقتراح ، ص22.

[2] ابن جنّي : الخصائص ، ص21 22 .

[3] على أبو المكارم : أصول التفكير النحوي ، ص 99.

[4] ابن فارس : مقاييس اللغة ، د ت ، د ط ، المقدمة .

و فكرة الأصل والفرع هذه تطال الكلام والأحكام معا ، خاصة ما تعلّق من الأحكام بمعاني الإعراب قال السيوطي : " واضع اللغة حكيم ، يعلم أنّ الكلام عند التركيب لابدّ أن يعرض فيه لَبْسٌ ، فحكمته تقتضي أن يضع الإعراب مقارنا للكلام "[1]

فنحو العربية نسيج من أديمها ، واستنباط من رحمها ، تلاحقت أحكامه ، وتأسّس بنيانه على هديٍ من تلك اللّغة ، قال ابن جني : " لمّا كان النّحاة بالعرب لاحقين وعلى سمتهم آخذين وبألفاظهم متحلين ، جاز لصاحب هذا العلم أن يرى فيه نحوا ممّا رأوا ، ويحذوه على أمثلتهم التّي حذوا ، لاسيما والقياس إليه مصغ وأنّ سيبويه لاحق بهم."[2]

فالنّحاة لم يخرجوا عن سمت المتكلمين في عربيتهم ، ولم يأتوا بالغريب ، بل قد نسجوا أحكامهم النحوية على خطى العربية المسموعة ، التي ظلّ العرب يتداولوها في جزيرتهم بمعنى أنّ تغليب الفروع على الأصول لم يكن حكرا على النحاة ، بل إنّه أمر يتعلق بكلام العرب إجمالا ، فالشعراء وهم أقرب للّغة من العامّة ، حين يلجأون للتشبيه ؛ كثيرا ما يؤثرون تغليب الفرع على الأصل، ويفضّلون أن تكون الصفة أصلا لغرض المبالغة ، وذلك " أنّ يوهم في الشيء هو قاصر عن نظيره في الصفة أنّه زائد عليه في استحقاقها ، واستحباب أن يُجعل أصلا فيها ، فيصبح على موجب دعواه وسرَفه أن يجعل الفرع أصلا . "[3]

و يبرّر لهذا الأمر بأنّ الكلام سابق الإعراب في المرتبة ، وقد تلفظت العرب به زمانا غير معرب ثم رأت اشتباه المعاني فأعربته أو نطقت به معربا في أوّل تبلبل ألسنتها به ولا يقدح ذلك في سبق رتبة الكلام "[4].

---

[1] السيوطي : جلال الدين ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، تحقيق أحمد شمس الدين ، مج 1 ، دارالكتب العلمية ، بيروت لبنا ن ، ج1 ، ص56.

[2] ابن جنّي :الخصائص ، 249.

[3] عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر ، دار المدني ، ط 1 ، ت ط 1991 ، ص223.

[4] السيوطي : همع الهوامع ، مج 1 ، ج1 ، ص56.

قال ابن جني في باب تغليب الفروع على الأصول وهذا التّفريع والتّأصيل : ".تجده في معاني العرب ، كما تجده في معاني الإعراب "[1]امثلة المعاني ص243

الأصل والفرع ، قال سيبويه " واعلم أنّ بعض الكلام أثقل من بعض ، فالأفعال أثقل من الأسماء ، لأنّ الأسماء هي الأولى ، وهي أشدّ تمكّنا فمن ثَمّ لم يلحقها تنوين ولحقها الجزم والسكون ، وإنّما هي من الأسماء ألا ترى أنّ الفعل لابدّ له من الاسم ، وإلاّ لم يكن كلاما ، والاسم قد يَستغني عن الفعل ، تقولُ : اللّه إلهنا ، وعبد الله أخونا" [2]

هذا الأساس المتين قام عليه القياس برمّته والنحاة ، و هم يتدبّرون المسموع وجدوه كثيرا متنوعا من حيث قوام الكلمات ، وأصالتها ، وتبعيتها ، فأرادوا أن يميلوا به إلى التّجريد والاختصار ، ويجعلوا له ضوابط وأحكاما ، عندها فكّروا في جعل بعض الكلمات أصولا والأخرى فروعا عليها ، وهذان قسمان متمايزان لأنّ بعض الكلمات تمثّل الأسس الأولى لبناء العربية ، وبعضها يكون مكملا يكتمل به جسم العربية وبناؤها ، وبذلك كانت فكرة الأصل والفرع منطلقا وهدفا معا ، وقد أعانت هذه الفكرة الدراسات النحوية كثيرا ودفعتها إلى الدقة و الانضباط ووصلت بها رتبة العلم المضبوط .

لذلك " أقام النحاة تحليلاتهم على الأصل والفرع لأنّهم يعتبرون النّظام النّحوي كلّه أصولا وفروعا ، التّفريع على الأصول مفهوم يبنى عليه النّحو العربي كلّه بل علوم العربية كلّها."[3]

فالعرب تميل إلى التّجانس وتؤثر حمل الفرع على الأصل ، وإذا نظرنا في واقع كلامهم وتدبّرنا أمره عرفنا قوة عنايتهم بهذا الشّأن ، فالتأصيل والتفريع وسيلة للتّصنيف والتّبويب ،وإدخال للكلام في أبواب ينتمي إليها ، ويعرف بها وهو بذلك مُنتظَم ، وليست اللّغة إلاّ نظاما من الإشارات والرموز ، فيجمل بهذا النظام أن ينتظم في قوانين ومسالك محددة ، يحتكم إليها فيه .

---

[1] ابن جني : الخصائص ، 243.

[2] سيبويه : الكتاب ، ج1 ، ص21 .

[3] عبد الرحمان الحاج صالح : النحو العربي والبنيوية ، ص18

– د تطور نظرية الأصل والفرع

لم يثبُت مصطلح الأصل والفرع هو الآخر على مفهوم واحد ، بل تشعّبت أفكاره وتعددت معانيه ، وهو بمثابة الفكر النظري الأعلى ، والأكثر تجريدا للكلام الذي يتداوله المتكلمون ،تطور مفهومه بتطور الدرس النحو العربي، ثم بما طرأ على النحو من تحوّل وتبدّل في أساليب دراسته ، شأنه شأن غيره من المصطلحات التي تطور معناها، وتغير دون أن يتغير لفظ الأصل والفرع ؛ و من الشائع في مثل هذه المواقف أن يمتّ المعنى اللاحق للمعنى السابق بصلة ما.

ومع أنّ مصطلح **الأصل** مرّ بمرحلتين ؛ حيث كان في الأولى مصطلحًا بارزًا من مصطلحات النحو، وأضحى في الثانية مفهومًا أساسيًّا في علم أصول النحو، دون أن يتغيّر لفظه بل بقي ثابتًا ، واستوعب كلّ ما طرأ عليه من دلالات في النحو وأصوله [1] ، وظلّ يدور في فلك النحو، ويهتم بقضايا تتطلّبها الدراسات النحوية ذاتها ، مثل موضوع " أجناس الكلم من حيث البناء والإعراب ، ثم العوامل ومراتبها في العمل ."[2]

والنحاة في دراساتهم النحوية كلّها يلحّون في الطلب على تثبيت الأصول ثم تفريع فروعها لأنّ " الحمل على الأصول أجوز من النزول إلى الفروع ." [3] وينطلقون من خطوط كبرى عريضة ، تملي عليهم أحكاما معينة جعلوها بمثابة الأصول والأخرى فروع لها .

فالأصل هو ما بني عليه ولم يبن على غيره ، وكثير من المفاهيم هي عبارة عن أصول وأخرى فروع " النكرة والمفرد و المذكر" أصول ، فهي ثوابت تُتَّبع بينما تكون "المعرفة والجمع والمؤنث " فروع عليها ، والأصول موجودة في الفروع مع الزيادة وهي أداة التعريف وعلامة الجمع وعلامة التأنيث .

---

[1] حسن خميس الملخ : نظرية الأصل والفرع في النحو العربي ، مط دار الشروق العربي ، القاهرة مصر ، ت ط 2001 ، ص71.

[2] منى إلياس : القياس في النحو ، ص32.

[3] ابن جني : سر صناعة الإعراب ، ج1 ، ص13.

والملاحظ كذلك أنّ " الأشياء الأوّل تكون مفردة لا تركيب فيها ، بمعنى المذكر أصل والمؤنث فرع عليه "[1] النكرة أصل والمعرفة فرع عليها ، والمفرد أصل والمثنى والجمع يتفرعان عنه .

والأمر نفسه في الحركات الإعرابية ، إذ جعلوا الحركات الإعرابية أصولا ، وسائر العلامات الإعرابية التي تدلّ على التصرف الإعرابي عبارة عن فرع عليها ، والعوامل منها ما هو أصل في العمل كالأفعال وحروف الاستفهام ، بينما جنّبوا الأسماء هذه الوظيفة لأنّ الأصل فيها أن تكون معمولة ، وإن وجد ضرب من الأسماء يخرج عن هذا الإطار ويكون عاملا اجتهد النحاة في البحث عن علل عملِ لها ويصير العمل فيها فرعا لا أصلا .

وهو أوكد لكثرته ووفرته ، ويؤكّد هذا قضية الأصل والفرع في البناء والإعراب في الأسماء والأفعال فقد جاءت أحكام النّحو على أنّ الإعراب أصل في الأسماء لأنّ معظم الأسماء معربة فهذه كثرة يستثنى منها بعض الأسماء التي تخرج عن الأصل فتبنى بناء لازما ، كما أنّ البناء أصل في الأفعال وهذه كثرة يستثنى منها المضارع المرفوع ، ومن هنا كان البناء في الأفعال ، والإعراب في الأسماء أصلا لكثرته ووفرته ، بينما يجئ الإعراب في الأفعال والبناء في الأسماء فرعا عليه لقلّته و خروجه عن بابه الذي تمكّن فيه ، أمّا الحروف فقد وُجد فيها الحروف العاملة والمهملة ، وقد توصّلوا باستقرائهم الناقص إلى أنّ الحروف العاملة هي حروف مختصة بالدخول على الأسماء كحروف الجر، والدخول على الأفعال كحروف النصب والجزم ، فهي أصول تتدرج تحتها فروع كثيرة تعرف في أبواب النحو .[2]

والأشياء الأول لا تعني أنّها الأسبق في الاستعمال ، وإنّما يريدون بها ما كان أوكد في النفس، ومقدما في الإحساس ، ويلتزمون في ذلك بمراعاة مبدأ الأولية ؛ والأوّل عندهم سابق إلى النفس متمكّن فيها ، نابع من ذواتهم التي ينطلقون منها ويعودون أليها ، وهذا ما أكّدته الدراسات النفسية

[1] خديجة الحديثي : تيسير النحو ، ص332.

[2] منى إلياس : القياس في النحو ، ص34.37.

المعاصرة التي تعتمد أسسا تجريبية ، توصّلت من خلالها إلى أنّ الأسماء أقوى تمكنا في النفس والعقل ، و من ثمّ كانت أثبت وأوكد من الأفعال .

الخلاصة

مثلما كان القياس همزة وصل بين علوم كثيرة تداولته فيما بينها ، وهو بمثابة الآلية التّي أخذ كلّ علم منها بطرف ، كان كذلك مسألة هامة من مسائل النحو العربي ، واليوم هو أداة هامّة من أدوات العلوم الحديثة ؛ فلا يتحدّث المختصّ في أيّ مجال من مجالات العلوم الحديثة دون تدقيق أو قياس ، وإن اختلفت طريقة القياس من الهندسة ، إلى الفيزياء ، إلى البصريات إلى الرّياضيات ، إلى الطّب ، كما أنّه المعتمد في كثير من العلوم الإنسانية ، لذلك فجهود علماء العربية في هذا السياق جهود متقدّمة جبّارة ، خاصة وأنّهم استطاعوا القبض على ظاهرة ذات أبعاد (البعد الاجتماعي والبعد النفسي ، والبعد الفيسيولوجي للظاهرة اللغوية) . وهي من الصعوبة بما كان . استطاعوا أن يُخضعوا هذه الظاهرة للقوانين ، ويقبضوا عليها بالضبط والقياس .

الفصل الثاني:

التنمية الداخلية عوامل

ومؤهلات كامنة في بنية اللغة العربية

المبحث الأول : اللغة العربية ظواهر وملامح .

إذا كانت اللّغة أصدق وأظهر مظاهر الحياة الاجتماعية والعقلية والنّفسية ، فللعربية ما يميّزها من ملامح وخصائص وظواهر، جعلتها تنسب للعرب وتأخذ اسم العربية ، وتسلك مسلك كلّ اللّغات الطّبيعية إنّها " ملامحها الّتي مازتها عن غيرها من اللّغات ، وجعلتها لغة ذات ضوابط وحدود معيّنة ." [1] ولم تكن لغة العرب عفوا ولا رجما ولا استرسالا ، بل هي طبع جبلوا عليه ، فعانق أرواحهم وعلّق أفئدتهم بها ، فراحوا يعطونها العناية الفائقة بنوعية الألفاظ وحقوق المخارج ، وللإعراب نصيبه الكامل ، والمعتمد في كلّ ذلك هوالقرائح التي لا تميل بطبيعتها التي جُبلت عليها وخُلقت في طبعها ، إلاّ مع الاستخفاف متجنبة الاستثقال . [2]

هناك عوامل ذاتية ومواصفات هامّة تنبع من داخل اللّغة ذاتها، وهي التي تُكسبها شخصيتها التي تعرف بها بين اللّغات ، وهذه العوامل هي التي تحدّد طبيعة اللّغات ، ونوعياتها التي تحدّث عنها علماء اللّغات ، فقسّموا اللّغات بموجب ذلك إلى اللّغات الإلصاقية ، واللّغات العازلة ، واللّغات الاشتقاقية * قد تكون هذه العوامل في شكل مكتسبات إيجابية تظهر كظواهر وملامح فتؤهّل اللغة للتنمية ، أوتسهم في تطويرها وإمدادها بما يعينها على النّمو .

أمّا **الظّواهر** فهي أمور ظاهرة وشاخصة ، وهي في العربية علامة مائزة لها ، إذ شخّصها علماء العربية خاصّة في أصولها الصوتية ، والّصرفية ، والنّحوية ، نركّزفي هذا الفصل الحديث

---

[1] كمال بشر : دراسات في علم اللّغة ، ، دار غريب للطباعة والنّشر القاهرة ، ت ط 1998، ص193 .

[2] الرافعي : تاريخ لآداب العرب ، ص85.

* علماء اللغة المحدثون يصنفون اللّغات بطريقتين مختلفتين ؛ الأولى هي **طريقة القرابة اللغوية** التي يتم فيها البحث عن اللغا ت الأم أو الرجوع إلى الأصل ، وهي تعتمد التاريخ مرجعا أساسا في البحث ، وتم تقسيم اللغات بموجب ذلك إلى ثلاثة فصائل هي اللغة **السامية والحامية والآرية** ، والطريقة الثانية هي **طريقة تشكيلية** تنظر في أسس بناء وتوليد اللغات ، وهي وصفية بالأساس ، من أنواع تلك التقسيمات اللغات **التصريفية** ، **اللغات اللاّصقة** ، **اللغات المركبة** ، **واللغات المفردة** وهناك طريقة ثالثة لم تصل بعدُ إلى مرتبة العلمية وهي التقسيم على **أساس جغرافي** ، ويمكن اعتمادها حين يصعب اعتماد التاريخية ، والوصفية . يُنظر في ذلك ماريو باي : أسس علم اللغة ، ترجمة وتعليق أحمد مختار عمر ، مطبعة عالم الكتب ، ط8 ، ت ط 1998 ، ص55 ، 56 ، 57 ، 58 .

عن الملامح والظواهر الكامنة في بنية العربية ، والتي من شأنها أن تكون علامة مائزة لها تكشف عن قدراتها الذاتية ، ومؤهلاتها الفطرية التي تعمل كأسس فاعلة تدفع بها للتّطور والنّماء ، فهي متعلّقة بطبيعة تكوين العربية من حروف وكلمات وأبنية وعوامل متعلقة بالبنية الأساسية في الكلمة مثل ظواهر الإدغام والقلب والإخفاء وهي جميعها ظواهر تعرض للأصوات في أنفسها ، وكذا ظواهر الزّيادة والإبدال التي تعرض للكلمات ، وتتمثّل في العدول عن أصل الوضع بالنسبة للمفردات ، والتحول بها من شكل إلى شكل آخر، بما طرأ عليها من حذف ، أو إبدال ، أو زيادة ، وبذلك فهي تُميّز العربية وتسمّها بالقدرة على التّحوّل والتّلوّن والتّشكّل ، حسب اختلاف السّياقات واحتياجات المتكلّمين ، وهذه الظّواهر وغيرها ،هي عماد العربية توّسع علماء العربية في شرح تفاصيلها قديما وحديثا . [1]*

أمّا **الملامح** فهي ليست ظواهر شاخصة معروفة ببنية معيّنة ، وإنّما هي أمور تتعلّق بالذّوق وهي ليست صريحة وظاهرة ، وإنّما نستلمحها ونستشعرها بأذواقنا ، كما لجأ إليها العرب بأذواقهم ، ومن أبرز الملامح الذّاتية التّي تميّزت بها العربية ، أنّها تنزع إلى الخفّة وتتجنّب الاستثقال ، وهذه ميزة ذاتية نستشفّها في مكوّناتها الدّاخلية التّي وصّفت هيأتها ، وميّزت شخصها ، وهي ملمح يكاد يكون أصيلا فيها ، بل هي من أهمّ مواصفاتها التي تتميّز بها.

الميل إلى الخفّة واجتناب الثّقل لعلّه من المنطقي أن يكون الخفيف هو الذي يمتلك القدرة على التّحوّل ، والتّبدّل ، والتّغيّر ، والتّطوّر ، ومنه الاكتساب والتّنمية وتلك لازمة من لوازم اللّغة العربية ؛ فمن أهم مواصفاتها الفطرية أنّها لغة مرنة ليّنة ، تنتحي منحى اللّغات الطّبيعية في الميل إلى الخفة وتجنّب الثّقل ، وهذا من أهمّ الثوابت التي تقوم عليها العربية قال تمّام حسّان في تعديده لثوابت العربية : " والثّابت الثالث طلب الخفّة في المبنى ، وهو مرتبط بالذوق العربي في نطق الأصوات المتجاورة ويمكن تلخيص هذا الذوق بأنّه كراهية توالي الأمثال وكراهية توالي الأضداد

* لمعرفة هذه الظّواهر في مضّانّها ينظر في ذلك : معجم العين للخليل ابن أحمد الفراهيدي ، الكتاب لسيبويه الإتقان في علوم القرآن السّيوطي ، المقتضب للمبرّد ، الخصائص و المنصف ابن جنّي وكذا ، ابن يعيش في شرح المفصّل ابن هشام الأنصاري وشرح قطر النّدى وبلّ الصّدى: أمّا مع المحدثين فكتاب النّحو الوافي لعبّاس حسن : يغني عن كثير من الكتب

والارتياح لتوالي الأشتات ." [1] فالنزوع إلى الخفّة وتحاشي الثّقل هو في معناه العام نوع من " النظام العقلي القائم على التقابل وهما . الاستخفاف والاستثقال . وجهان لعملة واحدة . " [2] لأنّهما الأساس الذي قامت عليه العربية برمّتها ، إذ أنّها مستوحاة من عمق الجزيرة وأهلها ، وعلى الّرغم من كونهما أمران معنويان يتحكّم فيهما عامل الذّوق ؛ الذّوق المقصود هو ذلك الذوق العربي الذي مرّ بأطوار كثيرة متمايزة ، تقلّب فيها وتهذبّ وتغيّر وتبدّل ، حتّى نال حظّه من الصّقل والتّوجيه ، إلاّ أنّنا نستطيع استجلاء هذا الملمح من خلال رصد وتتبع تلك الظواهر، التي عمل نحاة العربية على توصيفها ربطًا بمسائل بنية اللغة ، وقد كانت الظّواهر التي تميّز العربية كثيرة متنوّعة ، لذلك نتحدث عن الظّواهر حين تلبّست بالملامح ، فتحدّدت شخصية اللّغة العربية ، وفي كثير من الأحيان كانت الملامح مبرّرات موضوعية لظواهر اللّغة العربية ، والعبرة ببنية العربية ، ونظامها الذي قامت عليه .

ومنه فإنّ العدول عن الثّقيل إلى ما هو أخفّ منه لغرض الاقتصاد في الجهد والاختصار في الصيغ هو علامة مائزة للعربية ، جعلتها لغة ذات خصوصية نوعية تضاف إلى رصيدها وبها يتحدّد منطقها الذّي قامت عليه ، إذ " لكلّ لغة منطقها الخاص ونظامها الخاصّ ، يراعيه المتكلّم بها ويتمسّك به ." [3] قال الفارابي: " العرب تميل عن الذّي يلزم كلامها الجفاء إلى ما يلين حواشيه ويُرِقُّها . " [4] إنّ قانون الاقتصاد في الجهد والاختصار في الصّيغ بلغة المحدثين أو تجنب الاستثقال والميل إلى الخفّة بلغة القدماء ، هو قانون شائع في اللّغات الطّبيعية جميعها لأنّ " موضع الحس موضع تتلاقى عليه طباع البشر، ويتحاكم إليه الأسود والأحمر" [5] وليست العربية بمعزل عن هذه السّمة .

[1] تمّام حسّان : الخلاصة النحوية ، مط عالم الكتب ، ط1 ، ت ط 2000 ، ص21.

[2] تمام حسان : الأصول ، ص177.

[3] إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة ، 118.

[4] السيوطي : المزهر ، ص27.

[5] ابن جني : الخصائص ، ص104.

المبحث الثاني : السّمات المائزة والعلامات الفارقة في اللغة العربية

. أ توظيف جهاز النّطق

نظام النّطق في اللّغات جميعها يرتبط بمنطق ثابت ، هو منطق الاقتصاد في الجهد والاختصار في الصّيغ ، وهو قانون عملت به اللّغات المتطوّرة جميعها ، إذ لوحظ أنّ الميل العام في تطوّر اللّغات ، هو الاتّجاه نحو تيسير الأصوات ، وتيسير النّطق بها ، أو ما يعرف **بقانون الجهد الأقّل** ، وقد مالت إليه العربية لذات الغرض ، لكنّه بالعربية أشدّ ارتباطا وأكثر شيوعا ، فقد اعتنى العرب . منذ وصلتنا العربية . بمنطق لغتهم وأعطوه بالغ الاهتمام من خلال العدول عن الثّقل إلى الخفّة ، وتبيّن أنّ كلّ ما رفض من الكلام ، أو ابتعدت عنه العربية جنوحا إلي غيره من كلمات فإنّما تجنّبوه استثقالا ، وكلّ ما قبلوه أو عدلوا إليه ، وجرى على ألسنتهم فلخفّته في الاستعمال ، وكثير من قضايا العربية بنيت على منطق حسابيّ دقيق يقضي بأن تؤدّي العربية آداء جيّدا ، وملمح الخفّة والثّقل تحديدا أخذت منه العربية بحظ وافر، فكان ذلك عامل تطوّر ونمو داخليّ ، حيث عملت هذه السّمة على استقلالية وكمال بناء العربية لأنّها لجأت " لاستعمال القوى الكامنة في اللّغة نفسها ، وإعطائها الحياة والنّمو من باطنها لا تهيئة هذا الكمال بما تتناول من قوى غيرها ." [1] وهو ما يحقق الاستقلال اللّغوي ، لأنّ " اللّغة تتطوّر نتيجة ميل المتكلّمين بها إلى ترك ما يستثقل من الكلام إلى ما هو أخفّ منه ." [2]

فجهاز النّطق قسمة عادلة بين البشر، والبشر كلّهم متساوون في قسماته وتركيبه ، لكنّ العلامة الفارقة هي توظيف الجهاز "والاستخدام هو ما يحدث الفرق بين اللّغات البشرية. "[3] ولغة العرب تامة الحروف " لم ينقص منها شيء فيشينها النّقصان، ولم يزد فيها شيء فيعيبها الزّيادة."[4] ولهذه الحروف مخارج محدّدة ، معقولة ، وأحياز مختلفة ، ومدارج بعضها فوق بعض ، تدرّج بها ناطق العربية تدرجا ثابتا متوازنا .

---

1 الرافعي: تاريخ اداب العرب ، ص76 .

2 عبده الرّاجحي: فقه اللغة في الكتب العربية ، ص108

3 كمال بشر : دراسات في علم اللغة ، ص193 .

4 الرازي : الزينة ، ص75 .

" فالحاء والخاء والعين والغين والهاء والألف والهمزة حيّزها **الحلق** ،

والقاف والكاف حيّزها **اللهاة** ،

والجيم والضاد والشين حيّزها **شجرالفم** ،

والصاد و السين والزّاي حيّزها **أسلة اللّسان** إلى **أطراف الثّنايا** ،

والطاء والدال والتاء حيّزها **الحنك** بتطبيق اللسان إلى **أطراف الثنايا** ،

والظّاء والذال والثاء حيّزها **اللثة** ،

والرّاء واللام والنون حيّزها **ذلق اللسان** إلى **الشّفتين**،

والفاء والباء والميم حيّزها **الشّفة** ،

والألف والياء والواو هوائية ليس لها جروس ، ولا اصطكاك لأنّها تنسل من **جوف الحنك** ."[1]

كما يلاحظ أنّ مخارج الحروف ، موزّعة على كلّ مواضع النطق ، باعتدال ممّا يعطي الرّاحة لمستعمل اللغة ، وقد بنيت عليها العربية بناءا كليّا ، فلا تنقص ولا تزيد ، وتؤدي في العربية آداءًا كاملا ، بينما تحتاج اللغات الأخرى للزيادة عليها في حروف لغاتها ، كي تؤدي آداء العربية ، وهم يلجأون للتقريب بين تلك المخارج والأحياز كي يتم النطق ، فتقلب الحاء هاءًا فيقال "مهمد" في محمد ، وتقلب العين ألفا فيقال" ألي " في علي ، وتقلب الغين واوا فيقال "ولام" في غلام ، وتقلب القاف كافا فيقال للقمر " كمر" ، وتقلب الطاء تاءا فيقال في الطاووس "تاووس " وقلبوا الظاء والضاد دالا فقالوا في ضربه وظلمه "دربه "و "دلمه . " [2]*

أمّا في العربية فقد أخذت الحروف مسالك لينة ، وانضوت جميع مخارجها في مناطق ثابتة ومدارج متوازية ، وأحياز متناسقة شغّلت كلّ جهاز النطق ، باعتدال وتوازن وتوازٍ، وقد جاءت "

[1] الرازي : الزينة ، ص76.

[2] الرازي: الزينة ، ص76.

* لمعرفة تتمة كيف تقلب الحروف في اللّغات الأخرى كي تؤدّي آداء العربية ينظر في ذلك الرّازي ، الزيّنة ، ص 76وما بعدها.

أصوات هذه اللّغة موزّعة على مدارج النّطق توزيعا واسعا شاملا لكلّ نقاطه ومواضعه ." [1] وليس هذا إلاّ دليلا قاطعا على حسن توظيف الجهاز واستخدامه استخداما عادلا ، واستغلاله استغلالا منتظما ، وهي ميزة من مزايا العربية ، التي توحي بالخفة والوضوح مع دقة البيان كما تقدّم .* وتُظهر طرائق العرب في الكلام الميل الشّديد إلى الإيجاز والتّسهيل لتحقيق طواعية اللّغة وتيسيرها على المستعمل ، وقد كانت العربية كذلك طيّعة على ألسنة المتكلمين لأنّها ". استخدمت جهاز النّطق عند الإنسان خير استخدام و أعدله ."[2]

. ب علة كثرة استعمال حروف وقلة استعمال أخرى .

العرب يجتنبون تجاور الحروف في سياقات كثيرة ، فتكون الياء والواو والهمزة أكثر الحروف دورانا ، بينما تأتي الظّاء ، والذّال ، والثّاء، والشّين، ثمّ القاف ، ثمّ الخاء ، ثم العين ، ثم النّون، ثم اللام ، ثم الرّاء ، ثم الباء ، ثم الميم وتكون هي الأقلّ دورانا لثقلها .[3] بمعنى أنّ هذه الحروف يقلّ استعمالها نزولا حسب التدرج المذكور، وإذا جئنا إلى تجاور هذه الحروف فإنّ كثيرا منها لا يجاور بعضه البعض ، ولا يجتمع معه في التّركيب بسبب الثّقل فهو مستنكر مثل: " الغين مع الحاء ، والقاف مع الكاف ، والحرف المطبق مع غير المطبق ، مثل تاء الافتعال مع الصّاد والضّاد في أخوات لهما ، والواو السّاكنة مع الكسرة قبلها ، والياء السّاكنة مع الضّمة قبلها ." [4] واجتهد العرب في تخفيف الكلمات التي تدخل استعمالهم ، فكان حكم التّبديل و قانون التّغيير بما

---

[1] كمال بشر : دراسات في علم اللغة ،ص193، 194.

*لمعرفة الاستخدام المثالي لجهاز النطق في العربية الفصحى وما ينتج عنه من مزايا تتمظهر بها اللّغة ، ينظرفي ذلك

. كمال بشر : دراسات في علم اللّغة ص194.195.

. إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية.

. ابن سينا : رسالة أسباب حدوث الحروف .

. عبده الرّاجحي : فقه اللّغة في الكتب العربية .

. رمضان عبد التّوّاب : فصول في فقه اللّغة .

. محمود السّعران : علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي .وهي كلّها مراجع معتمدة في البحث .

[2] كمال بشر: دراسات في علم اللّغة ، ص193

[3] السيوطي : المزهر ، ج1 ، ص161.

[4] الفارابي : أبو النصر ، ديوان الأدب ، ج1 ، ص73 .

يتوافق مع الحروف العربية هو الأمر السّائد ، ويعتمدون في كلّ ذلك " أقربها مخرجا."[1] لغرض التّخفيف الذي يحدث خاصة حال تمثّل تلك الكلمات الدّخيلة ،وحتّى إذا تعرّب اللّفظ فلا بدّ من مراعاة ائتلاف حروفه و" لم تجتمع الجيم والقاف في كلمة عربية ، فمتى جاءتا في كلمة فاعرف أنّها معرّبة ." [2] و" لا تجتمع الجيم والصّاد في كلمة عربية و ليس في أصول أبنية العرب اسم فيه نون بعدها راء فإذا مرّ بك ذلك فاعلم أنّ الاسم معرّب " [3] وليس في كلامهم زاي بعد دال إلاّوهي كلمة دخيلة [4] مثل : مهندز تؤول إلى مهندس ، و" لم يحك أحد من الثّقاة قال كلمة عربية مبنية من باء وسين وتاء . فإذا جاء ذلك في كلمة فهي دخيل ." [5] من أمثلة تلك الكلمات الدّخيلة في العربية مايلي :

. الجوق بمعنى الجماعة من النّاس

. الجرامقة بمعنى جيل من النّاس

. الجوسق ، فارسي معرب وهو تصغير قصر

. بستان ، فارسي معرب

. الجوز، معروف وهو فارسي معرب

. جلِق ، اسم دمشق أعجمي معرب

. جورب ، أعجمي معرب

---

[1] الجواليقي : أبو منصور موهوب ، بن أحمد بن الخضر ، **المعرّب** من الكلام الأعجميّ على حروف المعجم ، تحقيق ،أحمد محمد شاكر ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ،مصر ،ط4 ، ت ط 2012 ، ص6 .

[2] الجواليقي ، المعرب ، ص11 .

[3] الجواليقي : المعرب ، ص11.

[4] الجواليقي : المعرب ، ص11.

[5] الجواليقي : المعرب ، ص12.

[1] هذه الكلمات من أصول أعجمية ، ومن ثمّ فهي ثقيلة على اللّسان العربي أما دخولها والتحاقها بالعربية ، فلا يكون إلاّ بحاجز بين الجيم والقاف ليفترق الثّقيلان فيخفّ النطق ،لاحظنا اجتماع القاف والجيم في كلمة واحدة ولكن مع ضرورة ظهور الحواجز بين الحرفين . و تميل العرب إلى الحروف المتباعدة ، لأنّ التّقارب في مخارج الحروف مستكره حال التّجاور أبدا وهو مدفوع مرذول أين ما كان سواء في البناء الواحد أو البناءين ، معا مثل تقارب اللاّم والرّاء و " ليس في كلامهم لر" [2]

ففي قوله تعالى : (**كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم** ۡ) [3] " لا يبيّنون اللام و يبدّلونها راء ."[4]

و في قوله تعالى : **(الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ)** [5] صيّروا اللاّم راء " فلا تستبين اللام عند الرّاء ." [6] " قلبهم الحروف عن جهاتها ليكون الثّاني أخفّ من الأول ، نحو قولهم : ميعاد ولم يقولوا موعاد وهما من الوعد إلاّ أنّ اللّفظ الثّاني أخفّ .

ج . علة قلب الواو ياء والياء واوا في بعض الكلمات [7]

. موسر – أصلها– مُيْسر – قلبت الياء واوا – لتلتقي الضمّة مع الواو فيخفّ النّطق بها

. موقن – أصلها – مُيْقن – قلبت الياء واوا – لتلتقي الضمّة مع الواو فيخفّ النطق بها

. سيِّد –أصلها – سيْود – قلبت الواو ياء – لتلتقي الكسرة مع الياء فيخفّ النطق بها

. ميِّت – أصله –ميْوِ ت– قلبت الواو ياء – لتلتقي الكسر ة مع الياء فيخفّ النّطق بها

---

[1] الجواليقي : المعرب ، المعرب ، ص94 ، 109 .

[2] السيوطي : المزهر ، ص161.

[3] سورة المطففين ، الآية 14.

[4] السيوطي: المزهر 161.

[5] سورة الفاتحة ، الآية 1.

[6] السيوطي: المزهر ، 160 .

[7] ابن جنّي : الخصائص ، ص781.

د . إهمال بعض المهمل لتجنّب الاستثقال في النّطق والأوزان

بنيت العربية على ثمانية وعشرين حرفا من الأبجدية العربية و عن طريق عملية التّقليب انطلاقا من أصول معيّنة ، يتم بناء الجذور الأولى للكلمات ، وهي قسمة متصوّرة منتظمة، ومضبوطة ضبطا دقيقا ؛ أمّا ما يحتمله التّركيب فهو نوعان مستعمل جرى على ألسنة العرب ورد إلينا نقلا ، و**مهمل** وهو أصول متصوّرة عن ناتج القسمة ولكنّها لا تحمل معان أو دلالات بل هو مهمل " أكثره متروك للاستثقال." [1] وهذا البناء للأصول العربية " لم يجمع بين ساكنين أو متحرّكين متضادّين ، ولم يلاق بين حرفين لا يأتلفان ولا يعذب النّطق بهما " [2] لاحظنا من خلال هذه النّصوص أنّ العرب تهمل بعض المهمل لاستثقاله ، وهو مستثقل لتقارب حروفه المتجاورة المخرج مثل : " سص، طس، ظث ، ثظ ، ضش، شض .قج ، جق ، كق، قك ، كج ، جك. " [3] هذه الحروف كلّها متقاربة المخارج ولمّا كانت كذلك نفر منها الحس بسبب مشقّتها على النّفس ، وصعوبة النطق بها ، فغاب عن الاستعمال كلمات كثيرة هي عربية و قياسية ، بمعنى أنّه يقبلها القياس ، لكنّ لم تستعملها العرب .

وإذا اجتمع المتقاربان يتقدّم أقواهما على الأضعف نحو أُرل . وطد . وتد . تقدّمت الرّاء على اللّام ، والطّاء على الدّال ، والتّاء على الدّال ، من قبيل أنّ الوقوف على التّاء والطّاء أقوى من الوقوف على الدّال [4] ويذهب ابن جنّي في تعليل هذا بقوله " أنّهم إنّما يقدّمون الأقوى من المتقاربين ، من قبل أنّ جمع المتقاربين يثقل على النّفس ، فلمّا اعتزموا النّطق بهما قدّموا أقواهما ، لأمرين : أحدهما أنّ رتبة الأقوى أبدا أسبق وأعلى ؛ والآخر أنّهم إنّما يقدّمون الأثقل ويؤخّرون الأخفّ من قبل أنّ المتكلّم في أول نطقه أعلى نفسا ، وأظهر نشاطا ، فتقدّم أثقل الحرفين وهو على أجمل الحالين ." [5] وبذلك يخفّ الحال بعد تعب و مشقّة ، خير الرّاحة يتبعها ثقل ومشقّة .

---

[1] ابن جنّي : الخصائص ، ص81 .

[2] السيوطي : المزهر 274، .

[3] ابن جنيّ : الخصائص ، ص81.

[4] ابن جنّي : الخصائص ، ص81.

[5] ابن جنّي : الخصائص، ص81.

هـ . ما كثر من الثّقيل وقلّ من الخفيف لغرض التّخفيف .

عرفنا سابقا أنّ الضّمة أثقل من الكسرة لكنّنا نجد كلمات كثيرة توالى فيها الضّم منها طُنُبٍ وعُنُقٍ ، وفُنُقٍ ، وحُشُدٍ ، وجُمُدٍ ، وسُهُدٍ ، عُتُلٍ ، صُمُلٍ ، وجاء منه قُمُدٍ ، سُرُجٌ ، طُلُقٌ فهذه وإن قلت في الاستعمال إلاّ أنّها كثيرة قياسا إلى الكلمات المجرورة نحو إبِلٍ ، وإطِلٍ ، من الأسماء وبِلِزٍ بمعنى الضخمة من النساء ، إبِدٍ للأتان ، [1] فتجاور الكسرتين مستثقل لذلك تمّ اجتنابه في كلام العرب ، ومن الكلام ما مجّه الذوق ، ورفضه النّطق فلن تجد له مكانا في كلام العرب عامّة كإظهار النّون الساكنة قبل اللاّم مثل فعْلى في التّمثيل لحَبَنْطَى .

و. العدول عن الثّقيل إلى ما هو أثقل منه لغرض الخفّة .

بلغت عناية العرب بالخفّة أن حوّلوا كلامهم من الخفيف إلى الثّقيل يلتمسون فيه الخفّة ، وهذا كما يبدو من ظاهر الأمر تناقض ، ولكن واقع العربية يظهر غير ذلك قال ابن جنّي :

" ذلك أنّه أمر يعرض للأمثال إذا ثقلت لتكريرها ، فيترك الحرف إلى ما هو أثقل منه ليختلف اللّفظان فيخفّا على اللّسان ."[2] مثل:

. حيوان . الأصل فيها . حييان . تمّ العدول عن الياء الثّانية إلى الواو ، وهي عند جمهور العلماء أثقل لغرض الخفّة .

. ديوان . الأصل فيها دِوّان . دِوْوَان . تمّ العدول عن الواو الأولى السّاكنة إلى الياء

فصار ديوان وهذا تخفيف قال ابن جنّي : " ألا تراهم إنّما كرهوا التضعيف في دِوّان ، فأبدلوا ليختلف الحرفان ، فلو أبدلوا الواو فيما بعد ، للزم أن يقولوا : ديّان فيعودوا إلى نحو ممّا هربوا منه من التّضعيف .[3]

---

[1] ابن جنّي: المنصف ، ، شرح تصريف المازني ، تحقيق ، إبراهيم مصطفى ، عبد الله أمين ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط1 ، ت ط 1954 ، ج1 ، ص18 و الخصائص ، ص 752.

[2] ابن جنّيّ : الخصائص ، ص 645 .

[3] ابن جنّي : الخصائص ، ص645.

. رمى على وزن فعاليل . الأصل . رمايّي . تم إبدال الياء همزة أو واوا وهما أثقل فيقال . رماويّ . أو رمائيّ والغرض هو إبدال المتماثلين ليخف النّطق ، وقد يطرحون الشّيء وغيره أثقل منه .[1] ولا يكون ذلك إلاّ لغرض التّخفيف .

ز . علة كثرة دوران الأصل الثّلاثي وقلة الرّباعي وندرة الخماسي في الأبنية العربية

من الكلام ما بني على حرفين كما في الحروف و بعض الأسماء ، ومنه ما بني على أصول ثلاثية ، رباعية ، أو خماسية ، أكثرها استعمالا ودورانا الثّلاثي الذي "جاء على ثلاثة أحرف فهو أكثر الكلام في كلّ شيء من الأسماء والأفعال وغيرهما مزيدا فيه وغير مزيد فيه "[2] وهو أمرلا يجافي المنطق والمعقول "وذلك لأنّه حرف يبتدأ به ، وحرف يحشى به ، وحرف يوقف عليه." [3] وبذلك يتحقّق نوع من التّوسّط والإعتدال في أمور اللّغة عموما و نسبة وتناسب في الكلام ، ومن هنا كان اختيار الميزان ثلاثيا هو الآخر وعلى حروف " **فعل** " ولم يكثر الثلاثي لقلة حروفه فقط ، فلو كان الأمر كذلك لكان الثّنائي أقلّ حروفا ولكن لأمر آخر" هو حجز الحشو الذي هو عينه بين فائه ولامه ، وذلك لتباينهما ، ولتعادي حاليهما ، فلمّا تنافرت حالاهما وسّطوا العين لئلاّ يفجئوا الحسّ بضدّ ما كان آخذا فيه . هنا يتبدّى لنا حرص واضع اللغة على تحقيق نسب متعادلة في الكلام . والتّناقض الذي قد يقع فيه واضع اللغة هنا يتمثّل في أنّ حركة العين ستلحق حركة الفاء أو تلحق حركة اللّام حتما ، وفي ذلك نقض لمنطق البناء على المراوحة ، يُجيب ابن جنّي على هذا برؤية عقلية متوازنة وهي أنّ عين الثّلاثي إذا كانت متحرّكة ، والفاء قبلها كذلك فتوالت الحركتان ، حدث هناك لتواليهما ضرب من الملال لهما ، فاستُروح حينئذ إلى السّكون ، فصار ما في الثّنائي من سرعة الانتقاض معيفا مأبيا ، و في الثّلاثي خفيفا مرضيا.[4] والأهم من ذلك أنّ المتحرك حشوا ليس كالمتحرّك أوّلا ، وهوما لا يرفضه المنطق ، كما يلاحظ

[1] سيبويه ، الكتاب ، ج4 ، ص 431.
[2] سيبويه : الكتاب ، ج4 ، ص229.
[3] ابن جنّي : الخصائص ، ص 82.
[4] ابن جنّي : الخصائص، ص 82.

في كلّ هذه العلل التي ورد ذكرها ، هو ميل العربية إلى التّخفيف . . ح . **الميل إلى الإدغام لغرض التخفيف** .

سلك متقدّمو النّحاة مسالك وعرة في توصيف الظواهر الصّوتية للعربية فوقفوا على ظواهر كثيرة كالإعلال ، والإبدال ، والإدغام ، والقلب ، والحذف ، والإمالة ، وكلّ ذلك بحثا عن المبرّرات التي تتناسب مع الأسس الفسيولوجية للصوت الإنساني ، الذي دأب على الأخذ بقانون الجهد الأقّل ، سواء في العربية أم في غيرها من اللّغات .

ما يعرف عن العربية هو الاهتمام بالحركات التي هي أقل من الحروف ، وبسبب الثقل الذي يعتريها أثناء النطق ، يقومون بإضعاف الحركة ثم اختلاسها ثم تجاوزوها بانتهاك حرمتها كما يقول ابن جنّي وقد يحذفونها أو يميّلوها ، فتنتحي طريقا بين أمرين ، بمعنى إذا كانت الحركة فتحة ذهبوا بها بين الضمة والكسرة ولا تظهر ظهورا واضحا فتكون مترددة بين الأمرين وليس هذا إلاّ دليلا على عنايتهم بالخفّة واجتناب الثقل لقوة نظرهم ولطف حسّهم . [1]

كما أنّ استيفاء قواعد اللّغة أرّق النّحاة وهم يبحثون عن ما وجب ولم يجب ، لكن الغالب هو مراعاة واجب الإعراب والقيام عليه ، لذلك فإن وجد التّثقيل فلا يكون إلاّ لاستيفاء هذا الواجب قل ابن مجاهد :" سألت أبا عمرو عن يُعَلِّمُهم الكتاب فقال : أهل الحجاز يقولون :"يُعَلِّمُهم ويلعنهُم " مثقلة ، ولغة تميم يُعَلِّمهم و يلعنْهم . قال أبو الفتح : أمّا التّثقيل فلا سؤال عنه ولا فيه ؛ لأنّه استيفاء واجب الإعراب ، لكن ما حذف فعنه السّؤال ."[2]

[1] ابن جنّي : الخصائص ، ص96.

[2] ابن جنّي ، أبو الفتح عثمان ، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عليها ، تحقيق علي النّجدي ناصف ، عبد الحليم النّجار إسماعيل شلبي ، القاهرة مصر ، ط2014 ، ج1 ، ص109 .

فالتّثقيل مبرّر، لكنّ التّخفيف يبحث عن مبرّر بين الحجاز وتميم ،والتثقيل كان قياما بواجب الإعراب ، بينما كان التّخفيف ميلا عاما درج عليه العرب ، علّته هنا "توالي الحركات مع الضمّات ، فيثقل ذلك عليهم فيخفّفون بإسكان حركة الإعراب ."[1]

طلب الخفّة بالعدول والميل ولو قليلا عن أصل الوضع وتلخيص هذا العدول في قواعد مشروطة في اللسان العربي نلخّصها في:

. إذا تحرّكت الواو والياء وانفتح ما قبلها قُلبت ألفا

. إذا اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بساكن قُلبت الواو ياء وأُدغمت في الياء

. إذا تطرّفت الواو والياء بعد ألف زائدة قُلبت همزة [2]

الإدغام نجد أنّ من معانيه اللّغويّة إدخال الشّيء في الشّيء وهو نوع من " التّكييف الصّوتي الذي يؤدّي إلى تلاشي الحركة الواقعة بين صامتين متماثلين ."[3]

أمّا في الاصطلاح فهو " أن تأتي بحرفين ساكن فمتحرّك من مخرج واحد من غير فصل بينهما على أن يصيرا حرفا واحدا مغايرا لهما بهيأته وهو الحرف المشدّد ."[4]

والغاية من إدغام الحروف بكل أنواعها "المثلين والمتماثلين ومن التّقريب والإتباع والمسارعة وغيرها واحدة هي التّخفيف مع الحرص على الإبقاء على حدّ الإدغام ."[5] فظاهرة الإدغام في العربية تهدف إلى التّقريب والتّقريب عامل اقتصاد في الجهد ، وتسهيل في النّطق ، بحيث ينحو

---

[1] ابن جنّي : المحتسب ، ص109.

[2] تمام حسان ، الخلاصة النحوية ، ص21.

[3] أندري رومان: المجمل في العربية النّظامية ، ترجمة حسن حمزة ، مط المركز القومي للترجمة ، القاهرة مصر ، ط1 ، ت ط 2007 ، ص52.

[4] المرعشي : محمد بن أبي بكر الملقّب بساجقلي زادة ، جهد المقل ، دراسة وتحقيق سالم قدوري الحمد ، دار عمّا ر ، ت ط 2008، ص181.

[5] هادي نهر : علم الأصوات النّطقي ، دراسات وصفية تطبيقية ، عالم الكتب الحديث ، أربد الأردن ، ت ط 2011، ص109.

صوتان متجاوران أو أكثر ، إلى التّماثل أو التّقارب في المخرج أوالصّفات [1] ومن أنواعه إدغام المتقاربين ، وإدغام المتماثلين ، وإدغام المتجانسين الأحكام في ذلك كثيرة والأنواع متباينة نقتصر منها على بعض الأمثلة لغرض إثبات عامل التّخفيف وتجنّب الاستثقال.

ففي قوله تعالى : (**يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ**)[2] هو من نوع إدغام المتماثلين في كلمة واحدة تقرأ "يدركُّمُ الموت "حيث أدخل السّاكن الأوّل في المتّحرك الثّاني وصارا حرفا واحدا ".مغايرا لهما بهيأته ،وهو الحرف المشدّد وزمانه أطول من زمان الحرف الواحد المخفّف ،وأقصر من زمان الحرفين المخفّفين ." [3]الزّمن يلعب دوره في تحديد قيمة الظّواهر الصّوتية فندرك أنّ زمن تلفّظ الكاف المدغمة أقصر من زمن الحرفين معا ساكن ثم متحرّك .

. في قوله تعالى : (**اِضْرِبْ بِعَصَاكَ البَحْرَ**) [4] هو من نوع إدغام المتماثلين في كلمتين أدغمت الباء الأولى السّاكنة في الباء الثّانية المتحرّكة فتقرأ " أضربِّعصاك " والغرض هو التّخفيف بداعي بذل الجهد الأقل وتجنّب الثّقل.

ومن هذا القبيل ما يعرف بالإدغام الأصغر عند ابن جنّي الذي يورد في المنصف بابا سماه . باب ما تقلب فيه تاء افتعل عن أصلها يبرّر فيه " العلّة في أن لم ينطق بتاء افتعل على الأصل إذا كانت الفاء أحد الحروف التّي ذكرها ، وهي حروف الإطباق ، أنّهم أرادوا تجنيس الصّوت ، وأن يكون العمل من وجه ، بتقريب حرف من حرف ، كما في مصدق ؛ مزدق " [5] " ومن ذلك تركهم الجمع بين السّاكنين وقد تجتمع في لغة العجم ثلاث سواكن ." [6] و بتتبع هذه الظّواهر الصّوتية التّي يقدّمها عامل الإدغام نقف على ميزة هامّة من مزايا العربية وهي ميلها إلى الإدغام

---

[1] أحمد مختار عمر : دراسة الصوت اللّغوي ، عالم الكتب القاهرة ، 1997، ص324.

[2] سورة النساء ، الآية 78.

[3] المرعشي : جهد المقل ، ص181.

[4] سورة الشعراء ، الآية 63.

[5] ابن جني أبوالفتح عثمان : المنصف ، ص324 ، 325.

[6] ابن فارس : الصاحبي ، ص34.

التّام " لأنّ الإدغام النّاقص زمانه أطول من الإدغام التّام ." [1] ونطقه كما هو ملاحظ يتحقّق بأن يلفظ " المشدّد كأنّه حرف واحد متحرّك." [2] و بذلك يختصر الجهد باختصار الزّمن وكلّ ذلك " كراهية أن يعمل اللّسان في حرف واحد مرّتين فيثقل عليه وهو عند الخليل إذا ظهر مثل إعادة الحديث مرّتين أو خطو المقيّد ."[3]

بمعنى أنّه لمّا كان موضع الحرفين عند النّطق واحدا ثقل عليهم أن يرفعوا ألسنتهم بالحرف الواحد مرّتين متتاليتين ، فارتأوا أن يرفعوه رفعة واحدة وتكون عند الإدغام .

ط . أحكام نحوية على هدي اللّغة العربية

سار النّحاة على نهج العرب واتّبعوا سبيلهم في تعليلهم للأحكام والمواقف والآراء ، وحتّى في تأصيلهم لأصول النحو، وذلك جنوحا إلى الخفة باعتبارها ثابتا من ثوابت العربية ، وكذا حسب قوانين التطور اللغوي ، فنحو العربية نسيج من أديمها واستنباط من رحمها ، تلاحقت أحكامه وتأسّس بنيانه على هدي من لغته ، و" الظّواهر النّحوية ليست في حقيقتها إلاّ مجموعة من العادات الكلامية يلتزمها أبناء اللّغة الواحدة ."[4]

قال ابن جنّي في حديثه عن منهج علماء العربية في صناعة أحكامهم النّحوية :" ولمّا كان النّحويون بالعرب لاحقين وعلى سمتهم آخذين، وبألفاظهم متحلّين ، ولمعانيهم و قصودهم آمّين ، جاز لصاحب هذا العلم أن يرى فيه نحوا ممّا رأوا ."[5] فليس النّحو إلاّ استنباطا ممّا يجري في اللّغة من ألفاظ وصيغ وظواهر، واللّغة هي الأصل والقياس منها يتفرّع ، هو ظلّها النّاشئ عنها ، يمتدّ إذا امتدّت ، ويميل معها حيث تميل على رأي تيمور باشا ، ويظهر من تاريخ النّحو أنّه تتبّع سبيلها ونشأ عنها ، وإن كان ابن جنّي يذكر سيبويه فإنّ الحديث عن علل النّحو يستدعي ذكر كلّ من سار على نهج سيبويه من ذوي البصيرة الذّين حذقوا النّحو ، وعرفوا مسالكه الوعرة ، فهؤلاء

[1] المرعشي : مقدمة كتاب جهد المقل ، ، ص74.

[2] نفسه ، ص74.

[3] هادي نهر : علم الأصوات النّطقي ، ص109.

[4] إبراهيم أنيس : من أسرار اللّغة ، ص128.

[5] ابن جنّي : الخصائص ، ص249.

جميعهم يستنبطون عللهم بإحالة الكلام "على الحسّ ويحتجّون فيه بثقل الحال أو خُفَّتها على النّفس."[1] فالبحث عن علل النّحو مبنيّ على أساس من الأسس التي بني عليها كلام العرب وهو التماس الخفّة وتحاشي الثّقل ، جرت عادة العرب الفصحاء في كلامهم أنّهم يعطون كلّ حرف حقه من الإبانة والإعراب ووضوح مخرج الحرف عند نهاية الكلمة بسبب ما يحتمله الكلام من معنى ، وليس هذا لسائر لغات الأمم ، فهي فضيلة خُصّت بها العربية دون غيرها ."[2] فلماذا جاء الفاعل رفعا والمفعول به نصبا ؟

ك . علة رفع الفاعل والمبتدأ ونصب المفعول .

ارتبطت العربية بقاعدة هامّة وهي ضرورة رفع المبتدأ والفاعل ، ونصب المفعول وفي الأمر حكمة ، فإذا كان ذلك لإظهار الفرق بين الفاعل والمفعول يمكن أن يؤتى بالضّد أي أن ينصب الفاعل ويرفع المفعول فيحدث الفرق حتما، هنا لا بدّ من علة لتعليل الحال ، فعلى أي أساس بنيت هذه العلّة الموجبة لهذا الحكم ؟ يورد ابن جنّي على لسان الزّجاج تعليله للأمر وهو أنّ الفعل لا يكون له أكثر من فاعل واحد ، وقد يكون له مفعولات كثيرة ، والضمّة أثقل من الفتحة ، والعرب أميل إلى التخفيف والتسهيل ، فرفع الفاعل لقلّته ، ونصب المفعول لكثرته ، و"ذلك ليقلّ في كلامهم ما يستثقلون ،ويكثر في كلامهم ما يستخفّون."[3] هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى هو الميل العام لتحقيق عامل الإيجاز ، فما سار العرب على ذلك السّمت من توخّي علامات الخفض والرّفع والنّصب على ذلك النّمط إلاّ " للإيجاز في القول ، والاكتفاء بقليله الدّال على كثيره ، فقالوا ضرب أخوك أخانا فدّلوا برفع أحد الأخوين ونصب الآخر على الفاعل والمفعول به ."[4] نجد أنّ حكما هاما من أحكام النّحو مبني على أساس الخفّة وثقل الحال وكذلك جاء المبتدأ رفعا لأنّه في بداية الكلام أين يكون المتكلّم أقوى نفسا وأشدّ قوة ثمّ رفعوه بأقوى الحركات وهي الضّمّة. فنجدهم يقدّمون الأثقل ويؤخّرون الأخفّ من قبل أنّ المتكلّم في أول نطقه أعلى نفسا ،وأظهر

---

[1] ابن جني: الخصائص، ص .77

[2] الرازي : الزينة ، ص91.

[3] ابن جنّي : الخصائص ، ص78 .

[4] الرازي: الزينة ، ص88 .

نشاطا ، فالأصل أن يتقدّم الفاعل ويُرفع لثقله ويتأخّر المفعول به ويُنصب" أين يكون المتكلّم على أجمل الحالين ."[1] والنتيجة أن يخفّ الحال بعد تعب ومشقّة ، فالقوّة والنشاط في بداية الكلام والخفّة والتعب متأخّر بعدها .

تميّزت العربية بحس مرهف ، وعناية فائقة بالحرف والإسم والفعل ، فكان للعربية ما يحفظ لها الشّباب طول الدّهر ، وذلك لكثرة أبنيتها ، وتعدّد صيغها ، وانفساحها من ذلك إلى ما يستغرق اللّغات الأخرى ويفوقها.

المبحث الثالث : ظاهرة الزيادة من خصائص العربية ومحرّك عملية الاشتقاق .

عملية الزيادة هي الأساس الذي تقوم عليه آلية الاشتقاق أداة التنمية الأساسية في اللغة العربية ، وتأتي الكلمة في العربية مجرّدة ، والمجرّد هو أصل الاشتقاق ، يأتي المجرّد من الأفعال ثلاثيا وله ثلاثة صيغ هي " فَعَلَ ، فَعُلَ ، فَعِلَ " ولكل صيغة معانٍ تختصُ بها ، وله أبواب كثيرة تُعرف من الصياغة الصرفية ، ويأتي المجرد رباعيا أصليا في البناء ، وله صيغة واحدة هي فَعْلَلَ كدحرَجَ ، وبَرْطَمَ ، وبَحْثَرَ ومنه الملحق بالرباعي ، وهو ما ألحق بالرباعي الأصلي وجاء على هيئته . فالزيادة تعني إضافة تتعدّى الحروف الأصول قال ابن جنّي :" ومعنى زائد أنّه ليس بفاء ولا عين ولا لام ، وليس يعنون بقولهم زائد أنّه لو حذف من الكلمة لدلّت بعد حذفه على ما كانت تدلّ عليه وهو فيها ، ألا ترى أنّ الألف من ضارب زائدة فلو حذفتها وقلت ضرب ، لم تدل على اسم الفاعل بعد الحذف كما كان يدلّ عليه قبل الحذف . "[2]

كما في " كتب" حيث الكاف فاء الفعل ، والتاء عين الفعل ، والباء لامه ، وهو على وزن " فَعَلَ " أمّا الزّوائد فهي ما زيد على الكاف والتاء والباء ، في نحو كاتب وكتاب ومكتوب واكتتب واكتتاب ، ومع زيادة الحروف هناك زيادة في المعاني ، تأتي الزّيادة في العربية لتؤدّي آداءً كبيرا ، وتحرّك الكلمة من جميع جهاتها ، التي يستوعبها الميزان الصرفي ، فتقدّم للغة خدمة لا متناهية ، بسبب

[1] ابن جنّي : الخصائص ، ص81.

[2] ابن جنّي : المنصف ، شرح تصريف المازني ، ج1 ، ص 11.

ما يحصل للكلمة من تغيّرات تساعد على الاستخدام في سياقات متباينة ، وهي تكثير وتنمية للألفاظ ، وتوسّع وإلحاق للمعاني .

الزّيادة مظهر هام من مظاهر العربية ، وهي نمو داخلي في بنية وعناصر اللّغة ، وهي الأساس الذي يقوم عليه الاشتقاق ، فهو يعتمد على هذه الزيادات حيث تُضاف حروف الزيادة على أصول وجذور الكلمة ، فتُحدث تكثيرا في الألفاظ ، وتوليدا في المعاني ، وبسبب هذه المنفعة التي تحقّقها الزيادات ، فقد اهتمّ القدماء بموضوع حروف الزّيادة ، ومعانيها المعروفة فكلمات استخرج ، استرجع ، استكبر ، استجمع ، استنكر في الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف نجد أن معاني هذه الكلمات كلّها معاني إضافية على المعاني الأصلية ، الكامنة في الأفعال الثلاثية حال تجرّدها من حروف الزيادة ، وهذا يدخل في الزّيادة المعنوية بمعنى أنّ " ما زيد من الحرف على أصول الكلمة يحدث حتما معنى زائدا على ما كان يفهم من الكلمة قبل الزّيادة. " [1] أحاط ابن يعيش بموضوع الزيادة شرحا وتفصيلا وجعلها من ضروب التّوسّع في العربية فقال " الزيادة إلحاقا لكلمة من الحروف ما ليس منها إمّا لإفادة معنىً كألف ضارب، وواو مضروب ، وإمّا لضرب من التّوسّع في اللّغة نحو : ألف حمار، و واو عمود ، وياء سعيد "[2]

1 أنواع الزيادة :

الزيادة هي إضافة بعد التجريد وهي ضروب وأنواع قال ابن يعيش: " اعلم أنّ الزّيادة على ثلاثة أضرب : زيادة معنى ، وزيادة إلحاق ، وزيادة بناء "[3]

. أ زيادة من موضع الحروف الأصلية ؛ وعندها يتكرّر حرف أوحرفان من الحروف الأصول في الكلمة ، وهي في حد ذاتها أنواع .

---

[1] توفيق محمد شاهين : عوامل التنمية ، ص97.

[2] ابن يعيش : شرح المفصّل ، د ط ، د ت ، عالم الكتب ، بيروت لبنان ، ج 9 ، ص141.

*ينظر في ذلك التطبيق الصرفي : على جابر المنصوري ، علاء هاشم الخفاجي ، ص29 ومابعدها

[3] ابن يعيش : شرح المفصّل ، ج9 ، ص 143.

. **تكرير عين** الكلمة من غير فاصل بين الحرفين المكرّرين ، وهذا يقع في الأسماء كما في كلمات : سُلَّم ، تُبَّع ، وفي الأفعال كما في قطَّع ، كرّم ، جرّع ، سلّم ، هذَّب ، أدَّب ، وإمّا بالفصل بين الحرفين بزائد كما في الأسماء مثل : عَفَنْقَل ، عَثَوْثَلْ ، سَجَنْجَلْ وفي الأفعال مثل : اغَدَودَن ، اخَلَوْلَق ، اعَشَوْشَب ، احدَودَب .

. **تكرير لام** الكلمة على حالين : إمّا التكرير من غير فاصل بين المكرّر ، ويقع في الاسم نحو خِدَبّ ، و قِرْشَبْ ، وفي الفعل مثل: احمرّ، وابيض ، وجلْبَبَ ، واقعنسَسَ و قد يتكرّر اللاّم بفاصل بين الحرفين المكرّرين : ولا يكون ذلك إلاّ في الاسم نحو صِهْمِيمْ صِنْديدْ ، و حَنْدَقُوقْ .

. **تكرير لام الكلمة وعينها معا** إما مع مباينة الفاء كما في كلمتي غَشَمْشَمْ ، و عَرَمْرَمْ ، أو مباينة اللاّم ولا يقع هو الآخر إلاّ في الاسم نحو مَرمَريس ، و مَرْمَريت .

. **تكرير فاء الكلمة** كما في قُرْقُف ، وسُنْدُس ، أو **العين** المفصولة بحرف أصلي كما في حِدْرِدْ ، وهذا أصلي لا زيادة فيه ، والأمر نفسه مع مضعّف الرباعي نحو زِلزال ، و قِلقال فهو عند البصريين أصلي لا زيادة فيه .

. **ب زيادة حرف ليس من جنس حروف الكلمة** ، وقد جمعها النحاة في كلمة "سألتمونيها " والأصل في حروف الزيادة هو حروف المدّ واللّين ، لأنّها أخفّ الحروف وهي الأصول ، أمّا باقي حروف الزيادة ، فمشبه بها ومحمول عليها .[1] وتقع هذه الزيادة

. في الأسماء حيث تُزاد عدة حروف ورد منها :

. زيادة الألف في : ضارِب ، و سالِم ، و عالِمٍ على وزن فاعلٍ .

. زيادة الواو في : جوهر ، و كوكب ، وعوسجٍ على وزن فوعلٍ .

[1] خديجة الحديثي : أبنية الصرف في كتاب سيبويه مُعجم ودراسة ، لبان ناشرون بيروت ، ط 1 ، ت ط 2003 ، ص68.

. زيادة الياء في : صيْرف ، و غيْلم ، وديْلمٍ على وزن فيعَلٍ .

. زيادة الميم و الواو في : مضروب ، مكتوب ، منصور، معلوم على وزن مفعولٍ .

. وتقع الزيادة في الفعل **بحرف واحد** ولها ثلاثة صيغ " أفعَلَ ، فاعلَ ، فعَّلَ :

. الهمزة في أكرمَ ، أحسنَ ، أنذرَ على وزن أفعَلَ .

. والألف في قاتل ، ضارب ، عانق على وزن فاعلَ .

. والتضعيف في فَرَّجَ ، ضَعَّفَ ، جَوَّزَ على وزن فعّلَ .

. ج زيادة حرفين : ويأتي على خمسة أوزانٍ هي انفعَلَ ، افتَعَلَ ، افْعَلَّ ، تَفَعَّلَ ، تَفَاعَلَ .

. زيادة همزة الوصل ونون ساكنة في أوّله في : انكسر، انطلق ، انحدر على وزن انفَعَلَ

. زيادة همزة الوصل وتاء مفتوحة بعد الفاء في: انتقَلَ ، اننتفعَ ، انتبَهَ على وزن افتعلَ

. زيادة همزة الوصل في أوّله ، وتضعيف اللّام في : احمرَّ ، اخضرّ ، اعوجَّ على وزن افعَلَّ

. زيادة التاء المفتوحة في أوّل الكلمة وتضعيف العين في : تفطّنَ ، تيقّنَ ، تعلَّمَ على وزن تفعّلَ .

. زيادة تاء مفتوحة في أوّله والألف بعد فائه في : تغافل ، تناوم ، تكاسلَ على وزن تفاعلَ.

. د الزيادة على ثلاثة حروف

وله ثلاثة صيغ هي : اسْتَفْعَلَ ، افْعَوْعَلَ ، افْعَوَّلَ ، افعالَّ .

. زيادة همزة الوصل والسين الساكنة والتاء المفتوحة في : استغفر، استقام ، استحجر ، استأسد .[1] على وزن **اسْتَفْعَلَ** .

[1] خديجة الحديثي : أبنية الصرف في كتاب سيبويه ، ص67 .

. زيادة همزة الوصل في أوّله والواو الساكنة بعد العين المفتوحة الأولى اغدودن ، اعشوشب اخشوشنَ على وزن **افعوْعَلَ** .

. زيادة همزة الوصل في أوّله ، والألف بعد العين ، وتضعيف اللاّم في : احمارَّ ، اصفَارَّ اخضَارَّ على وزن **افعالَّ** .

. زيادة همزة الوصل في أوّله ، وتضعيف مابعد العين المفتوحة في : اجلوَّذَ اعلوَّطَ ، على وزن **افعوّلَ**

وحروف الزيادة هذه هي نفسها قد تكون أصلية في كلمات أخرى مثل : سأل ، نام ، تمّ ، وجرت عادة العرب في كلامهم ، أن لا تكون الزيادة من غير هذه الحروف ، لذلك أخذت اسم حروف الزيادة .

2 التفريق بين الحرف الأصلي والحرف الزائد في الكلمة .

الحروف الأصول هي الحروف التي لا يستقيم معنى اللّفظ عند نقصانها ، والحروف الزوائد هي حروف تقدّم معان زائدة على المعاني الأصلية للكلمات ، ونستطيع التفريق بين الأصلي والزّائد بعدة طرق منها :

. سقوط الحرف الذي يدلّ على زيادته مثل : ياء كريم في كِرُمَ.

. سقوط الحرف من فرع ذلك اللّفظ ، كسقوط ألف كتاب من كلمة الجمع كُتُبٌ.

. سقوطه في بعض استعمالات اللّفظ مثل كلمة الإطل التي تستعمل مرة بقولهم " أيطل " و" الإطل " والمعنى فيهما واحد ، وهو الخاصرة والمعنى أنّ مغايرة الاستعمال دليل على زيادة الحرف ، وعدم أصالته.

. حمل الجامد على المشتق ، فإذا اطّردت زيادة حرف معين في موضع ما عند الاشتقاق، حكم ذلك بزيادة ذلك الحرف ، في هذا الموضع ، حتّى لو وقع في اسم جامد كما في . زيادة النون الثالثة الساكنة في المشتق كلمة " حبنطى" ، فإذا وقعت هذه النون في اسم جامد حكمنا بزيادتها

، كما في عقنقل، وسجنجل ، حيث النون زائدة ، والسبب في ذلك أنّ الجامد أخذ حكم المشتق عندما حُمِلَ عليه ، كما أنّ اطّراد زيادة الألف في أحمد، وأحمر، وأفضل، وأحسن، نستطيع أن نحكم بزيادتها في " أرنب " .

. إذا اعتُبر الحرف في بعض الكلمات أصلا ، يلزم تقدير عدم النّظير لتلك الكلمة في كلام العرب مثال كلمة عُرُنْد ، إذا اعتبرت نونها أصلا ، وجب أن لا يكون لها نظير .[1]

. والغالب العام أنّ لكلّ حرف من حروف الزيادة موقع تكثر فيه ، حتّى اطردت زيادته فيه واقترنت به . *

والعربية تتوسّع في معانيها عن طريق آليات كثيرة منها الزيادة فهي تصدُر عن لواحق تُزاد على الوزن ، أو سوابق تسبقه مثل سابقة "است " التي تفيد الطلب والصيرورة ، اتّفق النّحاة على أنّ الاسم والفعل يشتركان في الحروف التّي تزاد إليهما وسمّوها بالحروف الزّوائد ، وهي عشرة " الهمزة والواو والياء والهاء و النون و التاء والسين والميم واللام جمعها النّحاة في جملة " هويت السّمان " روي أنّ أبا العبّاس سأل أبا عثمان المازنيّ عن هذه الحروف فأنشده بيتا يبيّن فيه الحروف قال فيه :

هويت السّمان فشيّبنني وقد كنت قدما هويت السّمان [2]

وليس معنى هذا أنّ حروف عبارة " هويت السّمان " لا تأتي أصلية ، بل معناه أنّها هي الحروف التي يزيدها المتكلّم وليس غيرها وهذا باتّفاق النّحاة .

---

[1] خديجة الحديثي : أبنية الصرف.. ، ص 68 ، 69 .

*لمعرفة مواقع حروف الزيادة " سألتمونيها " ينظر في ذلك خديجة الحديثي : أبنية الصرف في كتاب سيبويه ، ص69 و ما بعدها .

[2] ابن يعيش : شرح المفصّل، ج9 ، ص 141

3 . أهمية الزيادة في حروف الكلمة وأغراضها .

تأتي الزيادة في العربية لأغراض كثيرة ، توحي كلّها بفكرة حركية اللغة وليونتها ، كما أنها تقدّم معان إضافية ،لا تُفهم من الكلمة من غير زيادة ذلك الحرف .

. أ الزيادة للمعنى ، ويراد منها أنّه إذا زيد الحرف في الكلمة ، يقترن بإضافة معنى جديد غير المعنى الذي دلّت عليه الحروف الأصلية ، وفي كتب النّحو تفصيل لمعاني حروف الزّيادة في الثّلاثي والرّباعي والخماسي ، مثل حامد حيث الألف في هذا الاسم زائدة غير أصلية وحروفها الأصلية هي حَمِدَ على وزن" فَعِلَ" ، إلاّ أنّ هذه الزّيادة دلّت على معنى هو اسم الفاعل بمعنى الشّخص الحامد. ومن الحروف التي تزاد لتدلّ على معنى حروف المضارعة التي تقترن بالفعل لتجعله يدلّ على زمنين في مثل زيد يقرأ [1] فما يفهم من هذه العبارة أنّ زيدا في حالة قراءة في الوقت الحاضر، كما يفهم منها أنّ زيدا سيقرأ في المستقبل ، فياء المضارعة زائدة في الفعل يقرأ وهي على وزن يفعل ، الأصل قرأ على وزن " فَعَلَ" .

ومن أنواع زيادة الحرف" التنوين" قال ابن عصفور: " وأمّا زيادة الحرف فمنها إلحاقك التّنوين فيما لا ينصرف " [2] قال النابغة : [3]

فلتأتينّك قصائدٌ ولتدفعنّ جيشا إليك قوادم الأكوار

التنوين في قصائد زائد لأنّه اسم ممنوع من الصّرف ، وبالتّأويل إلى المعنى الأصلي نقول: فلتأتينّك قصائدُ ، إلاّ أنّ التّنوين هنا هو زيادة لضرب من التّخفيف ، وليس وجود الزّوائد كعدمه في الكلمة ، وإنّما بزوالها تزول المعاني المكتسبة التي دلّت عليها الكلمات بالزّيادة تدخل حروف الزّيادة بطرق متباينة .

---

[1] ابن جنّي: المنصف ، ج1 ، ص14، 15 .

[2] ابن عصفور الإشبيلي : ضرائر الشّعر ، تحقيق السيد إبراهيم النّجار ، دار الأندلس للطباعة والنّشر والتّوزيع ، ط2 ، ت ط 1982 ، ص22.

[3] نفسه ، ص22

زيادة الياء تلحق أوّل الكلمة ووسطها في الأسماء والأفعال ، في كلمة " يلمع " زيدت الياء في أوّل الاسم قال الشّاعر : [1]

إذا ما شكوت الحبّ كيما تثيبني بوُدِّي قالت : إنّما أنت يَلْمُعُ)

فياء " يلمع " زائدة غير أصلية ، وبردّ الكلمة إلى أصلها لمع تكون على وزن فعل، وقد تأتي الياء الزّائدة ثانية بعد فاء الفعل في مثل" خيفق " وهي غير أصلية لأنّها دخلت على ثلاثة حروف وحكمها الزيادة وأصل الكلمة " خَفِقٌ "على وزن فَعِلٌ [2] ، كما تأتي الياء ثالثة في مثل "سعيد " على وزن فعيل وهي زيادة لغرض الوصف والأصل" سَعِدَ" على وزن فَعِلَ ، وفي مطلق الأحوال لا يمكن تمييز الزّائدة من الأصلية إلاّ بردّها إلى أصلها بطرق الصّرف ، ووضع الكلمة في الميزان الذي هو آلة قياس واستبيان وتحقيق وتدقيق .

. **زيادة الواو** : تكون ثانية ، ثالثة ، ورابعة وتمنع زيادتها أوّلا لأنّها " لو زيدت في أوّل الكلمة لم تخلُ من أن تُزاد ساكنة أو متحرّكة ، ولا يجوز أن تزاد ساكنة لأنّ السّاكن لا يبتدأ به وإن زيدت متحرّكة لا تخلُ من أن تكون مضمومة ، أو مكسورة ، أو مفتوحة "[3] وإذا كانت مضمومة قُلبت همزة مضمومة كما في : وُقِتَتْ هنا تطّرد الواو مع الهمزة ، فتصير أُقِّتَتْ ، وإذا كانت مكسورة قلب همزة مكسورة كما في وِفادة تصير إفادة ،ولمّا كانت زيادة الواو في أوّل الكلمة تعرف القلب والتّغيير امتنع عن زيادتها مطلقا لما لها من ثقل ، و ما جاز منها فالزيادة ثانية في مثل "عوسج "على وزن" فَوْعَلْ" ، وحين تردّ إلى الأصل فهي " عسج " وثالثة في مثل جدول والواو هنا زائدة لأنّ الأصل جَدَلَ على وزن فَعَلَ [4] وقد تزاد رابعة كما في ترقوة ، وعنفوان ، فالواو فيهما زائدة لأنّها في الأصل "ترق ، عنف " ويبقى دائما الرّدّ إلى الأصل هو ما يبيّن الأصلية من غير الأصلية .

---

[1] ابن يعيش : شرح المفصّل ، ج9 ، ص150.

[2] ابن يعيش : شرح المفصّل ، ج9 ، ص149.

[3] ابن يعيش : شرح المفصّل ، ج9 ، ص160.

[4] ابن يعيش ،: شرح المفصّل ، ج9 ، ص

. **زيادة الألف** " الألف لا تزاد أوّلا ، ويأتي امتناع الابتداء بها أنّها لا تكون إلاّ ساكنة "[1] لكنّها تكون ثانية كما في رافع وعارف على وزن فاعل ،و تكون ثالثة كما في كتاب ، وتكون رابعة في مفتاح ، وقرطاس ،وحبلى[2] الألف زائدة وأصلها فتح ، وقرطس وتكون خامسة كما في حَلَبْلاَبْ [3] على وزن " فَعَلْعَالْ" وأصلها حلب على وزن فعل .

الألف في جميع ما تقدّم ذكره من أمثلة زائدة بدليل أنّها تزول حين تردّ إلى أصلها ، يقول ابن يعيش : "وأصل حروف الزّيادة حروف المدّ واللّين التي هي الواو والياء والألف ، وذلك لأنّها أخفّ الحروف إذ كانت أوسعها مخرجا وأقلّها كلفة ."[4] وهو ما يفسّر بأنّ العربية لغة لينة مرنة تميل إلى الخفيف .

. تكون الزيادة لمدّ الصوت، ويكون ذلك بزيادة حرف من حروف المد وهي:

. **الألف** كما في كتاب، سحاب، سراب.

. **الواو** كما في عجوز ، عمود ، رسول .

. **الياء** كما في حليب، صليب، عميد، وتكون أهمية المد في تقفية الشعر .

. الزيادة لتعويض حرف محذوف ، فكلمة اسم جاءت بهمزة وصل زائدة ، تعويضا عن واو محذوفة ، فالأصل فيها وسم ، من الوسم وهو العلامة .[5]

. الزيادة لغرض إظهار الحركة مثل هاء الوقف ، كما في كلمتي ، ماليه ، سلطانيه القراءة .

. الزيادة لتكثير حروف الكلمة كما في كلمة " قَبَعْثَرَى" و" كُمَتْرَى" زيدت فيها الألف للتكثير.

---

[1] ابن يعيش : شرح المفصّل ، ج9 ، ص146.

[2] ابن يعيش : شرح المفصل ،ج9 ، ص146.

[3] ابن يعيش : شرح المفصل ، ج9، ص146.

[4] ابن يعيش : شرح المفصّل ، ج9 ، ص141.

[5] خديجة الحديثي : أبنية الصرف ، ص74.

. زيادة همزة الوصل لتسهيل النطق بالساكن كما في أُكتبْ ، أُخرُجْ ، استِخرجْ من الأفعال واثنين ، امرئ من الأسماء .

. الزيادة من أصل الوضع وهذا ينطبق على صنف من الكلمات ، لم يُنطق فيها إلاّ بزائد، من ذلك " افتقر" التي استغني بها عن " فَقُر" ، و" اشتدّ" التي استغني بها عن " شَدُدَ "، واستغنوا ب " ارتَفَعَ" عن " رَفُعَ "، واستغنوا ب" احمارَّ " عن " حَمِرَ" . [1] *

ونُلخّص الزيادة لإفادة معنى إضافي في مايلي :

. زيادة الألف لإفادة الوصف بالفاعل في ضارب، قائم ، وسالم .

. زيادة الواو لإفادة الوصف بالمفعول كما في مضروب، ومنصور، ومهجور .

. زيادة حروف المضارعة لإفادة معاني التكلّم حسب نسبة الضمائر للمتكلّم المفرد والجمع ، والخطاب ، والغيبة ، والحضور، وكلّ زيادة من هذه الحروف لا تحصل فائدتها في غياب الحرف.

. الزيادة في الفعل الثلاثي ، والرباعي ، والخماسي .

. ب الزيادة للإلحاق .

تأتي الزيادة للإلحاق كملمح هام من ملامح العربية ، وتكون الزيادة للإلحاق ، لجعل" كلمة من الكلمات على مثال كلمة أكثر منها حروفا من المجرّد ، والمزيد لتصير مساوية لها في عدد الحروف ، والحركات والسكنات ، ولتتبعها في الاشتقاق ، وغالبا ما يكون معنى الكلمة بعد زيادة

[1] خديجة الحديثي : أبنية الصرف في كتاب سيبويه ، ص75.

* تتساءل خديجة الحديثي عمّا ذهب إليه سيبويه بقوله استغنوا بارتفع ، وافتقر ، واشتدد عن رفع ، وفقُر ، وشدَد في حين تذكر المعاجم في العصور الموالية جذور هذه الأفعال ، هل كان الأمر أنّ سيبويه قدّم الحكم اعتباطا ، أم أنّ هذه الأفعال قد شاع استعمالها لاحقا في عصر ابن منظور ، الذي أوردها في لسان العرب .
لكن نستطيع القول بفكرة القياس ، حيث أنّ ابن منظور وهو لاحقٌ ، لجأ إلى القياس لاستنباط الغائب في استعمال العرب بما ورد عنهم بالسماع فقط .

الإلحاق ، كمعناها قبل الزيادة . "[1] لذلك فهناك اطّراد في المعنى بين المجرّد والملحق به وفي ذلك أمثلة كثيرة كوثر ، و صيْرف [2]، فالواو في الأوّل ، والياء في الثّاني زائدتان ، وبتأويل أصلهما بردّهما إليه ، نجد أنّ الكوثر من الكثرة ، واستعملت الواو زائدة فيه قال الشّاعر[3]:

وأنت كثير يا ابن مروان طيّب وكان أبوك ابن العقائل كوثرا

كلمة صيرف من الصرف ، وهاتان الكلمتان ملحقتان بكلمتي جعفر ، وسلهب [4] زيدت الواو في كوثر لتلحق بجعفر ، وزيدت الياء في صيرف لتلحق بسلهب ، وهي على وزن فعلل ، و كذا في كلمة سميدع زيدت فيها الياء لتلحق بكلمة فرزدق ، و سميدع يقابلها في الميزان " فَعَيْلَلْ وأصل الكلمة بردّها إليه على وزن فَعْلَلَ أي سَمْدَعَ ، وإنّما زيد الحرف فيها لإلحاقه بكلمة معيّنة ، ومنه " جِدْوَل" الواو ملحقة ببناء دِرْهَم ، وهِجْرَعْ ، وهِبْلَعْ [5].

وتفيد عملية الزيادة للإلحاق أحيانا من ناحية أنّها تعمل على تجميع الألفاظ الكثيرة في معنى واحد ، وهذا يدلّ على اهتمام العرب بأمر المعاني ، وتقديمها لها في أنفسها مثل قولهم : " شمللتُ ، بيطرتُ ، حوقلتُ ، دهورتُ ، سُلْقُيتُ ، جُعبُيْتُ " هي من حيث عدد الحروف والتقابل في الحركة والسكون على سمت دحرجتُ ، لذلك تمّ إلحاقها ببنائها ، وهو اتّساع في اللغة ، في طرق الكلام ، والمحاورة .[6] ولمّا كان الإلحاق يقع في الأسماء والأفعال على السواء ، فإنّه يعمل عمله فيهما معا ، فإذا كان الملحق فعلا فإنّه يساوي بعد الإلحاق الملحق به في الوزن والتصرف في المصدر ، واشتقاق اسم الفاعل ، واسم المفعول ، وما إليهما .

وإن كان الملحق به اسما ، فإنّه يتبعه في جميع أحكامه المتعلقة بالتصغير، والتكسير ، والنسبة أمّا من ناحية المعنى فقد تكون الكلمة قبل الزيادة غير دالة على معنى ، وتدلّ بعد الزيادة على

---

[1] خديجة الحديثي : أبنية الصرف ، ص76.

[2] ابن جنّي : المنصف ، ج1 ، ص13.

[3] ابن جنّي : المنصف ، ج1 ، ص13 ، 14.

[4] ابن جنّي : المنصف ، ج1 ، 13 ، 14.

[5] ابن جنّي : المنصف ، ج1 ، ص14.

[6] ابن جنّي : الخصائص ، ص190.

معنى مثل " ككب" التي لا معنى لها فهي جذر عديم المعنى ، وإذا بنينا منها كلمة " كوكب " فهي دلالة محددة . [1]

بالإضافة إلى الزّيادة للإلحاق هناك الزّيادة للمدّ و هو أمر يتعلّق بالجانب الصّوتي ، الزّيادة بالمدّ تفيد التّكثير الواو في عجوز ، عمود ، والياء في جريب ، قضيب ، والألف في كتاب وسراج ، هذه الحروف الزّائدة تفيد امتداد الصوت والتكثير .[2]

4 الفرق بين الزيادة للمعنى والزيادة للإلحاق [3]

. الفرق الأوّل هوأنّ الزيادة للمعنى تسعى للقبض على معان إضافية ، بينما تكون الزيادة للإلحاق غالبا لمعنى مطّرد ثابت .

. الفرق الثاني أنّ الزيادة للإلحاق لا تدغم حروفها الموجبة للإدغام إذا تكرّرت ، لأنّ في ذلك تفويت فرصة موازنة الكلمة بكلمة أخرى مثل : " خَفَيْدَدْ " و" جَلْبَبَ " التي يُراد إلحاقها ب" سَفَرجَل " و " دَحْرَجَ " فلا يُقال فيهما "خَفَيْدّ " و " جَلَبّ " وفي ذلك اختلال في الميزان بين الملحق والملحق به ، أمّا في الزيادة للمعنى فإنّه لو وقع التماثل بين الحرف الزّائد وحرف أصلي لأُدغم الحرفان ، أويقلب أحدهما ليصير من جنس الحروف الأصول ، كما في كلمات

" ادّكر" و" اذّكَرَ " و" اطّلَمَ و اظّلَمَ " فقد أُدغم الحرف الزّائد في فاء الكلمة بعد عملية القلب على الحرف ، بحيث جانس الحرف الأصلي ولو كانت الزيادة للإلحاق ، لوجب الفصل بين الحرفين .

---

[1] خديجة الحديثي : أبنية الصرف ، ص 76 .

[2] ابن جنّي : المنصف ، ج1 ، ص14.

[3] خديجة الحديثي : أبنية الصرف ، ص77.

المبحث الخامس : الإبدال عنصر فعّال في التعريب .

نرصد ظاهرة الإبدال لعلاقتها المباشرة بآلية التّعريب ، فالإبدال في اللّغة هو جعل شيء مكان شيء آخر، وفي اصطلاح النّحاة " هو إبدال الحروف ، وإقامة بعضها مقام بعض "[1] بمعنى أن " تقيم حرفا مقام حرف إمّا ضرورة وإمّا صنعة واستحسانا ." [2] وقد اهتمّ بعض علماء العربية بالّنظر في العلاقة بين المبدل والمبدّل منه ، على اعتبار أنّ أحد الكلمتين أصلا والأخرى فرع عليها ، ويتحدّد الأمر بالاستعمال والشّيوع ، فأشيعهما تكون أصلا والأخرى تكون فرعا عليها ، كما في لفظتي " فم" و " ثَمٌ" فاء فم بدل من ثاء ، ثَمٌ لأنّ ثَمٌ أكثر استعمالا من فم . "[3] أورد منها الثعالبي مجموعة ألفاظ نذكر منها "مدح ومده" ،" جدّ وجذّ" ، "خرم وخزم" ، "صقع وسقع" ،" فلق وفرق" "صراط وسراط" ، "مسيطر ومصيطر" ، "مكة وبكّة" .[4]

وضع حرف ليس من الحروف الأصول في الكلمة مكان حرف آخر من الحروف الأصول، يأتي غالبا لتيسير النطق وتحقيق مبدأ الخفّة في الكلام، وهي ضرورة يتحكّم فيها قانون الجهد الأقل الذي تعمل به اللّغات جميعها . ولنا في العربية نماذج كثيرة يحكمها قانون الإبدال ففي قوله تعالى : (**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**)[5] نجد أنّ الصاد في كلمة الصراط غير أصلية لأنّ أصلها السراط ولكنّها مبدّلة حيث أخذت الصاد مكان السين نطقا وكتابة والسّبب في ذلك أنّ السين حرف ضعيف مهموس والرّاء مجهورة قويّة والطّاء مطبقة ، فتأثّر حرف السين بهما وتبدّلت السين صادا حتّى يتحقّق الانسجام بين الحروف فيسهل النّطق .

---

[1] الزّركشي : **البرهان في علوم القرآن** ، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ، دار المعرفة بيروت لبنان ، الطبعة الثّانية ، دت ج 3 ، ص388.

[2] ابن يعيش : ، موفق الدّين، **شرح المفصّل**، د ط ، د ت ، مطبعة عالم الكتب، بيروت لبنان ، ج10 ، ص7.

[3] ابن السكّيت : أبويعقوب ، **الإبدال** ، تقديم وتحقيق حسين محمد محمد شرف ، مراجعة علي النجدي ناصف ، مط الأميرية القاهرة مصر ، ت ط 1978 ، ص4.

[4] الثعالبي : أبو منصور ، **فقه اللغة وأسرار العربية وسنن العرب في كلامها** ، دار مكتبة الحياة ، بيروت لبنان د ت ، د ط، ص274

[5] سورة الفاتحة ، الآية 5 .

في كتاب الإبدال لأبي يعقوب السّكّيت ت (186 هـ 244هـ) ما يظهر بجلاء عملية الإبدال في العربية " هتنت السماء وهتلت تهتن تهتانا و تهتل تهتالا ، وهنّ سحائب هتنٍ هتلٍ" [1] ويتعلّق الأمر هنا بإبدال النّون مكان اللاّم والمعنى واحد .

. "لعاعة و نعاعة " وقد جاء في الحديث الشّريف "إنّما الدنيا لعُاعَةٌ "[2] يقال في الأرض لُعاعة حسنة ، ونُعاعة حسنة بمعنى بقل طري حسن لم يغلظ بعد . [3]

. ويقال أبّنته وأبّلته إذا أثنيت عليه بعد موته "[4]

. ارمعنّ الدمع و ارمعلّ إذا تتابع

. ويقال لابنٌ ولابلُ [5]

. أسود غيْهب وغيهم ،

. كمحته وكبحته باللجام ،

. ذأبته وذأمته إذا طردته ومنه يذبّ عن عرضه ،

. رأب القدح ورأمه [6]،

. ومنه الغيم والغين بمعنى واحد ،

. ماء آجن وآجم [7]

. امتقع وانتقع وهو ممتقعُ اللون مُتغيّر [1]

---

[1] ابن السكيت : الإبدال ، ص49.

[2] ابن السكيت : الإبدال ، ص63.

[3] ابن السكيت : الإبدال ، ص62.

[4] ابن السكيت : الإبدال ، ص67

[5] نفسه ، ص68.

[6] ابن السكيت : الإبدال ، ص 74، 75.

[7] نفسه : ص78.

. النّدى والمدى الغاية

. طانه وطامه الله على الخير بمعنى جبله [2]

ففي هذه الألفاظ جميعها حرف مبّدل من حرف والمعنى واحد لكن النتيجة أن تكاثرت اللغة وتعدّدت ألفاظها.

جعله إبراهيم أنيس من قبيل التحريف ، ولذلك يجب النّظر أوّلا في العلاقة التي تربط المبدّل بالمبدّل منه ، وهومن الدّراسات النّظرية القديمة التي تهتم بالكلمات القديمة المهجورة ولا علاقة له بالاستعمال في اللّغات الحيّة الحديثة.[3] وننظر إليه في موضوعنا بمنظار المحرك الذي يجعل الكلمة تتحرك فتغيّر من هيئتها وشكلها وهذا دفع في طريق التنمية والتكثير ليس في الكلمات ذات الأصول العربية فقط ، ولكن حين توظّف فكرة الإبدال على الكلمات الدّخيلة فتجعلها عربية باستخدام حركة الإبدال حسبما يتفّق مع الذّوق والصّياغة العربية ، وكثيرة هي المواقف التي يحتاج فيها المتكلّم إلى ذكر اللفظ ومرادفه ، أو ما يقاربه في الشّكل والمعنى ليقوى المعنى ويتأكّد في نفس المتحدث والسامع معا .

أ . حروف الإبدال

حدّد نحاة العربية الحروف التي كانت موضع إبدال من الحروف التي تشكّلها الحروف الأصلية وهي كما يجمعها الزّمخشري في عبارة . **استنجده يوم صال زط** . ويأتي بها في قوله: " وحروفه حروف الزّيادة والطّاء والدّال والجيم والصاد والزّاي ، ويجمعها قولك استنجده يوم صال ز ط " [4] تلجأ العربية للإبدال لتجنّب الإستثقال على اللّسان ، ليسهل النّطق بالكلمات بعد تبديل حروفها المستثقلة . ما يستبدل في العربية هو كثير من كثير، نذكر منه تمثيلا وليس حصرا بعض الحروف التي يرد فيها الإبدال :

---

[1] ابن السكيت : الإبدال: ص79

[2] نفسه : ص81.

[3] نفسه ،ص 5.

[4] الزّمخشري : المفصّل في علم العربية ، دار الجيل ، بيروت لبنان ، ط 2 ، د ت ، ص360.

إبدال الواو والياء همزة كلمتي رداء وكساء [1] على وزن فعال مشتقة من الردية * و هو رداي ، على وزن فعال وكساء من كسوة وهو كسا وعلى وزن فعال وأبدلت همزة رداء من الياء المتطرّفة ، وهمزة كساء بدّلت من واو متطرّفة . وفي كلمتي قائل وبائع [2] أصل قائل قاوِل، وأصل بائع بايِع ، لم تظهر الواو والياء بسبب تطرّفهما بعد الألف فقلبتا ألفا و صارا " قاال و بااع " ولا يجوز حذف الألفين لكي لا يتغيّر المعنى ، فالأولى هي ألف اسم الفاعل ، والثّانية منقلبة عن حرف أصلي الذي هو الواو أو الياء ، ولالتقاء السّاكنين حرّكت الألف المنقلبة ، وأبدلت بهمزة فقيل قائل وبائع على وزن فاعل .

في كلمة" أواصل" الأصل هو" وُوَاصِلُ " استثقل العرب نطق واوين مجتمعتين فقلبت الواو الأولى همزة لأنّها أقرب إلى الألف وهذا لاجتناب الثّقل.

حالات الإبدال في العربية كثيرة منها : الإبدال بالياء ، إذ قد تبدّل الواو ياءًا ، و تبدّل السين ياءا ، وتبدّل الباء ياءًا وتبدّلت الرّاء ياءا كما في شيراز، وأصلها شرّاز، وقيراط وأصلها قرّاط ، إبدال النّون ياءًا كما في دينار أصلها دنّار ودليلها الجمع على دنانير ، وإبدال الضّاد ياءًا وهذا كلّه في إبدال حرف من الحروف الأصول إلى واو، كما قد تبدّل هذه الحروف إلى ألف أو واو وفي مواضع أخرى تبدّل بعض الحروف الأصول إلى تاء ، أو دال.

وحالات الإبدال كثيرة نقف منها على أنّ العربية تمتلك هذه الأداة التّحويلية لتبديل الحروف التي تُستثقل ، وكذلك ما تعلّق بالكلمات الدّخيلة حيث تتعامل معها العربية معاملة تغيّر من هيئتها ، وتجعلها تتوافق مع العربية ويحدث ذلك في التعريب خاصّة ، وفي ذلك تنمية وتكثير وتلبية لحاجة اللغة . كلّ ما تقدّم ذكره من مواصفات هي من مظاهر العربية وبنيتها التي قامت عليها ، ولذلك فإنّ لغة بهذه المواصفات من اللّين والمطاوعة ، هي لغة مؤهّلة للتنمية ولم يكن عسيرا عل

---

[1] الزمخشري : المفصّل في علم العربية ، 360. ابن يعيش : شرح المفصّل ، ج10 ، ص10.

*الرّدية فلان حسن الردية حسن الطبع .

[2] الزمخشري : المفصّل في علم العربية ، ص360.

* لمعرفة جميع حروف الإبدال ينظر في ذلك شرح المفصّل لابن يعيش ، ج10 و الممتع في التّصريف : لابن عصفور الإشبيلي ج1 ، ص350 وما بعدها .

المستعمل أن يوظّف تلك المؤهّلات التي تزخر بها العربية ، ويستعملها في التنمية اللغوية . وبتوفّر هذه الظواهر في اللغة العربية صارت كلّ مؤهّلات العربية أدوات طيّعة في أيدي علماء العربية قديما وحديثا وكذا المجمعيين في العصر الحديث ، فقد استخدموا هذه الأدوات حين قاموا بتوظيفها في التنمية ، وفي كلّ الآليات كالتعريب ، والاشتقاق ، والتوليد والتّوسّع والإلحاق .

المبحث الخامس : الميزان الصرفي جهاز لمراقبة سلامة الأبنية .

الميزان الصرفي هو عماد العربية ، وكثيرا ما وُسم هذا الجهاز بأنّه الشيّء القديم الذي فقد قيمته ، فناله الكثير من تذمر المحدثين *وثورتهم عليه ، لكنّه في حقيقة أمره علامة قوة على توقد ذهن واضعه ، الذي تنبّه للمجرد الذي لا يُرى ولا يُلمس وهو الكلام ، ثم وضع له الميزان الذي يوزن به ، **فهو جهاز** يحدّد سلامة الأبنية ، ويضمن انضباطها وديمومتها .

وهو الآلة التي تتجاوب مع كلّ الكلمات العربية فتزيد من حروفها إن زادت الكلمة ، وتَحذف إن نقصت الكلمة ، ولا يفقد هذا الميزان صلاحيته ، وكيف نستغني عن ما يوزن به الكلام ؟ ونحن نحتاج للميزان في كلّ شيء لأنّه يعصم اللسان " والواجب على من أراد معرفة النحو أ

يبدأ بمعرفة التصريف ، ذلك لأنّ التصريف هو معرفة ذوات الكلم في أنفسها من غير تركيب " [1]

نوجز الحديث عن الميزان الصرفي* بقصد التنبيه إلى أهميته

---

* تذهب بعض الدراسات الحديثة المتأثرة بعلم اللغة عند الغرب إلى وصف الميزان الصرفي بالجمود ، يرد ذكر طبّي محمد في مؤلّفه وضع المصطلح ، قاسم رياض اتّجاهات البحث اللغوي الحديث ، وآخرون والتُّهم أظهر من أن تُذكر .

[1] الحملاوي :أحمد بن محمد بن أحمد ، **شذا العرف في فن الصرف**، تمحمد بن عبد المعطي ، تخريج الشواهد أبو الأشبال سالم المضري ، مط دار الكيان ، دت ، د ط ، ص17.

* تتم الإشارة إلى أنّ واضع الميزان الصرفي هو الخليل بن أحمد الفراهيدي وقد تمّ ربطه بالميزان العروضي ، وقد يكون معاذ الهرّاء هو واضع علم الصرف وهو من وضع الميزان الصرفي ، وذلك باعتبار مولده وقِدم جلوسه للدرس النحوي 65 ، 96 هـ ، وفي رواية أنّ أبا مسلم مؤدّب عبد الملك بن مروان حضر مجلس معاذ الهراء ، وهو يناظر رجلا في مسألة صرفية فقال معاذ : **كيف تقول من تؤزّهم أزًّا يافاعل أفعِلْ** "**وهي مسألة سابقة عن الخليل** تنظر الرواية الكاملة في طبقات النحويين و اللغويين للزبيدي..

و إظهار دوره الفعال في قياس الكلام ، ثمّ إظهار دوره في تحديد الأبنية التي يُبنى عليها الكلام في العربية ، فهو الذي يشخّص الكلمات ويضبط معالمها ، والمنطق يفرض أن يكون لكلّ شيء ميزان يوزن به ، و لكلّ صناعة وعلم معيار يقابل به علماؤه ما يعرض عليهم من مادة تقتضي الوصف والتحليل ، ولمّا كان علم الصرف ينظر للكلمة من جهة حروفها شكلا ووضعا وترتيبا ، لتُعرف أصالة الكلمة وزيادتها وضبطها دفعهم ذلك إلى اتّخاذ معيار تُقاس به الكلمات ، واتّخذوه من الحروف التي تكونت بها الكلمات ، وسمّوه الميزان الصرفي ، يذكر علماء الصرف " أنّ صناعة التصريف شبيهة بالصياغة فالصائغ يصوغ من الأصل الواحد أشياء مختلفة ، والصرفيّ يحوّل المادة الواحدة على صور مختلفة ، لذلك احتاج الصرفيّ في عمله إلى ميزان يعرف به عدد حروف الكلمة وترتيبها وما فيها من أصول و زوائد وحركات وسكنات ، وما طرأ عليها من تغيير ."[1]

أ. أسرار الميزان الصرفي طبيعته وعمله .

لقد نظر علماء العربية في الكلام الذي يدخل تحت تصرّفهم وهو . الأسماء المتمكّنة التامّة الإسمية والأفعال المتصرّفة التّامة التصرف . فوجدوا الثلاثي الأصول أكثر دورانا من الرّباعي والخماسي لذلك جعلوا الميزان على ثلاثة أحرف ، قابل للزيادة إن كان الموزون رباعيا أو خماسيا ، وهو أمر لا يجافي المنطق والمعقول ، لأنّ الزيادة على الأصل الثلاثي أفضل من جعل الميزان خماسيا ثمّ الإنقاص من حروفه ، والزيادة أسهل من الحذف ثم جعلوا صيغة " **ف ع ل** " هي حروف الميزان ، وقد بنيت على " فَعَلَ " التي هي من الفعل والفعل أعم الأحداث ، كما أنّ مخارج هذه الحروف متباينة وموزّعة باعتدال ، حيث الفاء فاء الفعل مخرجها الشفة ، والعين عين الفعل مخرجها الحلق ، واللاّم لام الفعل مخرجه اللّسان ، والتزموا أن تُقابَل حركات أحرف الميزان بالحركات والسكنات التي جاءت عليها أحرف الكلمة التي يراد وزنها ، وجعلوا الميزان يتحرّك بحركة الكلمة تقديما ، وتأخيرا وإضافة و حذفا [2] وسميّت " فعل " زنة و وزنا

[1] خديجة الحديثي : أبنية الصرف في كتاب سيبويه ، ص63.

[2] خديجة الحديثي : أبنية الصرف في كتاب سيبويه ، ص 63.

لأنّ "**فَعَلَ** " هي الهيئة المشتركة التي تقاس بها هيئة الكلمة وهي المقدار الذي يميّز وزن الكلمة من الكلمات الأخرى تشبيها لها بالميزان الذي يبيّن نسبة ومقدار و وزن السلعة قياسا ونسبة .[1]

هو في عمله كعمل الميزان الحقيقي فهو أداة قياس ، وحداته الأساسية هي الصيغ " والصيغة في الصرف وسيلة من وسائل تنمية اللّغة ، وثبات الميزان الصرفي " [2] لم يكن مفيدا في الماضي فكيف الحال في هذا العصر الذي تحتاج فيه اللغة العربية إلى مطعّمات جديدة تسهم في حل المشكل اللّغوي القائم حاليا ، لذلك لابدّ من مدّ هذا الميزان والنّظر في توسيع وحداته ، ومن الضروري كما يقول صالح بلعيد على الميزان الصرفي أن يتحرّك ويساعدنا في حل المشكل اللّغوي ، فإذا توسّعت الأبنية والصّيغ لاشكّ أنّ الثروة تكثر وتنمو وتزداد .

المبحث السادس : أهميّة الأبنية والقوالب ودورها في التنمية اللغوية .

إذا جئنا لمنطق العربية" فقليلون يعلمون أنّ الأبجدية العربية أبجدية هندسية وضعها مناطقة اللّغة الأوّلون تقوم عليها بناية اللّغة العربية ، و بها وحدها تثبت في لائحة الحضارات وتشيع في منطق الذّات ."[3] وتقوم العربية على تلك الأبنية التي توزن بالميزان الصرفي فهو آلتها . والمراد بالبنية هيئة الكلمة التي وضعت عليها أوّل أمرها ، والتي يمكن أن يشاركها فيها غيرها من الكلمات ، وهذه الهيئة هو ما تشترك فيه الكلمات من عدد الحروف المرتبة والحركات من" فتحة وضمّة وكسرة " والسكنات مع اعتبار الحروف الأصلية والزائدة كلّ في موضعه [4] وهذه الهندسة التي تظهر لنا من خلال تمايز الأبنية ، تتميّز بآداءات مخصوصة لمعان محدّدة ومخصوصة ، وكلّما اطّردت الدلالات داخل البناء الواحد دفعت البناء إلى التخصّص بذلك

---

[1] خديجة الحديثي : أبنية الصرف في كتاب سيبويه : ص64.

[2] صالح بلعيد : اللّغة العر بية آلياتها الأساسية وقضاياها الراهنة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، تط 1995، ص89.

[3] شوقي حمادة أبوعقلين : المساهم ، المقدمة ، ص5.

[4] خديجة الحديثي : أبنية الصرف في كتاب سيبويه ، ص 14.

المعنى ، كأن يكثر ورود بعض الأوزان ، وتطّرد معانيها لدلالات محدّدة ، مثل أوزان الفعل الماضي ، أو الفعل المضارع ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ، وصيغ المبالغة ، والمصادر ، وأسماء الزمان والمكان ، وجموع التكسير ، وأفعال التفضيل ، واسم الآلة ، وصيغ التعجّب ،[1]

وهذه علامة مائزة لأبنية العربية " لاتقلّ أهمية عن خاصية الاشتقاق" [2] بل " إنّ الموازين هي شخصية اللغة . [3] ولمّا كان الكلام ينضوي تحت هذه المقادير المضبوطة ، فإنّ حركة الألسنة تنضبط على تلك المقادير لتزن الحروف التي تجري عليها " كما تميل كفة الميزان بمقدار ما يوضع فيه ثقلا وخفّة "[4] فأهمّ جانب أساسي من جوانب العربية هو أبنيتها وصيغها التي قامت عليها ، وهي بمثابة الهيكل أو القِوام " و تتميز العربية بنظام من الصيغ دقيق يزنها ويُزَيِّنها ميزان سحري هو الميزان الصرفي .

فإذا كان التّوالد في ألفاظ اللغة سمة تميّز العربية لأنها لغة اشتقاقية ، فإنّ طريقة التوالد تقتضي بإيجاد صيغ وقوالب تُصبّ فيها الألفاظ ، فتكون هذه الأبنية هي التي تحدد وظائف الكلمات وتعطيها الدلالة المقصودة ؛ بمعنى أنّ الأبنية أو الصيغ والأوزان الصرفية ، هي بمثابة القوالب التي تُصبّ فيها المادة اللّغوية لتأخذ الهيئة النهائية للكلمة ، وحين نقصد تنمية الألفاظ نحتاج لتلك الأوزان والصيغ ، لغرض تشكيل ألفاظ جديدة ، فما حال تلك الأبنية هل هي أبنية ثابتة جامدة لا تزيد ولا تنقص ؟ أم أنّها متغيّرة متحركة متبدّلة على الدّوام ؟ هل هي أبنية تنمو كما تنمو اللّغة ؟ أم أنّ اللّغة متغيرة والأبنية جامدة .؟ هل بإمكاننا إحداث أبنية جديدة تضاف إلى رصيد العربية ؟ أم تكون الإضافة إضافة دلالية فقط ، يذهب بعض المحدثين إلى أنّ مسيرة العربية في هذا الاتّجاه لامحالة لولا التّوقف الذي طرأ على مسيرتها .[5]

---

[1] عبد الواحد وافي : فقه اللغة ، ص 166.

ممدوح محمد خسارة : علم المصطلح علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية ، مط دار الفكر ، دمشق

[2]سورية ، ط1 ، تط 2008 ، ص126.

[3]شوقي حمادة : المساهم ، ص31.

[4] االرافعي : تاريخ آداب العرب ، ج1 ،ص83.

[5] ممدوح محمد خسارة : علم المصطلح ، ص123.

. أ الأبنية عند القدماء

اهتم القدماء بالأبنية الصرفية وقصدوا من خلال أبحاثهم إلى تحديد معاني الأبنية لأنّهم يعرفون جيدا الارتباط القوي بين البناء ومعناه الذي يقوم عليه ، بعد الخليل فتح سيبويه حديث الأبنية وبيّن ماجاء من معاني ، وكان ابن قتيبة في كتابه أدب الكاتب أوّل من أفرد بابا لمعاني الأبنية فقال في فُعَال [1] " والأدواء إذا كانت على فُعال أتت بضم الفاء مثل القُلاب والخُمال

والنُّحاز والسُّكات إلاّ حرفا واحدا هو السُّواف داء من أدواء الإبل " [2] أمّا الفارابي في ديوان الأدب فهو صاحب أول معجم في العربية أُلِّف على نظام الأبنية وجاء معجمه في نظام فريد وترتيب عجيب فهو كما قال " عملُ من طبّ لمن حبّ ، مشتمل على تأليف لم أُسبق إليه وسابقا بتصنيف لم أُزاحم عليه "[3] * أمّا الثعالبي في فقه اللغة وأسرار العربية فقد أنجز فصلا مستقلا في أبنية الأفعال وحدّد منها ما ثبُت معناها في استعمال العربية أحصى منها :

. **صيغة فَعَّل** مثل غلّق وذبَّح وفخَّم وعظَّم وكرَّم ونزَّل وطوَّفَ وهو لإفادة التكثير، ويكون فعَّل بنية كما في قولك كلَّم ، ويفيد النسبة كما في قولك جهَّله إذا نسب إليه الجهل ، وظلَّمه إذا نسب إليه الظلم .

. صيغة أفعَلَ يكون بمعنى فعل نحو أسقى وسقى وأمحضه الوُدَّ ومحضه الوُدّ

. **صيغة فاعَلَ** تكون للدلالة على شيء بين اثنين ويفيد المشاركة ، مثل ضارب وبارز وحارب وقاتل وسالم .

. **صيغة تفَاعل** تدلّ على المشاركة مثل تجادل وتناظر وتحادث وتضارب وتحاكم ويدلّ على واحد كما في تراءى له ، ويدلّ على إظهار أمر وإبطان غيره وسمّاه غيره الإدّعاء كما في تمارض

---

[1] ممدوح محمد خسارة : علم المصطلح ، ص124.

[2] ابن قتيبة : أدب الكاتب ، بحث

معجم ديوان الأدب للفارابي كما لاحظنا هو في 495 ص من القطع الكبير يُعدُ ثروة حقيقية للتعريف بالأبنية و النماذج التطبيقية عليها .

[3] الفارابي : ديوان الأدب ، ص د من المقدمة .

وتناوم وتغافل و تجاهل وتغابى بمعنى أظهر المرض والنوم والغفلة والجهل والغباء وهو خلاف ذلك.

. **صيغة تفَعَّلَ** تكون بمعنى التكلّف مثل تشجّع وتجلّد وتحكّم ويكون بمعنى أخذ الشيء ، وسمّاها غيره المطاوعة مثل علّمته فتعلّم ، أدّبته فتأدّب ، فقّهته فتفقّه ، ويكون بمعنى اعْلَم كما في القول تعلّم أنّ بعض الشرّ خير .

. **صيغة استفْعَلَ** تكون بمعنى التكلّف كما في استعظم واستكبر وتكون بمعنى الطلب كما في استسقى واستوهب واسترزق ويكون بمعنى التحوّل كما في استنوق واستحجر واستنسر .

. **صيغة افْتَعَلَ** تكون بمعنى فعل اقتنى واشتوى واكتسب .

. **صيغة انفَعَلَ** تكون بمعنى المطاوعة نحو كسرته فانكسر ، جبرته فانجبر قلبته فانقلب .

ويُضيف في فصل آخر مجموعة أبنية دالّة على معان في الأغلب الأكثر وقد تختلف منها:

. **صيغة فَعَلاَنَ** تدلّ على الحركة والاضطراب كالنزوان والغليان والضربان والهيجان .

. **صيغة فَعْلاَنْ** تدلّ على صفات تقع من أحوال كعطْشان وشبْعان وغرْثان وريّان وغضْبان .

صيغة أفْعَلَ تأتي للدلالة على الألوان والعيوب نحو أبيضَ وأحمر وأزرق وأعور وأعرج

. **صيغة فُعَال** للدلالة على مرض مثل الصُداع والسُعال , والخُناق والكباد ، والرعاش أو تدلّ على صوت مثل الصُّراخ والنُّباح والثُّغاء والرُّغاء والخُوار.

. **صغة فَعِيلَة** كثير من الأطعمة على فعيلة كلفيتة وسخينة و حريرة ونقيعة وليمة عقيقة .

. **صيغة فُعول** للدلالة على الأدوية كاللّعوق والسّعوط والوُجور واللّدود والذّرود والقُطور والنّطول.

. **صيغة مِفْعال** للدلالة على الاستكثار غالبا كمِطْعان ، مِطْعام ، مِضْراب ، مِضْياف ، مِهْذار مِعْطار ، مِئْناث ، مِذْكار ، مِتْئام . [1]

لكنّ ابن القطّاع كان أوفر جمعا للأبنية من القدماء وأكثر فضلا على المتأخرين ، قال محقق كتاب " أبنية الأسماء والأفعال والمصادر لابن القطّاع ، لاأعلم أحدا قبله جمع الأبنية أسماءً وأفعالا ومصادر في كتاب واحد بدقة متناهية ، فاقت من سبقه وأفادت من لحقه "[2] ويكون ابن القطاع بعمله هذا قد سبق مجمع اللغة العربية بألف عام في اتّخاذ قرارات تتعلّق بتحديد الأبنية العربية ، وإحصاء معانيها أراد ابن القطّاع أن يأتي على جملة الأبنية العربية كلّها فاعتمد في ما ذهب إليه على مؤلّفات سابقيه ، و ذكر أنّ علماء العربية قبله ، تركوا أبنية كثيرة لم يذكروها في مؤلّفاتهم ، فلم يستوعبوها كلّها ولا أتوا على جملتها وخلّطوا في رُتبتها فقد أحصى منها سيبويه ثلثمائة مثال وثمانية أمثلة ، واعتبر نفسه ذكرها كلّها وزاد عليه ابن السرّاج اثنين وعشرين مثالا ، وزاد عليها الجرمي أمثلة يسيرة ، وزاد عليه ابن خالويه أضعاف ما ذكر ، وكذلك فعلوا في مصادر الثلاثي ، لم يذكر أحد منها أكثر من ستة وثلاثين مصدرا وذكرت منها مائة مصدر[3] *

---

[1] الثعالبي : أبومنصور ، فقه اللغة وأسرار العربية ، ص241،243 .

[2] ابن القطاع : علي بن جعفر بن علي العدي ، **أبنية الأسماء والأفعال والمصادر** ، تحقيق ودراسة أحمد محمد عبد الدّايم ، مط دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، ت ط 2010 ، ص73 .

[3] ابن القطاع : نفسه ، ص89

*يذكر ابن القطاع ويعدّد أسماء كلّ من اعتمد عليهم في عمله منهم أبو عمرو بن العلاء ت154هـ ، يونس بن حبيب ت183هـ ، الخليل ت175هـ ، أبو زيد الأنصاري ت215هـ ، الأخفش ت215 ، النضر بن شميل ت204هـ ، خلف الأحمرت180هـ ، ابن الأعرابي ت215 ، الأصمعي ت213هـ ، أبو عمرو الجرمي ت225هـ ، أبو عبيد ت223هـ ، الفراء ت207هـ ، اللحياني ، ، الكسائي ت189هـ ، أبو زياد الكلابي أبو عمرو الشيباني ت213هـ ، سيبويه ت180هـ ، وأبو حاتم السجستاني ت255هـ ، والرياشي ت257هـ ، والأثرم ت257هـ ، محمد بن حبيب ت240هـ ، قطرب ت206هـ ، يعقوب بن السكيت ت246هـ ، ثعلب ت291هـ ، المبرد ت285هـ ، ابن قتيبة ت270هـ ، أبو حنيفة الدينوري ، ابن كيسان ت299هـ ابن دريد ت 321هـ ، الجوهري ت 393هـ ، الأزهري ت 370هـ

يضبط ابن القطّاع عدد الأبنية ، ويذكر أنّه وصل إلى تعداد ألف مثال وخمسمائة مثال جمع فيها الثنائي والثلاثي و الرباعي والخماسي .[1]

. جدول إحصاء ابن القطاع للأبنية العربية

الثنائي	الثلاثي			الرباعي			الخماسي	
197 مثال	السالم 17 مثال	المضاعف المكرر 54 مثال	المزيد 1022 مثال	السالم 15 مثال	المضعف 14 مثال	المزيد 156 مثال	السالم 10 أمثلة	المزيد 15 مثال

بعد هذا التقسيم الذي أورده ابن القطّاع قال : " ما أضمن الإحاطة ، ولا أشرط أن لايشذّ عن كتابي شيء ، وكلام العرب واسع الشذوذ كثير"[2] ، وقد أجابه صبحي الصالح بقوله : " أنّ محاولاتهم باءت بالخسار، فما تيسّر لأحد منهم . مهما يكن قد أكثر . أن يستوعب هاتيك القوالب."[3] ومع ذلك ظلّت محاولات علماء العربية في هذا السبيل متواصلة ففي القرن الثامن الهجري يورد أبوحيّان في الارتشاف حديثا طويلا عن الأبنية وذلك بالقول في أحكام الكلم العربية حال الإفراد ، فيورد لنا البناء والمثال عليه ، ويحدّد ما إن كان اسما أو فعلا أو مصدرا أو صفة ويحدّد أحيانا ما

[1] ابن القطاع : أبنية الأفعال والأسماء والمصادر ، ص92 .

[2] ابن القطاع : أبنية الأسماء والأفعال والمصادر ، ص 92.

[3] صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة ، ص329

فيه من قلب أو نقل أو إبدال ، ويضيف بعض الشروح لما غَمُض في اللغة مثل قوله : " الينجَلِب وذكروا أنّه منقول من الفعل وإن كان اسم جنس ، الينجلب اسم خرزة للتأكيد وللرجوع بعد الفرار. [1]

. التيهورة هو مقلوب أصله " تهرورة "على تفعولة فوزنها قبل القلب" تَفْعولَة" وبعده توزن على "تَعفولة "

. بناء فِعِلَّى مثل دِمِمَّى وهو اسم قرية قرب الفرات ،

. بناء فَعَّال مثل بزّاز وهو بائع الثياب ،

. بناء فُعّال مثل جُدّاد وهي الخيوط المعقدة

. بناء فِعَّال مثل جِنّان واحده جن وهو ضرب من الحيّات

. بناء فَاعِيل مثل ياليل هو اسم رجل في الجاهلية

. بناء فَاعُول مثل جاسوس وهو معروف [2]

. بناء يَفَنْعَلْ مثل يَلَنْجَجْ وهو عود للبخور

. بناء تَفْعال مثل تَرْداد

. بناء تفْعول مثل تَعْضوض وهو تمر شديد الحلاوة

. بناء مِفعال مثل مِقداد

. بناء أُفعول مثل أُفنون وهو الحية أو العجوز المسترخية المسنّة .

. بناء فِيعِيل مثل سِينِين وهو جبل سيناء[1]

---

[1] أبوحيّان : **ارتشاف الضرب من لسان العرب** ، تحقيق وجمع ودراسة رجب عثمان محمد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة مصر ،ط1، تط 1998.، ص70.

[2] أبو حيّان : الارتشاف ، ص39.

. بناء يَفْعول ومَفْعول مثل يأجوج ومأجوج .[2]

. ب الأبنية العربية في العصر الحديث

اهتمّ مجمع اللّغة العربية بوضع الضوابط القياسية لتكوين الألفاظ التي تحتاجها اللغة ،وكان التركيز على تحديد الدلالات التي تنتهي إليها أبنية العربية ، وتم تقديم ذلك في شكل قرارات يصدرها المجمع ، لكنّ روح التحفظ قد غلب على أعضاء المجمع ، وعلى الرغم من فتح باب القياس إلاّ أنّه لم يوافق جملة على قياسية تلك الصيغ ، بل لا يُقِرُ منها إلاّ ما تقتضيه الحاجة للتوسيع وتيسير الاشتقاق .

وقد تنبّه صبحي الصالح لدور الأبنية والقوالب فربطها في أهمّيتها بظاهرة الاشتقاق ، ونبّه على دورها الفعّال في تنمية مفردات اللغة حين ذهب إلى أنّ في العربية " ظاهرتان متعاكستان وهما على تعاكسهما متداخلتان بل متكاملتمن : ظاهرة الحركة الاشتقاقية فيما تلده وتحييه ،وظاهرة الصياغة القالبية فيما تسبكه وتبنيه ، وكلتا الظاهرتين تعود على العربية بالغنى والثّراء ، وتهبها القدرة على التطور والنّماء " [3] و الاشتقاق ذاته يعتمد على نظام القوالب .

وغني عن التذكير أنّ " دراسة الأبنية تختلف عن دراسة معانيها "[4] ، هذه المعاني التي تتحدّد من خلال الصيغ والأوزان الصرفية ، والغرض من ذلك استكمال النّقص الذي لم تذكره المعاجم العربية ، كما أنّ الحاجة إلى توليد الألفاظ دفعت المعاصرين إلى استكناه المعاني الكامنة وراء الأوزان وتحديد دلالاتها ، باعتبار أنّ لكلّ وزن دلالة يدلّ عليها مهما كانت المادة التي تُصبّ فيه .

---

[1] أبو حيان : الارتشاف ، ص40.

[2] أبوحيّان : الارتشاف ، ص41 .

[3] صبحي الصالح : دراسات في فقه اللّغة ، ص328

[4] ممدوح محمد خسارة : علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية ، ص123

ثمّ ينتصر صبحي الصالح لنظام السبك القالبي ، رغم ما يوحي به من رتابة وجمود ويجده " أَعْوَدُ على اللغة بالثراء من ظاهرة الحركة الاشتقاقية لما امتازت به العربية من كثرة الأبنية والصيغ " [1] وقد سعى المجمع إلى جعل تلك الأبنية قياسية ، بعد أن تمّت دراستها وتحديد قياسيتها في العربية الحديثة ، والغرض من ذلك تحقيق طواعية اللّغة وتنمية مفرداتها ، لقد ازدادت حاجة الجماعة اللغوية لمزيد من المعاني ، فلا بدّ من النّظر في توسيع دلالات تلك الأبنية من جديد و منها ما يلي :

. ضبط اسم المصدر وتحديد عمله [2]

أصدر المجمع قرارا عرّف فيه اسم المصدر " بأنّه اسم مشتمل على أحرف المصدر الأصول ، وأقرّ مجيئه من الثّلاثي ، ومن غير الثّلاثي و حدّد اسم المصدر من الثلاثي بأنّه ما ساوت حروفه حروف فعله ، دالا على عيب ، أو هيئة ، أو حال ، أو أثر " [3] فجاء من الثلاثي رِزق بكسر الرّاء وضُرٌ بضم الضاد ، ومن الرّباعي عطاء من أعطى ، وثواب من أثاب . علما " أنّ المتقدّمين من علماء العربية ، لم يوردوا اسم مصدر للثّلاثي ، والمجمع القاهري لم يذكر سوى كلمتين" [4] سبق ذكرهما رِزق وضُرٌ ، واسم المصدر قد يدلّ على معنى الحدث فيجوز إعماله عمل المصدر، ولاشكّ في الأمر توسيع و تجديد في أوردة اللغة .

. مجيء مصدر فَعَلَ اللاّزم على فُعُولٌ وفَعْلٌ [5]

لغرض استكمال ما لم تذكره المعاجم العربية ، جاء قرار تكملة ماد لغوية ورد بعضها في المعاجم ، وما يليها من رسائل ، وكتب لغوية ، ولم يرد بعضها الآخر منه صوغ المصدر **فُعُولٌ** من الفعل اللاّزم **فَعَلَ** ما لم يدلّ على حرفة أواضطراب ، أو صوت ، أو مرض ، أو سير،

---

[1] صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة ، ص329.

[2] خالد بن سعود بن فارس العصيمي : القرارات النّحوية والتّصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة جمعا ودراسة وتقويما إلى نهاية الدورة الحادية والستين سنة 1995، دار التدمرية ، المملكة العربية السعودية ، ط1 ، ت ط 2003 م ، ص 371

[3] خالد بن سعود فارس العصيمي : نفسه ، ص371.

[4] نفسه ، 377.

[5] نفسه ،ص379.

أو امتناع ، وما لم يكن معتل العين والمشهور أن فَعَل اللاّزم مصدره فُعُولٌ كسَجَدَ سُجُودٌ لكنّ علماء المجمع عملوا بآراء نحاة العربية ، ومنهم الفراء لقوله : إذا جاء فَعَلَ لم يُسمع مصدره فاجعله فَعْلاً للحجاز ، و فُعُولاً لنجد ، وقد أجاز المجمع فَعْلٌ و فُعُولٌ معا مصدرا للفعل اللاّزم فعل ، وما ثبت له من الأفعال مصدرا سماعا يوقف عليه ، ويبطل القياس ، وما لم يسمع له مصدرا يجوز الأخذ بالقياس الذي أضافه المجمع[1] ، وقد فتح علماء العربية باب مصادر الثلاثي إجمالا ، لأنّ مجازها مجاز الأسماء على رأي المبرّد ، والأسماء لا تقع بقياس وإنّما ننتهي إلى مصادر الثلاثي بالسّماع أو الاستحسان .[2]

الملاحظ على معاني هذه المصادر أنّها لا تأتي كلّها بدلالة واحدة " فالضَّر" بالفتح هو الضّرر في كلّ شيء أمّا المضموم منه " الضُّر " فيكون في النفس ، في مصادر كلمة كُفر نجد " كُفران ، كُفْر ، كُفُور " ، ولمّا نتحرّى معانيها في القرآن الكريم وردت كُفر للدلالة على الكفر في الدين ، كُفران بعنى الجحود ، وكفور في ثلاثة مواضع تحتمل المعنيين معا .[3]

. القياس على فُعَالٌ و فَعِيلٌ للدلالة على الصوت .[4]

إذا لم يرد في اللّغة مصدر لفَعَلَ اللاّزم مفتوح العين ، الدّال على الصوت يجوز أن يصاغ له مصدرا قياسا على وزن فُعَال أو فعيل نحو الهدير، والضجيج ، والشّهيق ، والنقيق ، والّصهيل ، وعلى وزن فُعَالٌ سعال ، ونباح ، و رُغاء ، وغُثاء كما دلّت هذه الصيغة على أسماء الأمراض

[1] خالد بن سعود فارس العصيمي ، 387.

[2] نفسه 382،

[3] ممدوح خسارة : علم المصطلح ، ص127 .

[4] العصيمي : القرارات ، ص388

. مجيء فُعَال و فَعَلٌ مصدرين للدلالة على المرض [1]

للمجمع في ذلك قراران ؛ يتعلّق القرار **الأول** بالقياس على فَعَل اللاّزم مفتوح العين مصدرًا على وزن فُعَال للدلالة على المرض ، مثل ثُبات وهو داء معجز عن الحركة أي شلل كامل [2] ، حُزاز وهو صعود سائل حامض إلى المعدة ، حُكاك داء حك الجلد [3]

والثاني بما أنّ المجمع لجأ إلى التوسيع في تلك الأوزان " للضرورة ، فإنّ الضرورة العلمية في وضع المصطلحات تفتضي استعمال فَعَل للداء و يجاز اشتقاق فُعَال و فَعَل للدلالة على الدّاء سواء ورد له فعل أم لم يورد "[4] ومنه : السُكَات ، العُطاس ، النُّحاز مثل السُّعال السُّهام ، البُوال ، الدُّوار ، ومنه على وزن فَعَل الحَبَط ، الحَبَج التي وردت عن سيبويه ، ومنه الجَرَب ،البَرَص ، الكَلَب .

ويضيف السامرائي لصيغة فُعال الدلالة على ما كان متقطّعا كالحُطام ، والفُتات ، والرُّفات ، و ما اجتمع بعضه إلى بعض كالجُفاء والغُثاء .[5]

. القياس على المصدر فَعَلاَنُ للدلالة على التّقلّب والاضطراب .[6]

" فَعَل اللاّزم إذا كان دالا على اضطراب أو تقلّب أو اهتزاز فإنّ مصدره الغالب عندهم هو فعلان بفتح العين " [7] أورد سيبويه من تلك المصادر النزوان ، النقران ، العسلان ، الرّتكان *وقدّم له الكواكبي صلاح الدين سبع وأربعون ومائة مصطلح

. القياس على المصدر فِعَالة للدلالة على الحرفة وما أشبهها[1]

---

[1] العصيمي : القرارات ، ص390.

[2] أحمد مختار عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة ، ج1 ، 311.

[3] أحمد مختار عمر ، نفسه ، ص536.

[4] العصيمي : قرارات ، ص390.

[5] ممدوح خسارة: علم المصطلح ، ص129 .

[6] العصيمي : القرارات ،، ص393.

[7] نفسه 393.

*العسلان اضطراب رأس الفرس ، الرّتكان مقاربة الخطى .

من أي باب من أبواب الثّلاثي يصاغ الوزن فِعالة بكسر الفاء فهو للدلالة على حرفة أو ما شابهها وهو رأي جمهور العلماء من متقدّمي النحاة منذ سيبويه ، فقد ورد عن القدماء السقاية والرفادة و السدانة والوفادة إلى ما جاء به مجمع اللّغة العربية ، وهو أمر صحيح من جهتين : الأولى أنّ أغلب في ما سمع عن العرب أنّ هذه الصيغة فِعالة تأتي للحرفة ، والثانية أنّ الحرف والصّناعات متجدّدة ، ولابدّ من فتح باب ييسّر على أهل العربية التعبير عن تلك الحرف المتجدّدة [2] كالخراطة والحلاقة ، السِّباكة ، تقانة وهي علم الصنائع والفنون ، ومنها جراحة ، حِياكة ، دِباغة ، وتقانة وهي علم الصنائع والفنون .

. مجيء فُعالة للدلالة على نفاية الأشياء و بقاياها [3]

اختار المجمع صيغة فُعالة للدلالة على ما تبقّى من الأشياء وقد استقى هذه الصيغة بناء على ما جاءت به المعاجم ، وكتب اللغة من ألفاظ منها السلافة ، القلامة ، والقراضة ، والحثالة ، والقُمامة ، التي دلّت جميعها على بقايا أشياء ، وهو رأي جمهور العلماء كسيبويه ، وقد أقرّ المجمعيون هذا الوزن بعد أن أحصى أحمد الحوفي من أربعة معاجم سبعين كلمة جاءت على صيغة فُعالة تدلّ على ما تبقّى من الشيء ، ،خُلالة بقية الطعام ، شُفافة بقية الماء ، قُرارة بقية الطعام في القدر ، نُخالة بقية الدقيق في المنخل بعد النخل ، سُحالة برادة ما بقي من ذهب أو فضّة ، ومنه قُراضة ، قُشارة ، قُصاصة ، قُلامة ، نُتافة ، نُثارة ، نُجارة ما بقي من خشب ، نُسالة لما بقي من شعر أو ريش أو صوف والملاحظ أنّها جميعا للشيء ذهب وبقي منه .[4] ومنها جُلادة وهي ما

---

[1] خالد العصيمي : القرارات ، ص 396.

[2] العصيمي : القرارات ، ص398.

[3] نفسه ، ص399.

[4] شوقي حمادة : المساهم ، ص 62.

تخلّف من تجليد الكتب [1] ، حُدادة وهو ما بقي من الحديد ، [2] ومنه حُشاشة وهي بقية الروح من المريض [3]

. إلحاق التاء بالمصدر الميمي [4]

تقول العرب هذا الولد مجبنة مبخلة وشراب مخبثة للنفس ومطيبة ، وعشب ملبنة ومسمنة وأرضٌ مَخصبة ، المَرتبة ، المَسربة وهي مرعى الظّباء ، مَطربة وهي طريق ضيّق ، المَقلتة وهي المَهلكة ، المَسرجة ، المَسلحة ، والمَصلحة ، مَسعدة .[5] وجاء السماع بكلمات محمدة ، ومحزنة ، مهلكة وهي كُلها على مَفْعَلَة ، ولهذه الكثرة ارتأى المجمع القياس على المصدر الميمي من الثلاثي المختوم بالتاء . فقد أقر القدماء هذه الصيغة ووافق عليها المجمع لأنّ التاء اللاّحقة بالمصدر الميمي لا تؤثّر في الوزن وإنّما تضيف معنى على أصل الصيغة وهو ما نقصده في التنمية زيادة المعنى .

. صوغ اسم الفاعل على وزن فاعل من كلّ فعل ثلاثي متصرّف للدلالة على الحدوث [6]

من الأبواب الثلاثة للفعل الثلاثي "فَعَلَ" المتعدّي واللاّزم و "فَعِلَ و فَعُلَ " المتعدّي واللاّزم و "فَعُلَ" بفتح الفاء وضم العين وهي أفعال متصرّفة من هذه الأبواب الثلاثة يجوز صوغ اسم الفاعل على وزن فاعل بقصد الحدوث أي نسبة الحدث لاسم الفاعل مثل : تحيّة عاطرة ، وضرب ضارب ، قَتَلَ قاتل ، ذهب ذاهبٌ ، وفاعل هو القياس في "فَعَلَ" ومنه أَمِنَ آمِنٌ ، شرِبَ شارِبٌ ، عَلِمَ عالِمٌ .من "فَعِلَ " المتعدّي و سَلِمَ سالِمٌ ، أثِمَ آثِمٌ ، سَمِعَ سامِعٌ ، من اللاّزم . ومن الباب الثالث "فَعُلَ" يأتي اسم الفاعل قليل منه فرُهَ فارِهٌ عَقُرَت عاقِرٌ لذلك يستنتج الفرق الدقيق بين اسم الفاعل والصفة المشبّهة باسم الفاعل وهو إذا كان الوزن " دالا على التجدّد والحدوث فهو

---

[1] أحمد مختار عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة ، ج1 ، ص383

[2] أحمد مختار عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة ، ج1 ، ص457 .

[3] أحمد مختار عمر : ج1 ، ص501 .

[4] العصيمي : القرارات ، ص414.

[5] كتاب المذكر والمؤنث لابن الأنباري عن العصيمي ، ص و414. وينظر الفارابي : ديوان الأدب ، ص283.

[6] العصيمي : القرارات ، ص452.

اسم الفاعل ، وإن كان دالا على الدوام والثّبوت فهو صفة مشبهة "[1] ويتلخصّ أمر الفرق بينهما في ما لخّصه الزمخشري في تفسيره لقوله تعالى :

(**فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وضائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ**)[2] ففي هذه الآية عدل القرآن الكريم عن لفظ ضاق إلى ضائق ليدلّ على أنّه ضيق عارض غير ثابت ؛ لأنّ رسول اللّهصلّى الله عليه وسلّم ، أوسع الناس صدرا ولم يكن الضيق إلاّ عارضا مثل قولنا **زيد سيد وجواد** إذا كان في الأمر ثبات ، فإذا أردت الحدوث قلت سائدٌ و جائدٌ .

. صوغ فَعَّال للدلالة على المبالغة من الثلاثي اللازم والمتعدّي[3]

تستعمل العربية صيغة فعّال للمبالغة في اسم الفاعل مثل ضرّاب ، قتّال ، وثّاب ، همّاز ، مشّاء ، وتدلّ هذه الصيغة على أنّ الفاعل اتّصف بالشيء وأتاه مرّات عديدة ، و تكرّر حدوثه معه وبسبب اختلاف العلماء في الاعتماد فيه على السّماع أو القياس ، يقرّ بعضهم أن لا يقال فيه إلاّ ما قالت العرب ، وقال الشيخ محمد الخضر حسين من علماء المجمع بقياسية صيغة فعّال وجمع من الأمثلة على وزن فعّال في العربية تسعة وثمانين صيغة منها : أفّاك ، أوّاب ، توّاب ، غفّار ، بسّام ، بطّال وهو الرأي الذي تبنّاه المجمع ، ومنه توّاق ، من الفعل تاق ، وجيّاش بمعنى غامر ومتدفّق .

وتأتي **صيغة فعّال :** تأتي في غير المبالغة للدلالة على الاحتراف ، وملازمة الشيء مثل بقّال ، نجّار، حدّاد ، زجّاج ، واعتمد المجمع على المبرّد في قياسية هذه الصيغة في هذا المعنى أي الاحتراف وملازمة الشيء فاستعمل وزنا للدلالة على الحرفة مثل : أبّار وهو ملقّح النخل [4] جصّاص وهو صانع الجصّ ،[5] حجّام محترف الحجامة [1] .

---

[1] العصيمي : القرارات ، ص453.

[2] سورة هود ، الآية 12.

[3] العصيمي : القرارات ، 456.

[4] أحمد مختار عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة ، ج1 ، ص52،

[5] نفسه ، ج1 ، ص377 ،

. صوغ فعول للمبالغة والصفة المشبّهة من الفعل اللاّزم [2]

بسبب ورود أمثلة كثيرة على صيغة فعول من الأفعال اللازمة ارتأت اللجنة صوغ فعول عند الحاجة للدلالة على الصفة المشبّهة والمبالغة ،وأمثلة ذلك في اللغة كثيرة منها في **المبالغة** : حصور، غضوب ، جموحٌ ، أكول ، عجول ، ضروب ، هصور، يقول الشّاطبي: " لا نسلّم أنّه غير مقيس ، بل هو مقيس لكثرة مجيئه " [3]

ومنها فالصفة المشبّهة هي ما اشتقّ من فعل لازم لمن قام به ، ليدلّ على معنى الثبوت ولعلّ مجيء فعول للصفة المشبّهة مرتبط بالسماع قال الرّضي: "صيغ الصفة المشبّهة ليست بقياسية كاسم الفاعل واسم المفعول "[4] والسبب هو التداخل والاختلاف ، غير أنّ ما جاء على وزن" فَعِلَ" يدلّ على ما يُكره مثل ظَهِرَ لمتألم الظهر، و رَمِدَ ، خَمِرَ ، شَرِسَ ، حَدِبَ ، وَجِلَ [5] وإن كان هناك ما يحمل الوزن ، ويتعدّى الدلالة كأنِف ، وطَرِب و فَرِح .

. صيغة فِعِّيل للدلالة على المبالغة [6]

تأتي صيغة فِعِّيل بكسر الفاء وتشديد العين من مصدر الفعل الثلاثي اللازم والمتعدّي للدلالة على المبالغة بكثرة وهذه الكثرة توجب قياسية الصيغة منها : صِدِّيق ، شِرّيب سكِّيت ، خِمّير ، سِكِّير ، ظِلِّيم ، ذِكِّير ، شِغِّيل ، شرّير ، فِجِّير وتقال الصيغة لمن أكثر من الفعل رفض ابن دريد قياسية الصيغة وأورد منها الفارابي خمسة وثلاثين صيغة ، وأضاف السيوطي فجاء بستة وخمسين مثالا غير مكرّرة ، وقال المجمع بقياسية الصيغة أحصى منها إبراهيم أنيس واحدا وسبعين مثالا و هو عدد يجيز قياسية الصيغة .

---

[1] أحمد مختار عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة ، ج1 ، ج1 ، 450.

[2] العصيمي : القرارات ، ص460.

[3] شرح الألفية للشاطبي ج2 عن العصيمي ، ص462.

[4] شرح الكافية للرّضيّ الاستراباذي عن العصيمي : القرارات ، ص464.

[5] ممدوح محمد خسارة : علم المصطلح ..، ص128.

[6] العصيمي : القرارات ، ص466.

. صيغة فُعَلة للدلالة على الكثرة والمبالغة [1]

فُعَلة بفتح العين تختلف عن فعْلة بتسكين العين فالأولى في تأويل فاعل ، والثّانية في معنى مفعول به فضُحَكَة كثير الضحك ، وضُحْكة بمعنى يضحك منه اختلف القدماء في قياسية الصيغة من عدمها ، لكنّ المجمع أجاز أن يصاغ على وزن فُعَلة من الثلاثي وصفا للمذكر والمؤنث ضُحَكة ، لُعَبة ، هُمَزة ، هُزَأة أورد منها السيوطي أربعة وستين صيغة بالاعتماد على سابقيه من علماء العربية وأثبت منها الدكتور عياد الثبيتي خمسة عشرة ومائة مثال ، و هو عدد يجيز قياسية الصيغة عند المحدثين .

. صيغة تَفْعال بفتح التاء مصدرا دالا على المبالغة والتكثير [2]

تصحّ صياغة تَفعال للمبالغة والتكثير ممّا ورد فيه فعل ، أقرّ المجمع ذلك ، كما أجاز أن تصاغ الصيغة تَفْعال ممّا لم يرد فيه فعل في العربية ، والمسوّغ في ذلك أن المجمع قد كان قبلا أقرّ جواز الاشتقاق من أسماء الأعيان للضرورة في لغة العلوم .

ولولا ورود تفعيل أكثر من تَفْعال لكان تَفْعال هو مصدر الباب لأنّه أقيس منه وممّا ذكر فيه : ترداد تذكار ، تلعاب ، تسآل ، تذراف ، تشراب ، تصهال ، تسكاب ، تهذار ، تَقتال تَسيار ، تَضراب ، تَصفاق ، تَرحاب .

. لحاق تاء التأنيث فَعولا بمعنى فاعل [3]

تستثني العربية من الأبنية وزن فعول الذي بمعنى فاعل من لحاق تاء التأنيث ، فما لحقه تاء التأنيث قليل ورد منه سماعا صرورة ، منونة ، عروقة ، فروقة ، ملولة ، لجوجة ، شنوءة ، ويذهب نحاة العربية أنّ التاء جاءت للمبالغة لا للتأنيث ، لكن الغالب على كلام العرب أن يقال رجل صبور، وامرأة صبور ، وشكور ، وذلك بسبب أنّها تخصّصت للمبالغة والتكثير فأسقطت

---

[1] العصيمي : القرارات ، ص 469.

[2] العصيمي : القرارات ، ص473 .

[3] العصيمي : القرارات ، ص486.

عنها تاء التأنيث ، ولمّا كان الغالب عند القدماء من نحاة العربية هو المنع ، فقد أصدر المجمع قرار منع لحاق تاء التأنيث فعولا ، إذا كان بمعنى فاعل وذلك لأنّه لا يجوز إدخال تأنيث على تأنيث .

. اسم الآلة

الحضارة الحديثة هي حضارة تقنية وصناعة بامتياز ، لذلك فقد تزايدت الصناعات والعلوم وتزايدت معها الآلات والمسميات في لغة المُنتج ، ولابدّ على العربية وهي لغة مستهلكة أن تقبض على تلك المُسمّيات ،اجتهد مجمع اللغة العربية في إيجاد صيغ جديدة لاسم الآلة منها

صيغة فَعَّالة اسما للآلة وهي صيغة قياسية

صيغة (مِفعال ، مِفعَل ، مِفعَلَة) صيغة **مفعال** وُضعت لآلات كثيرة مثل مِئبار وهو أداة التلقيح [1] ، مِجداف اسم آلة خشبة القارب ،[2] مِجواف وهو اسم آلة فحص المعددة عبر الحلق [3] ، مِحرار آلة قياس حرارة الجسم ، مِسبار اسم آلة سبر الفضاء ، **مِفعَل** زِنة لمِلقط ، مِضرَب ،مِخرَز ، مِقوَد، صيغة **مِفعَلة** زنة لمِحرقة وهي فرن لحرق جثث الموتى [4] مِطرقة ، مِسرجة ،مِدفأة ، وأضاف المجمع : صيغة **فعّالة** زِنة لبرّامة وهي آلة للثقب [5] ، برّاية أداة البري ،ثقّابة اسم آلة ثقب[6] ، جلاّية اسم آلة الصقل وإزالة الصدأ ،[7] حبّابة وهي أنبوب صغير لضغط الدّواء للتقطير [8] ، حبّاكة اسم آلة النسيج ، [9] حفاّظة لباس قطني للرضيع [10] ، ومنها حفّارة آلة تنقيب وحفر ،

---

[1] أحمد مختار عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة ، ج1 ص53.

[2] نفسه ، ج1 ، ص351.

[3] نفسه : ج1 ، ص423

[4] نفسه ، ج1 ، ص479.

[5] أحمد مختار عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة ، ج1 ، 195.

[6] أحمد مختار عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة ، ج1 ، ص199 .

[7] نفسه ،ج1 ، ص388.

[8] نفسه ، ج1 ، ص433

[9] نفسه ، ج1 ، ص438 .

[10] نفسه ، ج1 ، ص525.

جزّامة آلة قطع الحشيش [1]، حسّابة آلة حاسبة [2] ، ومنها جرّافة ، كسّارة ، خرّاطة ، سمّاعة ، سيّالة .

وأقرّ المجمع صيغة " **فِعال** مثل إراث ، **فَاعلة** مثل ناقلة ، شاحنة ، ساقية ، باخرة ، بارجة وهي سفينة حربية كبيرة [3]، **فَاعول** مثل ساطور ، حاسوب ، ناسوخ ، قانون اسم آلة موسيقية على صيغ "**مِفْعَل** ، **مِفعَلة** ، **مِفْعال** " لتصير سبعة صيغ لاسم الآلة [4] وقد تمت تسمية آلات كثيرة على الصيغ القديمة مثل مِبْضَع جراحة من بضَع يُشقُّ بها الجلد ، مِجْهر لجهاز الميكروسكوب آلة فحص مِحْوَز آلة موسيقية ، مِحجن من الفعل حجنَ ، مِحْفَر آلة حفر، مِقود .

وهوما تحتاجه اللّغة فعلا خلق اشتقاقات جديدة على الصيغ القديمة ، أو التي تمّ الاعتراف بقياسيتها وذلك لغرض تحقيق الكفاية والتنمية والتكثير.

ومنه فهذا التعدّد في الصيغ والتنوع في القوالب داخل نظام اللغة العربية يقف دليلا قاطعا على حياة اللغة ، وهو أمارة من أمارات غناها ، وتصريح بجنوحها إلى الترف بعد أن تحقّق عامل الاكتفاء ، وبذلك فهي مستغنية بقوالبها المتناسقة مع معانيها ، وبدلالاتها المعبّرة عن مدلولاتها ، مترفّعة عن تهمة الجمود ، أقوى اللغات سبكا وتشقيقا وتوليدا . شبّهها صبحي الصالح " بمصنع القوالب اللغوية ، الذي تُسبك فيه كلّ لحظة ألفاظ جديدة على نمط الأوزان تلبية لحاجات الأفراد والمجتمعات ."[5]

من خلال ما تقدّم ذكره من حديث الأبنية * ، بدا لنا أنّ التّصريف نظام دقيق ، ولهذا النّظام دور في الحفاظ على ثبات النّموذج من ناحية ، والتطوّر والتبدّل من ناحية أخرى ، وليس التغير الجذري الذي يقطع اللغة عن ماضيها وينأى بها جذورها التي نبتت منها ، بل هو تحويل لمسار

---

[1] أحمد مختار عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة ، ج1 ، ص486.

[2] نفسه ، ج1 ، ص491.

[3] نفسه ، ج1 ، ص182 .

[4] شوقي حمادة : المساهم ، ص76.

[5] صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة ، ص335.

*معجم ديوان الأدب للفارابي يظم تمثيلا تطبيقيا لكلّ ما ورد ذكره من أبنية في هذا السياق وهو يُغني عن كثيرٍ .

بعض الأبنية ، وجعلها تفي بحاجات الجماعة اللغوية ، لتضع بين يدي المتلاغين رصيدًا كافيا من الأبنية ، للتعبير عن الحاجات المختلفة ، وتلك علامة ظاهرة تبيّن حياة اللغة حياة طبيعية ، وأنّها ليست لغة ميتة فهي كائن حي وهي مثل إنسان أو نبات ؛ ينمو ويتطوّر ويكبر دون أن نلاحظ عليه مظاهر التحول في حياته اليوميّة ، لكنّ التّحول موجود لا محالة . والعبرة كلّ العبرة بدورة الحياة ، فإذا كانت دورة حياة الإنسان محددة من سن الطفولة إلى الشيخوخة ثم الفناء ، فإنّ دورة حياة اللغات كذلك تقارب هذا القبيل ، لكن إذا تعلّق الأمر بعربية القرآن الكريم ، تبدو لنا دورة الحياة طويلة وعاملٌ هام من عوامل بقائها لا يبعد أن يكون هذا النظام الدقيق من الأبنية والقوالب التي تحكم اللغة العربية .

المبحث السابع : الاشتقاق آلة التنمية الأولى في اللغة العربية.

نورد آلية الاشتقاق مباشرة بعد الميزان الصرفي وحديث الأبنية والأوزان ، لأنّ هذه الأدوات هي بمثابة القِطع والآلات التي يعمل بها الاشتقاق ، وهي كلّها وسائل تتبع من داخل اللغة ، لذلك فقد اهتمّ علماء العربية بالاشتقاق اهتماما كبيرا .

. أ العربية لغة اشتقاقية

عايش القدماء إشكالية أصول الكلمات ، فلجأ بعضهم إلى إظهار أصول اشتقاق الكلمات إرادة إثبات أوائلها ، تماما كما اهتمّ العرب بإثبات أنسابهم وبطونهم ، من ذلك أصول لأسماء أوردها الأصمعي في كتاب الاشتقاق نورد منها :

. مُصَرِّف . أصله من التصرّف [1]

. مُخارِق . أصله من التخرّقِ

. الشِّخِّير . اشتُقّ من الشّخير ،

[1] الأصمعي : أبو سعيد عبد الملك بن قريب ، **اشتقاق الأسماء** ، تحقيق رمضان عبد التّواب ، صلاح الدين الهادي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط3 ، ت ط 2002. ص80 ،95 .

. دجانة . اشتقّ من الدّجن ،

. زُفَر . من الإزدِفار وهو احتمال الحمل .

. شِنِّير . من الشّنار رجل شِنِّير كثير الشر والشّنار ،

. نوفل . اشتقّ من النّافلة .

. مِرداس . مشتق من الرّدس وهو ضرب الجبل بالمعول .

. الجحّاف . اشتقّ من الجحف وهو قشر الشئ من أصله ،

. أكتل . مشتق من . التكتيل بمعنى التجميع ، أو الكتال وهو شدّة مئونة الشيء وثقله .

. مُهَلْهِل . من الهلهلة بمعنى الخفّة .

. عُتبة . اشتقّ من المَعْتبة في الغضب أو من العتاب ،

. تَيْمٌ . مشتق من التّيم وهو ذهاب العقل وفساده .[1]

. نهشل . اشتقّ من النّهشلة وهي الكِبر والاضطراب .

. عدنان . نرى أنّه اشتقّ من العدن وهو أن تلزم الإبل مكانا فتألفه . . الجُلاّح . من الجلح وهو ذهاب مقدم الشعر عن الرّأس.

. دارم . اشتق من الدّرم و هو أن لا يكون للشيء حدّ

. مرثد . نرى أنّه اشتقّ من الرّثد وهو نضد المتاع بعضه على بعض

. بُرَيد . اشتقّ من البرد

. قُحافة . مشتق من القحف وهو أخذ كلّ ما في الصحفة

[1] الأصمعي : إشتقاق الأسماء ، ص97 ، 134.

. رُؤاس على فُعال . مشتق من الرّأس

. حُرثان . اشتقّ من الحرث وهو معروف

. غيلان . اشتقّ من الغيل وهو الماء يجري على وجه الأرض

. باسل . اشتق من البسالة الشدّة

. جديلة . مشتق من الجدْل وهو حبل من أدم أو شعر يفتل

. لؤي . من اللّأي وهو الثّور من بقر الوحش .

. خفاجة . اشتقّ من الخفج وهو عيب في مشي البعير

. قتيبة . مشتق من القتبة وهو المعي من أمعاء البطن

. فزارة . اشتقّ من الفزر وهو بمعنى القطع ، ما يلاحظ على ما تقدّم من أمثلة ذكرها الأصمعي في كتابه الاشتقاق أنّه يعود إلى الأصول الأولى التي تنبع منها الكلمات وفي ذلك تأصيل لمعنى الجذر ، لتنطلق عملية الاشتقاق بعد ذلك من جذور ثابتة ودلالة محددة . أمّا ابن دريد صاحب كتاب الاشتقاق فما حداه إلى تأليف هذا الكتاب هو" أنّ قوما ممّن يطعن على اللسان العربي وينسبُ إلى التسمية بما لا أصل له في لغتهم ، وإلى ادّعاء ما لم يقع عليه الاصطلاح من أوّليتهم ، وعدّوا أسماء جهلوا اشتقاقها ولم ينفُذ علمهم في الفحص عنها "[1] فقام بالبحث عن أصول أسماء القبائل العربية ، وعرّف معانيها وأثبتها في كتابه بدءً من اسم النّبي محمد صلى الله عليه وسلّم فهو محمد " مشتق من الحمد وهو مُفعّل ، ومُفعّل صفة تلزم من كثُر منه فعل ذلك الشيء . " [2] وقد ذكر ابن دريد أصول كثير من الأسماء التي تبدو في ظاهرها مبهمة ، أو لا أصل لها في لغة العرب .

ابن دريد : أبوبكر محمد بن الحسين ، **الاشتقاق** ، تحقيق غبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، ، القاهرة ، ط3 ، ، [1] ص4

[2] نفسه ، ص8 .

وبذلك تشكلّت ملامح مدرسة لغوية رائدة وهي "مدرسة الاشتقاقيين " التي تقوم على الربط الوثيق بين الألفاظ ومدلولاتها ، واجتهدوا في إرجاع الكثير من الألفاظ المشتركة في حروفها

إلى معنى أصليٍّ عام، غرس بذرتها الأولى الخليل ببناء نظام الجذور في معجم العين وبعد هؤلاء برز ابن جنّي في الخصائص وسر صناعة الإعراب ، وابن فارس في كتابه معجم مقاييس اللغة [1].

ومنه فإنّ وصف العربية باللغة الاشتقاقية ليس سهوا ولا عفوا، بل هو يضرب في عمق الشّريعة " لأنّ أرفع درجات العلماء وأجلّ مراتب الأدباء معرفة أسماء الأشياء والعلم بحقائقها. " [2] فقد امتنع بعض المتكلّمين ممّن اهتموا بالبحث في المعاني الاشتقاقية من وصف اللّه عزّ وجلّ ببعض الصفات مثل : حنّان ، سخيّ ، داري لأنّها ألفاظ مشتقة من الحنين ؛ وهو من صفات البشر، وسخيّ ؛ أصلها من الأرض السخاوية بمعنى اللّينة ، وداري ؛ أصلها دراية بمعنى العلم إلاّ أنّها توحي بالحيلة والخديعة في بعض معانيها ، وبالمقابل وصفوه بالجواد ، لأنّ فيها معنى العطاء الواسع اللاّمحدود .[3] ووُصف الله تعالى بالرّحمة والعلوّ والعظمة لذاته العظيمة ومنه فإنّ معرفة معاني الجذور في العربية أمر لاغنًى عنه إذا أردنا أن نتحدّث عن لغة دقيقة تتمتّع باستعمال منطقي وقصدية مضبوطة ، ونظرا لخطورة أمر الاشتقاق كان مبحثا أساسيا من مباحث علم العربية *.

---

[1] الرازي : الزينة مقدمة المحقق ، ص12.

[2] الرازي : الزينة ، ج1 ، ص137.

[3] الحملاوي : شذا العرف في فنّ الصرف ، ص16.

*نحصي منها ، الاشتقاق لقطرب ت 206هـ ، الاشتقاق للأخفش سعيد بن مسعدة ت 215.، الاشتقاق للأصمعي ت 216، اشتقاق الأسماء لأبي النصر الباهلي ت231هـ ، اشتقاق الأسماء لأبي الوليد عبد الملك بن قطن المهري القيرواني ت256هـ ، المشتق لأبي الفضل طيفور ت280.هـ ، الاشتقاق للمبرد ت 285هـ ، الاشتقاق لأبي طالب المفضل ت 300هـ الاشتقاق لإبراهيم بن السرّي...

أمّا الرّازي في قضية عرض أسماء الأشياء ومعانيها من اللّه تعالى على نبيّه آدم عليه السّلام ، فيجعل قضية معرفة أسماء اللّه عزّ وجلّ من أهم الرّوابط الفاعلة في معرفة الإنسان بربّه فيقول : " وإنّما صار الفضل في معرفة أسماء الأشياء ، لأنّ كلّ شيء يعرف باسمه ويستدلّ عليه بصفته ، والصّفة تقوم مقام الاسم وتكون خلفا منه ، واللّه عزّ وجلّ يعرف بأسمائه وينعت بصفاته ، ولا درك للمخلوقين إلى غير ذلك. " [1] ومعرفة الأسماء تقتضي معرفة أصول معانيها والجذور التي انحدرت منها كما يقال الرحمان من الرّحمة ، والقادر من القدرة ، والعليم من العلم ، والعظيم من العظمة ، والعلي من العلو ، ولمعرفة معاني الكلمات علاقة بالإدراك ، ويخلص الرّازي إلى أن الاسم نوعان الأوّل مصطلح عليه لا يجوز فيه غير ذلك ، والمصطلح عليه لا يكون مشتقا من آخر ، ولا يعرف معناه إلاّ اللّه ومن علّمه اللّهُ .

إنّ التوالد المستمر في الألفاظ لازمة من لوازم العربية ولعلّ من " نواميس الحضارة العربية أنّها تقوم على مبدأ النّشوء والتّولّد ، يتناسل الموروث عبر الزّمن فتتولّد من الموجود الواحد كائنات متعدّدة ." [2] وبإسقاط هذه الفكرة على الظاهرة اللّغوية ، نقرّ باستيعاب اللغة العربية لهذا المفهوم منذ نشأتها الأولى ، فكذلك قد ظلّت ألفاظها تتوالد وتنمو حسب حاجة المتلاغين بها عبر الزّمن ، مع ثبات . إلى حدّ ما . في كثير من تلك الأصول ، والمقصود في ذلك جذورها ، ماعدا في بعض الفترات التاريخية التي تغيّرت فيها بعض ألفاظ العربية تغيرا جذريا لأسباب دينية ، وعقدية ، وتاريخية ؛ مثل كلمات " **كفر، إيمان ، صلاة ، حج** " وهذه الكلمات تغيّرت معانيها بسبب اقتضاء الدين الجديد ؛ الذي كان ينتقل بالناس من حياة إلى حياة ، ومن اعتقاد إلى آخر، وما دامت الحياة متغيرة متطوّرة في الزمان والمكان ، فحاجات المتلاغين كذلك متنامية ، ولا " تنمية للعربية ولا تطوير إلاّ بوضع المفردات التي تتطلّبها الحياة اليوميّة أو ما يسمّى بألفاظ الحضارة ، ولابدّ من وضع المصطلحات التي يفرزها التّفجّر العلميّ والتّقنيّ المعاصر. " [3] فالمقصود بالتّوليد هو معناه

---

[1] الرازي : الزينة ، ج 1 ، ص138.

[2] عبد السّلام المسدّي : التفكير اللساني في الحضارة العربية ، ص13.

[3] محمود محمد خسارة : علم المصطلح ، ص12.

الحديث الذي يأتي بمعنى التنمية ، والتّكثير، وتحقيق الكفاية ، وعلاقة التوليد والاشتقاق بالقياس علاقة تكامل وتلاحم ذلك " أنّ الاشتقاق هو عملية استخراج لفظ من لفظ أو صيغة من أخرى ، والقياس هو الأساس الذي تقوم عليه هذه العملية ." [1] وبذلك تتصّل عملية التّوليد اللّغوي مع القياس اتّصالا مباشرا، إذ لا توليد للفظ لا قياس له في العربية .[2] ، كان ذلك شعار مجمع اللّغة العربية بالقاهرة .

تذهب خديجة الحديثي إلى حصر وظيفة الاشتقاق في اللغة العربية على التنمية فتقول : وما الاشتقاق إلاّ وسيلة من وسائل تنمية اللّغة ، وسبيل من سبل بقائها حيّة متطوّرة مع الزّمن ." [3] ثم تربط هذا التّطور ربطا خفيا بالماضي أي ماضي اللغة العربية ، لتجعل العربية تنمو ولكن على منوال ما كانت من ماضيها ، وتعود تحديدا لما وضعه نحاة البصرة من أقيسة وقوالب وقواعد ، فهي التي فتحت الباب على مصراعيه وجعلت الطريق معبّدا أمام الدّارسين والباحثين في مختلف ميادين اللغة إلى يومنا هذا ، [4] فنحاة العربية لمّا حدّدوا الاشتقاق من الثلاثي صيغ اسم الفاعل ، واسم المفعول ، واسم التفضيل ، واسم الآلة ، وحدّدوا صيغها القياسية تحديدا دقيقا " أوجدوا قانونا لكلّ ناطق بالعربية أن يُعبّر به عن غاياته باستخدام هذه الاشتقاقات ، ولو لم ترد كلمة من هذه الكلمات على ألسنة العرب ولم تُسمع منهم ، وهكذا تفتّحت اللغة العربية وتوسّعت إلى مالا نهاية باكتشاف قانون الاشتقاق " [5]

ومنه فالاشتقاق في العربية صفة مائزة لها ، وعلامة تضادٍ تفصلها عن اللّغات الأوروبية ،ففي حين يكون الاشتقاق في اللّغات الأوروبية غوص في الماضي وذهاب في أعماق التاّريخ ،وهو " بطاقة شخصية يذكر فيها من أين جاءت الكلمة ، ومتى وكيف صيغت والتّقلّبات التّي

---

[1] فرحات الطيب عيّاش : التنمية ، ص127.

[2] ممدوح محمد خسارة : علم المصطلح ، ص77.

[3] خديجة الحديثي : تيسير النحو ، ص 439 440.

[4] خديجة الحديثي : تيسير النحو ،ص440.

[5] سعاد الحكيم : ابن عربي ومولد لغة جديدة ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، ط1 ، ت ط 1991، ص88 ، 89 .

مرّت بها ، فهو إذن علم تاريخي يحدد صيغة كلّ كلمة في أقدم عصر تسمح المعلومات التاريخية بالوصول إليه ، ويدرس الطريق الذي مرت به الكلمة مع التّغيّرات التّي أصابتها من جهة المعنى أو من جهة الاستعمال." [1] يكون الاشتقاق في العربية بالإضافة إلى ما هو عليه في اللغات الأوروبية ، هو كذلك وسيلة تناسل وولادة ونماء وزيادة في اللّغة وتكثير لمفرداتها ،وهو فوق ذلك نظام دقيق ومسلك مضبوط ، وهو " أهمّ وسيلة لتوليد الألفاظ . " [2] وبسبب قياسيته الدّقيقة ظلّ استعماله يولّد الكلمات ، لكن دون ابتعاد عن الأصل الأوّل الذي انطلقت منه اللّغة ، ونظرا لأن المعاني والمفاهيم كثيرة لا نهاية لها ، وهي متزايدة في عالم المتكلّمين ،فإنّ القبض عليها بواسطة الألفاظ يحتاج إلى وسيلة لسانية فعالة ، يستطيع بواسطتها توليد ألفاظ لا متناهية من أصول اللّغة المحدودة في حروفها وجذورها ، " والوسيلة الأساسية للقيام بذلك في اللّغة العربية هي الاشتقاق ، فهو يؤدّي إلى تنويع المعنى الأصلي ويضفي عليه خواصّ جديدة كالمبالغة والمطاوعة ، والتّعدية و المشاركة ، والطّلب ، والصّيرورة ، والطّبع ، والتّطبّع ، وغيرها ." [3] وهو الأمر الذي أخذت به المجامع اللّغوية ، فبعد الصّراع الكبير بين علماء المجمع ، و بعد أن تمّ النّظر في أمر اللغة بأوضاعها ومعطياتها ، استقرّ الرّأي على "مسألة التوليد اللّغوي الحديث ومستلزماته ، فكان اختيار طريق الاشتقاق حتمية تُمليها صفة اللغة العربية ، وهي أنّها لغة اشتقاقية في المقام الأوّل .

. ب مكمن الثّروة وأساس التّوليد هو اللّغة وما ألّف فيها

تمتلك العربية وسائل الاشتقاق كاملة منها الأبنية التي هي جملة الصيغ التي ثبُتت في كلام العرب ، وقد تمّ تجريد تلك الأبنية من كلام العرب أساسا ، كما أنّ الأصول الثّلاثية والرّباعية ، والخماسية ، مجرّدة ومزيدة ، تمتلك نظاما متطوِرا متكاملا ، لا يختلّ في الاشتقاق ، وبه تصارع

[1] فندريس : اللغة ، مرجع سابق ، ص226.

[2] محمد الانطاكي : دراسات في فقه اللغة ، ص331.

[3] علي القاسمي : علم المصطلح وتطبيقاته العلمية ، لبنان ناشرون ، ط1 ، ت ط 2008 ، ص 379.

العربية غيرها من اللّغات .[1] وهو مبني على نظام دقيق يُعرف بنظام الأبنية العربية كما أسلفنا الحديث ، ولمّا كانت عملية الاشتقاق بسيطة في مبدئها ، كانت هي أهمّ وسيلة من وسائل التوليد ، لأنّ الأساس يكون متوفّر سلفا ، وهو جملة الجذور الموجودة في العربية ،فمثلا الفعل طاد ينطادُ طودا والطود جمع أطواد قال الله تعالى :

(**فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ العَظِيمِ**)[2] ، وكلمة طود بمعنى الجبل ، ومعنى الطواف ،وانطاد من طود بمعنى صعد في الهواء ، والمطاوِد الأماكن ذات الخطر ، فلمّا صنعت هذه المركبة الهوائية في العصر الحديث ، وكانت وظيفتها هي الطيران والتحليق في الفضاء والأماكن الخطرة ، تمّ اشتقاق اسم لها من الفعل الموجود في العربية ، وهو طود المُنطاد والجمع منه مناطيد والقياس مطاوِد [3] ، وبذلك فقد اشتقت كلمة جديدة ببنية جديدة ودلالة جديدة من مادة قديمة.

. أمّا الثروة

فهي كلّ ما أُلِّف في اللّغة بما يضمّ من أصول وجذور تركّبت منها العربية ، وهي مبثوثة . في القرآن الكريم وما دار في فلكه من علم القراءات ، والتفاسير، والفقه ، والسنة ، وما حولها

. في بطون المعاجم خاصة وهي على أضرب؛ منها المعاجم العامّة و معاجم الموضوعات ،وكتب التّراث العلمي و كذا المؤلّفات بجميع أصنافها ، وتعد تلك أهمّ مصادر التنمية .[4]

---

[1] حسين نصّار : دراسات لغوية ، دار الرّائد ، عن مجلّة اللّسانيات واللغة العربية ، عدد ديسمبر ، 2006، ص161.

[2] سورة الشعراء ، الآية 63 .

[3] المنجد في اللغة والأعلام : دار الشرق لبنان ناشرون ، ص475.

[4] ممدوح خسارة : علم المصطلح ،ص32.

* من ذلك معاجم المعاني كالغريب المصنّف لأبي عبيد القاسم بن سلام .224.157هـ ، متخيّرالألفاظ لابن فارس .329. 395هـ ، المخصّص لابن سيّدة .398. 458هـ ، معاجم مرتبة ترتيبا صوتيا كالعين للخليل .100. 170هـ . ، . تهذيب اللّغة للأزهري . 282، 370هـ . ،المحكم لابن سيدة البطليوسي . 398 . 458هـ . ومن المعاجم المرتبة حسب الأبنية معجم ديوان الأدب للفارابي . ت350هـ . ، شمس العلوم لنشوان بن سعيد الحميري . 467 . 538. .هـ ، مقدمة الأدب للزّمخشري . 467 . 538هـ .، ومن المعاجم المرتبة ترتيبا ألفبائيا حسب أوائل الكلمات نحصي أساس البلاغة للزّمخشري . ، المصباح المنير للفيومي 770.هـ ، ومن المعاجم المرتبة ترتيبا ألفبائيا حسب أواخر الكلمات نحصي لسان العرب لابن منظور . 630.. 711هـ . ،الصحاح للجوهري ..

وتُعدّ ثروة حقيقية لأنّها وليدة البيئة التي نشأت فيها نشأة طبيعية ، تتحقق فيها مواصفات الأصالة والثّراء والبقاء ، ويحتاج القاموس الحديث إلى الاغتناء والتّزوّد منها ،

. كتب التّراث العلمي والفكري والأدبي* وهذه تفوق الحصر وتعلو عن الذكر والتفصيل ، كلّ هذه الثّروة اللّفظية باختلاف مصادرها تمثّل قاعدة حقيقية ، ومادة أولية قابلة للاشتقاق .

. ج نظرة في الجذر وأصل الاشتقاق

أوّل ما يثار في حديث الاشتقاق ، هو من أين نشتق ، أي أصل الاشتقاق " لأن اللّغات لا تشتقّ الواحدة منها من الأخرى مواضعة كانت في الأصل أو إلهاما ، وإنّما يشتق في اللّغة الواحدة بعضها من بعض ، لأن الاشتقاق نتاج وتوليد ، ومحال أن تنتج النّوق إلاّ حورانا ، وتلد المرأة إلاّ إنسانا ." [1] وعملية الاشتقاق تدفعنا إلى تصوّر اللغة كما رآها عبد القادر المغربي أشبه بأُمَّاتٍ وَلّد منها العرب أولادا وذراريَ هي المشتقّات ، أي كلمات اللغة ولمّا جاء اللغويون من أمثال أبي عبيدة والأصمعي أفرغوها في المعاجم والأسفار، "وببركة قوة الاشتقاق أوالتوالد نمت اللغة وتكاثرت حتّي بلغ عدد كلماتها على ما قاله حمزة الأصفهاني . 12350052 *. كلمة." [2] وقد خاض القدماء في مسألة أصل الاشتقاق كما وردت في مسائل الخلاف بين البصرة والكوفة ، حيث جعلت البصرة المصدر هو الأصل ، واعتبرت الكوفة الفعل هو الأصل ، لكنّ الجذر هو الأصل الذي قام عليه أمر اللغة في العربية ، و قد استند العرب القدامى إلى نظرية دلالية مفادها أنّ كلّ جذر ثنائيا كان أو ثلاثيا أو رباعيا ، يحمل معنى أصليا عاما ، وأحيانا أكثر من معنى أصلي عام واحد .

393هـ ، القاموس المحيط للفيروز آبادي . 729هـ . 817هـ . ، تاج العروس للزّبيدي 1145. 1205. هـ تضم هذه المعاجم ثروة كبيرة من

الجذور التي تحدّدت دلالاتها في كلام العرب ، ومنه فإنّ اتّخاذها مادة لمعان جديدة بالاشتقاق والتضمين مثلا يكون سهلا .

[1] السيوطي ، المزهر ،ج1 ، ص233.

*لامجال لحصر مؤلّفات التراث الأدبي والفكري ونقصد بها الأغاني ، الكامل ، البيان ، .....

*ورد ذكر العدد بالأرقام العربية في كتاب الاشتقاق والتعريب .

[2] عبد القادر بن مصطفى المغربي : الاشتقاق والتعريب ، مطبعة الهلال ، الفجالة ، مصر ، ت ط ، 1908 ، ص 12.

ويُقترح أن تسمّى هذه الظّاهرة بالاشتراك الجذري[1] ولارتباط الألفاظ بنظام الجذور دلالة كبيرة ، فهو يعني ثبوت الأصل الذي انطلق منه المعنى الأول الذي تتأسّس عليه الدلالة المركزية ، ولهذا الأمر في العربية أهمية بالغة ، فبالإضافة لما يقدّمه الجذر* من خدمة لمستعمل القاموس ، فإنّ له ميزة أخرى ، وهو أنّه يزوّد المعجميّ ب " بأداة فعّالة في تيسير إمداد القارئ بالمعلومات الدّلالية ، فكلّ مفردة في الأسرة اللّفظية تصاغ وفق وزن صرفيّ له معنى معلوم." [2] ولذلك" كان الاشتقاق توليد كلمة من كلمة مع تناسب بين المولّد والمولّد منه في اللّفظ والمعنى بحسب قوانين الصّرف ." [3]

اعتمد القدماء الجذور العربية في عملية الاشتقاق قال أبو حيّان " ولا يدخل الاشتقاق والتصريف المصطلح عليهما في علم النحو، الاسم الأعجمي ." [4] وهو النهج نفسه الذي سار عليه المجمعيون المعاصرون في بداية الأمر، إذ اعتمدوا الرّأي الذي يأخذ بالنصوص والمفردات العربية الفصيحة ، فتمّ الاعتماد على البنية العربية السليمة التي لم تتقيّد بمذهب أو رأي أو اتّجاه لكي تكون ممتدّة ، كما أنّها لم تتقيّد بعصر أو مصر، وقد دخل هذا المجال حتّى ما أوجده الكتاب والشّعراء المحدثون من ألفاظ ، بشرط أن يتمّ النّظر في كلّ كلمة يراد اعتمادها مصطلحا للغة الحديثة ، واستدركت المجامع الحديثة على ذلك الاشتقاق ممّا تمّ تعريبه وإدخاله في العربية ، لأنّ ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب .

---

[1] علي القاسمي ، المعجمية العربية بين النّظرية والتطبيق ، مكتبة ناشرون ، ط1 ، ت ط2003 ، ص78.

* رغم ثبوت نظرية الجذر في العربية هناك من يحكم على العربية بأن ليس لكلماتها أصول ؟ والأصل هو الجذر في اصطلاح الغرب(الأصل = الجذر) مع أنّ هذا المفهوم نفسه قد أخذ عن العرب وكان ذلك عند ترجمتهم لتراث العربية في القرن 16 م وبخاصة كتب النّحو منها ، وقد تمّ هذا قبل أن يطّلعوا على ما يشبه ذلك عند الهنود بزمن كبير .

ينظر في ذلك عبد الرّحمان الحاج صالح : مقال مدخل إلى علم اللّسان الحديث ، مجلة اللّسانيات ، جامعة الجزائر ، معهد العلوم اللّسانية و الصوتية ، ت ط 1972 ، مج 2 ، ج 1 ، ص17.

[2] علي القاسمي : علم المصطلح ، ص379.

[3] على القاسمي : علم المصطلح ، ص379.

[4] أبوحيّان الأندلسي : ارتشاف الضرب من لسان العرب ، ص22.

. د بين الاشتقاق والتصريف .

ذهب ابن جنّي إلى أنّ " اللّغة لم توضع كلّها في وقت واحد بل وقعت متلاحقة متتابعة ." [1] فاللغة ظاهرة متحركة متغيّرة على الدوام ، وأوضح المتغيّرات فيها هو الصوت و" النظام الصرفي في كلّ لغة لا يثبت على حال " [2] لأنّه يحمل في نفسه بذور التحوّل لدى المتكلّمين ،ويحمل من أسباب التغير بقدر ما يحمله النظام الصوتي ، وقد استثنينا في ذلك العربية من التغيّر الكثير الواضح لعوامل فيها ؛ منها ديمومة المنظومة النحوية .

لذلك عاود المحدثون النظر في الاشتقاق والتصريف ، فألّف حسين والي الاشتقاق ،وسبيل الاشتقاق نشر في مجلة المجمع ، الاشتقاق لأحمد أمين نشر في مجلة المجمع القاهرة 1956 ،حامد عبد القادر المختص في اللّغات السامية ألف " ثنائية الأصول" نشر في مجلة المجمع بالقاهرة ولا تستغني اللّغة عن الصرف والاشتقاق لأنّه يبين أصول الكلمات ، وكلّ ما يلحقها من تغيير، عنى المجمع بهذا الأمر وسعى إلى تعريفه تعريفا معاصرا ، يتوافق ومتطلبات العربية في العصر الحديث واعتبر الصرف علما " يبحث في صيغ الكلمات واشتقاقها ." [3] ووضع له تعريفا دقيقا ، إلاّ أنّه لم يغيّر من طبيعة ومن قيمة الدّراسات التي خصّصها لهذا الميدان ، ولا في مجال عمله لأنّه كان يبحث عن الحلول العاجلة لقضايا المصطلحات .[4]

أمّا قيمة الاشتقاق الفعلية فتنبع من احتكامه المطلق للقياس واعتماده عليه ، فالقياس نظرية والاشتقاق تطبيق عليها ، لذلك كانت صيغة الكلمة في عرف علماء العربية هي أهم بنية ينبغي أن تتحدّد دلالتها ، ليتحدّد معنى الكلام في إثرها ، والصيغة الصرفية هي التي تقيم الفروق الدلالية بين الكلمات ففي قولنا (حَمَلَ ، حِمْلٌ ، محمولٌ ، تحامل ، حُمِلَ ، حامِلٌ احتمال ، محتمل ، احتمالات ، حملة) نجد أنّ الصيغة هي التي تحدد معاني الفعلية والفاعلية والمفعولية

---

[1] ابن جني : الخصائص ، ص44

[2] فندريس : اللغة ، ص203.

[3] محمد رشاد الحمزاوي : أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة مناهج ترقية اللغة تنظيرا ومصطلحا ومعجما ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، ط1 ، ت ط 1988 ، ص295.

[4] الحمزاوي : أعمال مجمع اللغة العربية ، ص296.

وما إليها من معاني . وخَلُص مجمع اللغة العربية في نهاية حديثه عن الاشتقاق إلى اعتبار القياس أساسا ونولا يقاس عليه الكلام ، لغرض التنمية وتكثير ألفاظ اللّغة ، وهو الآلة النظرية التي تَسُدُّ حاجة المتلاغين ، والاشتقاق هو آلة التنفيذ الرئيسية في ذلك والاشتقاق المقصود هو الاشتقاق الصغير الذي يُحافظ على ترتيب الجذور رغم اختلاف الأبنية " وهذا النوع من الاشتقاق هو الأكثر نتاجا . وإلاّ فإنَّ في لغة العرب وسائل أخرى لنموها وتكاثر كلماتها هي من قبيل الاشتقاق الصغير المذكور إلاَّ أنَّها تجري على نمط آخر ، وتتحرّك في دائرة أضيق ، وأريد بها القلب والإبدال والنحت "[1]

إنّ **المتمسّك بالقياس كمن يكيل بالمكيال واعتماد المكيال حل للخصام والنزاع** لذلك يعتبر " **الرّأي القائل بأنّ اللغة لا تنمو إلاّ بالقياس رأيا مختارا.**"[2] ومثاليا ووقع خلاف الآراء كعادته بحيث حقق المجمع الاتّفاق على تعريف الاشتقاق ، ولكن يدور الخلاف في تحديد أنواعه فيحصره حسين والي في الاشتقاق الصغير والكبير ، وتعدّى به أحمد أمين إلى أصناف أربعة ويضيف له الاشتقاق الصغير، والاشتقاق الكبّار المعادلين للإبدال والنّحت [3] نجد اتفاق المجمعيين على جعل الاشتقاق وسيلة عملية لتنمية اللغة العربية ، وهذه الأسس النظرية ستُملى على العاملين في حقل التنمية ، وسيعتمدها المجمعيون في مستقبل أعمالهم ، ويحب أن تدخل التطبيقات المنتجة معجم اللغة العربية المعاصرة .

بين التصريف والاشتقاق نسب قريب واتّصال شديد.[4] فالتّصريف هو أن تأتي بالكلمة فتقلّبها على وجوه كثيرة وذلك ببنائها على منوال غيرها مثل" ضرب " تُبنى على بناء جَعْفر فتقول" ضَرْبَب " ، تُبنى على دِرْهَمْ فتقول "ضِرْبَبْ" ، تُبنى على ظَرُفَ فتقول" ضَرُبَ " وهو تصريف للكلمة على وجوه كثيرة [5] لقد حدث توليد لكلمات على صيغ وأوزان كانت موجودة في متن اللغة ،

[1] عبد القادر المغربي : الاشتقاق والتعريب ، ص14.

[2] رشاد الحمزاوي ، أعمال مجمع اللغة العربية ،ص 300.

[3] رشاد الحمزاوي : أعمال مجمع اللغة العربية ،ص 298 ،

[4] ابن جنّي : المنصف ، ج1 ص4.

[5] ابن جي : المنصف ، ج1 ، ص4.

ومادة كانت موجودة في أصل اللغة ، ثمّ وُلدت هذه الكلمات" ضِرْبِبْ . ضَرْبَبْ . ضَرُبِ " فالملاحظ أنّ " التصريف واسطة بين اللغة والنحو والاشتقاق أبعد في اللغة من التّصريف ، كما أنّ التصريف أقرب إلى النّحو من الاشتقاق . " [1]

ولكلّ كلمة من كلمات اللّغة أصل تعود أليه يسمّى أصل الاشتقاق وهو الجذر، و بناء تقوم عليه هو الصيغة الصرفية أو الوزن و " توليد الكلمة من أصلها وأخذها من مادّتها يسمّى اشتقاقا ،وتقليبها في أوزان مختلفة يسمّى تصريفا ، وبين الاشتقاق والتصريف علاقة وثيقة ،ولا يستطيع الدّارس أن يفهم الاشتقاق بعيدا عن التصريف ولا التصريف بعيدا عن الاشتقاق . "[2]

وبوصف العربية لغة اشتقاقية فهي أكثر مرونة من اللّغات الإلصاقية أو الدّمجية ، وأكثر قابلية للنّمو بفضل الطّاقة التّوليدية التّي تتوفّر عليها ، والتي تستطيع بفضلها توليد مئات الألفاظ والمعاني الجديدة من المادة الأصلية الواحدة . [3] وما ألفاظ **الجمهورية** ، **المسؤولية** ، **الدستور** ، **الإدارة** ، **الاقتصاد** ، **الجغرافيا** ، **الانتخاب** ، **السياسة** ، **التقنية** ، **الصحافة** ، **المستشفى المستوصف** ، **الصيدلية** ، " **التصعيد، النكسة** ، **الاستيراد التصدير** ، **الإذاعة** ، **الإشاعة** ، **التنمية** ، **التسوية** ، **التجهيز** ، **الاشتراكية** ،**الديمقراطية** ، [4] إلاّ دليلا على أهميّة الاشتقاق في العربية . ولعلّ الاشتقاق المقصود هو ذلك الاشتقاق الحركي الفعّال الذي لا يُحصر في الصيغ المسموعة عن العرب فحسب ، بل يتعدّاه إلى تحقيق الاكتفاء عن طريق النّظر في تطوّر تلك الأبنية ودلالاتها الحديثة .

---

[1] ابن جني : المنصف ، ج1 ، ص4.

[2] فرحات عياش : التنمية ، ص134.

[3] علي القاسمي : علم المصطلح أسسه النّظرية ، ص380.

[4] فرحات عياش : الاشتقاق ودوره في نمو اللغة ، ص162.

. و المحدثون وتجديد الصيغ و تكثير الأوزان .

يجد المحدثون الصرف وسيلة من وسائل تنمية اللّغة ، واللغة المثالية حلم من الأحلام لأنّ النظام الصرفي في أيّ لغة يميل إلى " إقصاء العناصر الصرفية الشاذة ."[1] كما أنّ النظام الصرفي يعمل" بالصيغ الجديدة التي يستحدثها " [2] لكنّ عددا كبيرا من الصيغ القديمة تستمر في الاستعمال ويتعلّق الأمر كلّه بذهن المتكلم ، عندها تتناحر الصيغ للسيطرة والمقاومة . " والقياس يتوقف إلى حدٍ على قانون الاقتصاد في المجهود الذي يتجنب إثقال الذاكرة بمتاع غير مفيد . "[3]

هذا أمر التجديد في بعض اللغات ، لكن إذا كان مفهوم التّنمية هو توليد الكلمات وتكثيرها دون غاية محدّدة ، فإنّ العربية في غنىً عن هذا ، لأنّها كثيرة في مضانّها ، وفيرة في مادتها ،غنية بمعاجمها ومصنّفاتها ، أمّا التّنمية المقصودة فهي تلك التي تفي بأغراض المتلاغين ،وتؤمّن مطالبهم اللّغوية ، ولا يكون ذلك مباحا دون قيد أو شرط ، بل لابدّ له من ضوابط كي ،لا تُفتح الأبواب لقوالب جديدة ، بعيدة عن روح اللّغة وصيغها فتفيض عن حاجة المستعملين فالإكثار من الصيغ الصّرفية دون وضع منهجية يؤدّي إلى الفوضى في آداء تلك المصطلحات فتختلط دلالاتها ، وهو ما يتيح الطّريق لتعقيد أكثر أساسه التّضخم والوفرة وعدم التّحكم ،ولذلك فقد منع المجمع منعا باتا أن يكون من مسؤولية أيّ لجنة من اللّجان المعتمدة تحوير جوهر اللغة ، وذلك بتغيير أو إحداث الجديد في ألفاظها وأوضاعها العامة .[4] بمعنى أن يتم الاتفاق المدروس حول أيّ إضافة ، فلا يكون الأمر ارتجالا ولا اعتباطا ولا يُمكن لأيّ أحدٍ المساس بجوهر اللغة ، ولا بدّ من اتّفاق الجماعة المؤهّلة لذلك ، فكانت العقبة هي هل يجوز للمحدثين إجازة ما لم يُجزه القدماء لاستيفاء مطالب العصر؟

---

[1] فندريس : اللغة ، ص205.

[2] فندريس : اللغة ، ص204.

[3] فندريس : اللغة ، ص206

[4] رشاد الحمزاوي : أعمال محمع اللغة العربية بالقاهرة ، ص134.

وارتأى المعاصرون جواز الاشتقاق من أسماء الأعيان الأعجمية وذلك بوضع " صيغ فعلية جديدة انطلاقا من أسماء الأعيان العربية والأعجمية منها ." [1] بشرط مراعاة الضرورة أي أن يُحصر الاشتقاق على الميدان العلمي .

فالأوزان في العربية فئتان ؛ فئة تقليدية رتيبة وهي أوزان جرت في الاستعمال بصفة مطّردة لا يمكن تغييرها بأيّ وجه من الوجوه ، وفئة تجديدية منتقاة والزيادة في المباني تقتضي الزيادة في المعاني ، لكن أيّهما أولى تكثير الوزن كثرة تفوق الحاجة فتصير القوالب إلى فوضى يستحيل معها التحكم في المعاني ، أم الخروج عن الاستعمال العشوائي وإظهار تحديد دقيق لدلالات الأبنية فلا يُستعمل هذا البناء إلاّ لهذا المعنى ، يتساءل صبحي الصالح عن جدوى وفائدة القول بأنّ في العربية صيغ جموع كثيرة فتُجمع كلمة رمضان على رمضانات ، أرمضة ، أرامضة ،أراميض ، أرمض، رمضانون ، أوأن يُجمع سبت على أسبُت ، سبوت ، أسابيت ، أسابت فنحن لا نجني من وراء هذه الكلمات كلّها إلاّ معنى واحدا معروفا .

وهل تتجدّد الصيغ والأبنية تجديدا فعليا ، أم أنّ الأمر يتعلّق باستنساخ متكرر دون تجديد ؟ فتنشأ " بين الصيغ خلافات في القيمة ؛ وتتغلّب بعض الصيغ على بعضها الآخر ويعمل قانون القياس عمله ، وتحلّ الفوضى محل النظام الجميل ، فتسيطر الصيغ ذات الغلبة وتصير مراكز إشعاع قياسي وتجذب إليها غيرها من كلّ جانب لأسباب متنوعة ، بعد ذلك توجد خطط قياسية متضاربة متقاطعة ." [2] وعندئذٍ لا يستطيع عقل المستعمل القاصر أن يوفق بينها وذلك هو التناحر الموجود في اللغات المضطربة .

ومنه فانّ بعض الانتقادات التي وُجِّهت لصرف العربية ليست إلاّ مغالطات تحمل تناقضا واضحا منها :

---

[1] رشاد الحمزاوي : أعمال مجمع اللغة العربية ، ص308 ، 309 .

[2] فندريس : اللغة ، ص213.

. نُعِت النظام الصرفي بالجمود بسبب اعتماده على المعيارية ، مع نقص الاستقراء وعدم التكامل ، ما سبّب غياب المقاييس المقبولة لمدّة طويلة ، ولكنّ هذا النقد النظري ، يُكذّبه النقد التطبيقي فقد تمّت الإشارة إلى اضطراب صرف العربية و" الضعف التناسبي والتطابقي بين عدد المفاهيم العلمية وعدد المصطلحات التي تُعبّر عنها "[1] فكيف يُوصف النظام بالمعيارية والجمود من جهة ، ثُم تُنعت بعض الصيغ بالاضطراب والفوضى من جهة أخرى ؟ " مثل جموع التكسير التي لا يضبطها ميزان أو صيغة محدّدة كما في اللغات الأوروبية مثلا ." [2] لذلك نتساءل أيّ الأمرين أحسن أوزان كثيرة متنوعة مضبوطة على قياس العربية ، تُتيح للمتكلّم كلّ الاختيارات السليمة التي تقبلها اللغة ، وهي مطّردة داخل نظام اللغة العربية ، أم التقيّد بوزن ثابت فقط .؟

. " اختلاف الدلالات باختلاف أبنية الجمع " [3] فكلمة قوّة إذا جُمِعت على قُوات دلّت على القوات العسكرية ، إذا جُمِعت على قِوى دلّت على سياسية ، كلمة رسالة إذا جُمِعت على رسائل فهي دالة على البريد ، إذا جُمعت على رسالات فهي للأديان ، كلمة نادي جمعها على أندية فهي رياضية وعلى نوادي فهي الملاهي والمطاعم ، لكنّ ما يُلاحظ في هذا السياق أنّ يتحكّم في الدلالة هو المفهوم اجتماعي والعبرة كلّ العبرة بالشيوع والذيوع ، وهذا التّمثيل يميل بالعربية إلى التميّز لا أكثر . وقد كانت ملاحظات عبد الواحد وافي في هذا السياق جديرة بالذكر منها :

. أنّ نظام جمع التكسير في العربية مُوسّع ، غنيّ ، متفرّد لا تُشاركها فيه أخواتها الساميات .

. الأصل الواحد في العربية تتوارد عليه مئات المعاني ، بحركات بسيطة يتحكّم فيها الميزان الصرفي، وبذلك فإنّ البناء الواحد تشترك فيه الكثير من المعاني .

---

[1] صافية زفنكي : المناهج المصطلحية ومشكلاتها التطبيقية ونهج معالجتها ،الهيئة العامّة السورية للكتاب ، وزارة الثقافة ت ط 2010 ، ص 76

[2] صافية زفنكي : نفسه ، ص74 .

[3] نفسه ، ص75.

. يطّرد ورود بعض الأوزان للدلالة على معانٍ خاصّة ، ويشترك في البناء الواحد كلمات متنوعة .[1] وهذا وحده ثروة كافية .

[1] عبد الواحد وافي : فقه اللغة ، ص165 ، 166 .

خلاصة :

بغضِّ النظر عن إشكالية أصل العربية ، وهل هي وضع واصطلاح أم هي وحي وإلهام ،فالذي بدا لنا من خلال كلّ ما تقدّم ذكره أنّ العربية وُضعت وضعا دقيقا ، يُراعي نوعية الحروف ، ونظام الجذور ، وتأليف الكلمات ، وتمتلك العربية ميزانا فائق الدقّة يزن أبنيتها المتنوّعة ، ولها مجموعة من الظواهر التي تُسعف نظامها وتعينه على التطوّر كما في ظواهر الإدغام والزيادة والإبدال، وكذا الاشتقاق الذي يعتمد الزيادة على الحروف الأصول دون أن يبتعد عن القياس ، وهو ما جعل المتمسّك بالقياس ، كمن يكيل بالمكيال واعتماد المكيال حل للخصام والنزاع ، لذلك يعتبر الرّأي القائل بأنّ اللغة لا تنمو إلاّ بالقياس رأيا مختارا ومثاليا ، مهما في حياة اللغة .

الفصل الثالث:

المقيس عليه هو النول الذي يقاس على شكله كل جديد .

المبحث الأول: إرهاصات ما قبل المجامع اللغوية

ندرج الحديث عن بعض الشّخصيات لأنّها كانت بمثابة المحركات الحقيقية لحركات التحرّر الفكري ، والبناء الثقافي في النهضة الفكرية العربية الحديثة ، وليست العربية الحديثة والمعاصرة إلاّ ثمرة من ثمارها ، كان ذلك بعد انقضاء الخلافة العثمانية ، وما خلّفته من أوضاع سياسية وثقافية متردية ، وما لها من ملابسات عميقة مع الحياة الاجتماعية ، فقد دفعت تلك الظروف مجتمعة ، المجتمع العربي إلى النهوض من سباته ، ورأى ضرورة التخلّص من سطوة الحكم العثماني ، ولا بدّ أن يكون التحرّر الفكري لغويا بالدرجة الأولى للتخلّص من قبضة اللغة التركية ، وقد وقف وراء هذه الحركات التحرّرية رجال أعلام هم من صنعوا هذه العربية الحديثة ، ولولاهم لماتت العربية في سبيل ما تقدّمها ، نميز من هؤلاء عدة أصناف من الأعلام منهم علماء فترة ما قبل الإرهاص المجمعي من أمثال.

. جمال الدين الأفغاني 1838 1897

عُدّ جمال الدين الأفغاني أول معلم من معالم النهضة العربية الحديثة ، فهو رائد النهضة العربية الحديثة بلا منازع ؛ بعد فترة حافلة من حياته قضاها في بلاد الأفغان ، زار إيران و منها إلى مصر سنة 1871 ، أين وجد بغيته على عهد الخديوي إسماعيل ، الذي كان محبا للعلم والعلماء ، فأكرم وفادته وأحاطه بالعناية ، وبدأ الأفغاني الموهوب ينشر فكره وفلسفته ، ويبثُّ علمه في كلّ مكان يحط فيه ، ولمّا كانت نهضته علمية أدبية بالأساس ،عمل على تطوير فن الخطابة والكتابة الأدبية ، وكان من تلاميذه محمود سامي البارودي رائد المدرسة الإحيائية في الشعر الحديث ، والمنفلوطي رائد النثر، هو رجل يعدّ جيلا من العلماء ، لما له من أياد بيضاء على النهضة الفكرية ، في العالم العربي والإسلامي الحديث .

. محمد عبده : 1849 ت 1905 مفكر إسلامي ، ومجدد في الفقه ، من دعاة النهضة والإصلاح في العالم الإسلامي ، دعا لإحياء الأمة ، ومحاربة التخلّف والجمود ، عمل مدرسا بدار العلوم ، شارك في ثورة أحمد عرابي ضد الإنجليز ، بعد فشل الثورة ،أسس صحيفة العروة الوثقى ، تأثّر به رشيد رضا عبد الحميد بن باديس ، من أهم آثاره رسالة التوحيد ، شرح دلائل الإعجاز ، شرح نهج البلاغة .

. عبد الرحمان الكواكبي: 1855 ت 1902 رائد النهضة العربية الحديثة، حرّك الشّعوب ضد الاستعمار الحديث ، حارب الاستبداد والفساد السياسي ، اشتهر بالكتابة والتّأليف ، طوّر فن المقال ، ودعا لنشر العلم وتنوير الشّعوب ، وإحياء التراث .

. إبراهيم ابن ناصيف اليازجي : 1847ت 1906 هو إمام النّهضة اللّغوية في العصر الحديث ، تولّى تحرير جريدة النجاح سنة 1872 ، انتدبه اليسوعيون لإصلاح ترجمة الأسفار المقدسة ، فأفاد من تعلّم العبرية والسريانية ،[1]صانع أمّهات الحروف العربية للمطابع ، من آثاره نجعة الرّائد وشربة الوارد في المترادف والمتوارد ، وقد جاء في مجلّدين كبيرين، المنجد في اللغة والأعلام .

. بطرس البستاني 1819 ت 1883

من أبرز الأدباء واللغويين العرب في العصر الحديث ، أتقن عديد اللغات منها السريانية العبرية ، اللاتينية ، اليونانية ، الإيطالية ترجم التوراة عن العبرية إلى العربية ، من أشهر مؤلفاته دائرة المعارف ، قاموس محيط المحيط سنة 1869 ، ومختصره قطر المحيط ، كما أصدر جريدتي نفير سوريا 1860، ومجلة الجنان .

[1] محمد نعمان خان : تصحيح لسان العرب من إفادات إبراهيم اليازجي ، وأحمد تيمور باشا ، جمع وترتيب محمد نعمان خان ط1 ، ت ط 2004 ، ص .

. جرمانوس فرحات 1670 ت1732 :

رحلت أسرته من لبنان إلى حلب بسوريا ، من أوائل المؤسسين للنهضة العربية الحديثة ضليعا في المنطق ، والفلسفة ، والعلوم اللاهوتية ، واللغات السريانية واللاتينية والإيطالية ،خلال رحلته إلى أوربا اطّلع على آثار الحضارة العربية هناك وعاد إلى سوريا ، فأنشأ مكتبة تشتمل على مخطوطات نفيسة ، خلّف ما يربو عن مائة مؤلّف أشهرها كتاب بحث المطالب في الصرف والنحو ، الذي ظلّ أشهر كتاب في تعليم النحو العربي .

. جورجي زيدان : 1861 1914 أديب مؤرخ و روائي ، وصحفي لبناني ، أجاد اللغة العربية ، والعبرية ، والسريانية ، والفرنسية ، والإنجليزية ، سافر إلى مصر واستقر بها ،من مؤلفاته تاريخ التمدن الإسلامي ، تاريخ آداب اللغة العربية ، تراجم مشاهير الشرق ،وعرف بالروايات حول التاريخ الإسلامي ما جعله محط أنظار النقاد ، يُشار إلى كونه أحد أعضاء الماسونية في العالم العربي .

. عبد الله النّديم 1842: ت 1896 كاتب وشاعر وصحفي مصري ، عاش حياة المنفى والهروب والملاحقات ، بسبب أعماله السياسية هو خطيب الثورة العُرابية ، نظم ما يقارب سبعة آلاف بيت من الشعر ، له مؤلفات منها مؤلفات اللآلئ والدرر في فواتح السور ، البديع في مدح الشّفيع ، في المترادفات ، أصدر صحيفة التنكيت والتبكيت ، والأستاذ ، حرق كل مؤلفاته بسبب ما وجد فيها من هجاء وتجريح في الشخصيات .

. رافع رفاعة الطّهطاوي : 1801 ت 1873 تلقّى العلوم الأزهرية ، ثم اشتغل بالترجمة حين ترأس بعثة من الطلاب إلى فرنسا سنة 1926 ، فألّف كتاب تخليص الإبريز في تلخيص باريس وله عشرات المؤلفات المترجمة إلى العربية ، أسّس مدرسة الترجمة التي تحوّلت إلى مدرسة الألسن ، تجاوب مع إشكالية الأصالة والمعاصرة ، وعرّب كلمات كثيرة محتذيا في ذلك حذو علماء العربية في أخذهم عن السريانية واليونانية ، من ذلك كلمات أولمبيقة ، اسبانيا ، بروميترا ، ميكروسكوب .

. **أحمد فارس الشدياق** : 1804ت 1887 ظهر للتاريخ الحديث صحفيا ناشطا ، وباحثا مهتما بقضايا العربية حبا وإعجابا ، تميّز بكتاباته التي اهتمت بإظهار محاسن العربية وتفوّقها على غيرها من اللغات ، أراد إظهار أسرارها ونوادرها التي تفرّدت بها ، فكان بحق أول واضع ومجدد للقاموس العربي الحديث ، من مؤلّفاته منتهى العجب في خصائص لغة العرب ، بغية الطالب ومنية الراغب في الصرف والنحو ، وحروف المعاني ، الجاسوس على القاموس ، سر اللّيال في القلب والإبدال .[1]

كان هؤلاء الأعلام جميعهم بمثابة المعالم الكبرى التي صنعت وجه النهضة العربية الحديثة ، وما يميّز هذه المرحلة هو أنّ العلماء جمعوا فيها بين القديم والحديث ، بين تراث قديم دار في فلك الحضارة العربية الإسلامية وأحاط بعلومها فهو يفرض نفسه ، وعلم حديث بدأت تنشط حركته وهو في الأغلب علم وافد من الجامعات الأوروبية .

المبحث الثاني : المجامع والمجمعيون أساس فعّال في بناء العربية الحديثة

ينظر للمجامع اللغوية من خلال المراحل اللغوية والفكرية ، التي تمر بها الشعوب خلال نهضاتها ، وما يحصل من تماسّ بين لغاتها ولغات الأمم الأخرى ، بكل ما وصلت إليه من تطور فكري في العلوم والآداب والفنون والمعارف .

بعد مضيّ الزّمن الأوّل من تاريخ العربية ، وبعد ما عرفته العربية من تطور في تاريخها القديم يُمكن اعتبار الأسواق الأدبية باكورة مجامع الأدب واللغة ، بسبب ما كان يُعرض فيها من قضايا اللغة والشعر والأدب ، ولم تكن العربية قضية الشعراء وحدهم ، بل إنّ **اللغة صناعة اجتماعية** وقد شارك النقّاد والشعراء والعامّة في إدارة مواضيع تلك الأسواق والمناقشات الأدبية

[1] أحمد مختار عمر: أنا واللغة والمجمع ، ص63.

، يلي ذلك ما بذله النحاة القدامى من جهد في سبيل حفظ العربية وتقنينها وصيانتها ، خلال فترة تفاعل العربية مع القرآن الكريم .

ومع طلائع النّهضة العربية في العصر الحديث ، وهي نهضة لغوية و فكرية في المقام الأول، كانت هذه النّهضة منبّها على أهميّة اللغة العربية ، لأنّها أداة التّبليغ للشعوب العربية ، فإمّا أن تصمد صمودا قويا وتؤدّي واجبها الحضاري ، أو أن تكون أداة معطّلة ولا بدّ أن تزول ، فظهرت المجامع اللغوية ووقفت موقف الوصيّ الشّرعي على العربية الفصحى واجتهد علماؤها اجتهادا متواصلا ، ثمّ وقفوا وقفة رجل واحد ، وكأنّ الكرامة التي صاحبت نشأة العربية مرحلة تدوين اللغة وبناء هيكل النحو القديم ، تتكرّر في العصر الحديث وربّما كانت قضية توسيع القياس أهمّ القضايا وأظهرها ، لما لها من أبعاد جليّة في حركية اللّغة سلبا وإيجابا ، وكذا قضايا تطوير القاموس ، وبعث العربية القديمة وإنعاش الحديثة والمعاصرة ، وبذلك قال تاريخ العربية الحديث قولته عبر تلك المجامع وأهمّها .

. دار العلوم 1872م :

أنشأها علي مبارك باشا وزير المعارف المصرية ، لغرض خدمة اللغة والدين في المدارس الابتدائية والثانوية ، تهتم بتدريس البيداجوجيا ، والأدب واللغة والكتابة والخطابة والرياضيات والطبيعيات والتاريخ والجغرافيا والرسم ، وقد تميّز علماء دارالعلوم بالجمع بين التراث ، والعلوم الوافدة من الجامعات الأوروبية .

. مجمع دمشق 1919:

أنشئ المجمع العلمي بدمشق على عهد الملك فيصل كان ذلك عام 1919م ، و كانت بدايات المجمع نشيطة نشاطا منقطع النظير، فهو الذي أمدّ الصحافة بفيض من الألفاظ العربية التي تستخدمها ، وهي الأخرى حديثة الولادة ، فقيرة القاموس من ناحية تخصّصها وقد أمدّ المجمعُ

الحكومة والمدارس والمعاهد ، بفيض من الألفاظ الفصيحة الجديدة التي تتفق مع الحياة المعاصرة آنذاك . [1]

. مجمع القاهرة 1932م.

كان مجمع القاهرة عملا متميّزا ، فمع بواكير النهضة تطالعنا مدرسة الألسن سنة 1836، و ديوان المدارس ، ودار العلوم التي سبقت الإشارة إليها ، وقد لعبت هذه الهيئات دورا هاما في وضع بعض المصطلحات ، ومارس بعض العلماء الإصلاح على برامج الأزهر التعليمية ، محاولين تطويرها .

أمّا **الصّحافة فقد لعبت دور المنبّه الموقظ** ، فهي التي نقّبت ونفضت غبار القرون الخاليات عن كتب التراث ، ونشرتها في النّاس بأن حوّلت إليها النظر ، وتطالعنا مطبعة بولاق المعروفة بالمطبعة الأهلية سنة 1821، وبعدها مجموعة مطابع القبطية ، وادي النيل المعارف ، الأهرام ، مطبعة الكتب العربية . وكلّ نجاح كان يتحقق على ساح العلم والمعرفة سيكشف حتما عن مشكلات جديدة ، حيث شُرع في التّساؤل عن دور هذا التّراث وما محلّه من العصر الذي خرج فيه بعد نومه قرونا كاملة ؟ هنا ظهرت جماعة أخرى منهم أحمد فارس الشدياق حيث نبّه في الجاسوس على القاموس على ضرورة تجديد المعجمية العربية [2] ، وعُدّ بذلك واضع للمنهجية الجديدة للمعجم العربي الحديث ، وظهرت جرائد نزهة الأفكار 1869، الأهرام سنة1875، المقتطف سنة 1885، الهلال سنة 1892 ، المنار سنة 1869 ، التنكيت والتبكيت سنة 1881.

كانت تلك المحاولة بمثابة الفاتحة التي دعت إلى ضرورة التّحديث ، لأنّ القواميس القديمة كقاموس المحيط للفيروز آبادي ، والجيم ، والخيل ، والإبل ، ولسان العرب، وغيرها لم تعد تخدم العربية في عصر الحداثة ، إلا بكونها ثروة يجب أن ينظر في أمرها ، ولا بدّ للعربية أن

---

[1] سعيد الأفغاني : في أصول النحو، ص118 ، 119 .

[2] رشاد الحمزاوي : أعمال مجمع اللغة العربية ، ص27 .

تُبسّط ، وتقدّم للقارئ ليستخدمها في مجال الصّحافة والكتابة والإبداع ، وهذا ما دعا إليه إبراهيم اليازجي 1847. 1906 في كتابه لغة الجرائد ، وما دعا إلية أحمد فارس الشّدياق من خلال جريدة الجوائب 1860 بتركيا ، تلتها دعوات كثيرة وهيئات مصغّرة عملت على تقديم كلمات بالفرنسية ، لكن هذه الكلمات لقيت النّقد في الجرائد والمجلات تلتها جمعية ترقية اللّغة العربية ، التي كان أعضاؤها أدباء في الأصل منهم إبراهيم اليازجي جورجي زيدان ، رشيد رضا ، ومجمع اللغة العربية الملكي الذي ترأسه سليم البشري ، مع جمع من العلماء حافظ إبراهيم ، أحمد العوامري ، طه حسين ، منصور فهمي، وكان يهدف أساسا لوضع معجم عصري للغة العربية ، ولكنّه فشل بسبب غياب الغطاء القانوني ، هذه كلّها محاولات في طريق العربية الحديثة ،ومع ذلك فقد كانت الأماني تُراود علماء الأمّة وهم يستشرفون ويوحون بفكرة المجمع ، قال عبد القادر المغربي في كتابه الاشتقاق والتعريب لقد " ذقنا ذرعا بتلك الكلمات الأعجمية التي تنهال على لغتنا انهِيالاً وليس لنا من العناية وإنشاء المجامع ما يقوم بهذا الشرط " [1] لذلك شُرع في نشر كتب التّراث إحياء ، وتنقيبا وبعثا جديدا ،" **فالمواءمة والمواكبة والسير والتقدم باللغة فرض نفسه** على اللّغة ، والنتيجة أن دعت الصّحافة إلى إنشاء مجمع لغوي ينظر في شؤون اللّغة "[2] بمنطق العصر الحديث وجدليته وتغيّراته الاجتماعية والحضارية والسياسية الطارئة ، مع نهايات القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، وتتّخذ القضية بعد ذلك أبعادا سياسية واقتصادية وثقافية وحضارية دفعت كلّها إلى السّير قُدما في مجال نهضة اللّغة العربية ، وكانت المؤشّرات كثيرة كلّها تستدعي إحداث المجمع منها ؛ الدور الرّيادي الذي لعبته حركة الإصلاح الدّيني والوطني في مصر وسوريا قبلها ، فقد أسهمت في إيقاظ المبادئ الوطنية ، فسعى العرب للتّخلّص من سطوة الحكم العثماني ، بما في ذلك اللّغة التّركية لغة الدّوائر الرسمية في مصر، ولابدّ من إظهار الهوية الثّقافية لمصر، كما أنّ الاحتلال الانكليزي لمصر يهدد التّراث الثّقافي برمته وعلى رأسها الدين واللّغة العربية ، وضياع اللّغة هو ضياع

[1] عبد القادر المغربي : الاشتقاق والتعريب ، ص67.

[2] محمد رشاد الحمزاوي : أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ص30.

الذات عند عبد اللّه النّديم ، والاتّحاد في اللّغة هو روح الحياة عند جمال الدّين الأفغاني ، وبدأ التذكير بالوحدة الإسلامية والقومية العربية مع رشيد رضا ، كما ألح السلفيون على مشروع اللغة العربية ، ورأوه وظيفة اجتماعية وتقنية حضارية ومطلبا دينيا في الوقت نفسه ، وكان السّاسة يرون في اللّغة العربية السبيل الأنجع لتوحيد عواطف الشّعوب ، وبدا الملك فؤاد مقتفيا آثار الملك فيصل في العراق ،الذي حقّق نجاحا شعبيا وائتلافا قوميا شعاره العربية ، وصار خادم العروبة ،ومخلّص الشّعوب العربية من سيطرة الحكم العثماني واللغة التركية .

ولابدّ أن تنشأ **مؤسسة لغوية في مصر** تضاهي تلك التي في العراق ، و كان ذلك هو مجمع فؤاد الأوّل للغة العربية سنة 1932، أنشأته الحكومة المصرية على غرار مؤسسات كثيرة ذات طابع اقتصادي وثقافي تجاري وصناعي ، كان هدفها جميعا نهضة مصر ، كان المجلس حسنة من حسنات الصراع السياسي في عصره ، فمن أبرز مميّزاته هو إعطاؤه البعد العربي ، فهو مجمع العروبة المفتوح على العالم ، وهو يدعو إلى التوفيق بين الشرق العربي والغرب الأوروبي ، لذلك نادى محمود تيمور أن ليس للعلم وطن وأنّ المثل العليا تسمو على كلّ شيء .[1]

. أ علماء مجمعيون

برز للتّاريخ الحديث جمع من العلماء ، أعطوا للعربية دفعة قويّة ، كُتِب لها بها الامتداد من جديد ، فبين صراع السياسة وتمسك الرّأي العام بالعناصر العربية ، والمصالح التي تراها النّخبة في المستشرقين ، ظلت الأمور تتجاذب بعضها بعضا ، تشتد وتلين ، ولعبت الصحافة دورا في كشف الحقائق ، وتتبع أعمال المجمع ، فتتابعت أحداث بعينها من ذلك مجلة الغزالة بمقال جورج الزّنانيري الذي أبدى فيه رفضه للمستشرقين ، رغم كفاءاتهم العلمية ، وجريدة التّايمز البريطانية التي هاجمت المجمع وسفّهت أهدافه ، فؤاد صروف ردّ على الجريدة ليبدي مهارات العربية وقدراتها في نشر العلوم العصرية ، وتمت الإشارة لما بذلته كلية علوم الطّب

[1] رشاد الحمزاوي : أعمال مجمع اللغة العربية ، ص53.

بدمشق ، وتداخلت الأمور مع قضايا التبشير المسيحي ، فاتُّهم البريطاني **مرغوليوت** ، والفرنسي **برونو** بالعداء للإسلام والعربية ، لكن محمد كرد علي تصدّى للأمر، بإظهار دور المستشرقين في الإفادة من خبراتهم ، وأعطى العرب حق الدّفاع عن آرائهم ، ودعاهم إلى عدم إلزام المستشرقين بأفكار يؤمن بها العرب والمسلمون ، [1] من هنا كانت المؤهلات العلمية غالبا هي الدافع الأول لاختيار المجمعيين ، و من أوائل هؤلاء نذكر من تيسّر ذكرهم من أعضاء فاعلين في المجامع اللّغوية .

. أحمد تيمور باشا : 1871 ت1930 عُرفت عائلته بالعلم والوجاهة ، هو عالم ومؤرخ ، وباحث في تاريخ مصر ، من مؤلفاته تصحيح لسان العرب ، تصحيح القاموس المحيط السماع والقياس ، أسرار العربية .

. حايم ناحوم : ت1960 عارف بالفقه الإسلامي ، واللّغات الشرقية ، والبلاغة والخطابة كان حجّة يعود إليه علماء العروبة كما يقول العقاد .

. فارس نمر : ت1952 يمتلك مكانة سياسية مرموقة ، وبها وبالصحافة دخل المجمع حيث كان يدير صحيفة المقطّم ، ومن أعماله العلمية ترجمة مبادئ الرّصد الجوّي إلى العربية ، وإسهامه بوضع عديد الاصطلاحات ، تميّز بميزة الدّقة والتّمحيص في تبنّي المصطلحات .

إبراهيم أنيس : 1905 ت 1978 من أهم رواد الدراسات اللغوية الحديثة ، كان له أثر بارز في تأسيس علم اللغة العربي الحديث ، تركّز عطاؤه في بحث العربية من حيث بنياتها الصوتية والدلالية ولهجاتها ومراحلها التاريخية ، كما كان شخصية مجمعية بارزة ، قدّم الكثير من الكتب والأعمال ، ولأعماله صدى وتأثيرا عميقا .

. منصور فهمي : ت 1959 من أسرة جزائرية استقرت بمصر في القرن التّاسع عشر دخل المجمع بثقافة عربية فرنسية ، متحصل على الدكتوراه في علم الاجتماع من فرنسا لكنّ

[1] ا رشاد الحمزاوي : أعمال مجمع اللغة العربية ، ص69 ، 71.

مصطفى الشّهابي حكم عليه بالتطرف فانزوى للعمل الصحفي ، مال إلى الحفاظ على عروبة اللّغة ، ومحاربة الكلمات الأعجمية ظلّ أمين سر المجمع من1934 إلى 1959سنة وفاته .

. علي الجارم : ت1949 شاعرالأسرة المالكة ، تعلّم بالأزهر ودار العلوم ، درس بانكلترا التربية وعلم النفس ، مارس القضايا التعليمية في النحو ، والبلاغة ، وألّف فيهما للمدارس ،عارض مشروع كتابة العربية بالحروف اللاتينية ، دعا إلى ترجمة معجم أكسفورد لحل مشكلة وضع معجم عربي تاريخي ، يبدو عليه التعلّق الشديد بالحلول العلمية .

. أحمد العوامري : ت1945 اهتم بإصلاح تعليم العربية ، وتعريب التّعليم ، وضع كتاب المطالعة المختارة ، ونشر كتاب البخلاء للجاحظ ورحلة ابن بطوطة .[1]

. ب أعضاء أزهريون

. أحمد فتحي الإسكندري : ت 1938 تعلّم بدار العلوم ، ودرّس التّاريخ والآداب ، شارك في مؤتمر قضية استعمال اللّهجات في الأقطار العربية بأثينا ، ودحض آراء آرتين باشا الداعية إلى التلهيج ، دعا لاستعمال العربية من كلّ منبر اعتلاه ، وضع قائمة بالمصطلحات الكيميائية المترجمة إلى العربية .

. حسين والي : ت 1936 تعلّم بالأزهر، وتولّى شؤونه ، ألّف كتاب الاشتقاق التوحيد رسائل الإملاء ، تميّز بباعه الطويل في ميدان العربية .

. محمد الخضر حسين : ت 1958 جزائري تعلّم بالزيتونة ، عضو جمعية الخلدونية والصادقية بتونس ، له مؤلف حياة اللغة العربية ، والحرية في الإسلام ، نقد كتاب الإسلام وأصول الحكم ، وكتاب في الشعر الجاهلي ، ألّف كتاب القياس في اللّغة العربية .

[1] رشاد الحمزاوي : أعمال مجمع اللغة العربية ، ص79 ،80.

. **أحمد حمروش : ت 1960** كان أستاذا ثم مديرا لكلية اللغة العربية ، له مؤلّف عوامل نمو اللّغة العربية ، له علاقة بعمل المجمع ، ألمّ بالعلوم الفيزيائية ، تكلّم في قضية المعرّب وعُرف الأزهريون بتعصبهم لوطنية المجمع .

. محمد كرد علي : ت1953 يتقن التركية والفرنسية ، ترجم منها ، إلى العربية عدة كتب ، زار أوربا واستوحى فكرة إنشاء المجمع العلمي العربي بدمشق سنة 1919على غرار الأكاديمية الفرنسية للغة ، وترأسه إلى الوفاة ، مارس السياسة وأتقن الكتابة والتأليف والإبداع ، وكان من مشاهير الفكر ، وأئمة البيان في القرن العشرين .

. عبد القادر المغربي : ت1956 من تلاميذ جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، أنشأ جريده البرهان نشر فيها آراء جمال الدين الأفغاني ، له كتاب الاشتقاق والتعريب ، كان أوّل من قبل بدخول كلمات أعجمية بالاعتماد على القياس ، له مؤلف عثرات الأقلام لتقويم أخطاء الصحافة التي نُشرت بجريدة المجمع .

. اسكندر المعلوف : ت1956 صاحب مجلة الآثار ، كان عضوا بالمجمع السوري ،انتسب للمجمع القاهري عضوا مراسلا ، اهتم باللهجات العربية .

. الأب ماري أنستاس الكرملي : 1866 ت1947 هو بطرس جبرائيل يوسف عوّاد ،من أصل لبناني وانتماء عراقي ، رجل دين مسيحي ، درس الفلسفة وأتقن عدة لغات منها التركية والسريانية واليونانية واللاتينية والفرنسية والإيطالية والإنكليزية ، ترك أربعة وسبعين مؤلفا ، أصدر وسهر على مجلة لغة العرب سنة 1911، من أشهر مؤلفاته نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها ، أغلاط اللّغويين الأقدمين ، كان محافظا إلى حدّ التكلّف اتّهم بالتعصب للعربية ، والعنف في المناقشات العلمية ، كان اختياره بالمجمع دفعا للإشكال السنيّ الشيعيّ .[1]

[1] محمد رشاد الحمزاوي : أعمال مجمع اللغة العربية ، ص90

. حسن حسني عبد الوهاب : 1884 ت1968

من أسرة عريقة بتونس، خريج مدرسة العلوم السياسية ، كان من دعاة الحداثة ،عارض مشروع إصلاح الكتابة العربية الذي قدّمه عبد العزيز فهمي ، وهي حسنة من حسناته ، عارض اليسوعيين" لامنس ولويس شيخو" في مؤتمر كوبنهاغن 1908 لاعتدائهما في وصف الرّسول صلى الله عليه بما لا يليق به [1] قال عن الملك فؤاد : " هو من أجلّ ملوك المسلمين ومن أقواهم عزيمة وحبا لجمع كلمة العروبة ."[2]

. ج أعضاء الاستشراق

. إن هملتون جب : وُلد بالاسكندرية سنة 1895 ، كان تعيينه لغرض الاستفادة من خبراته التنظيمية ، درس العربية والعبرية ، عيّن أستاذا لكرسي العربية بلندن ، عمل في مجمع دمشق وبغداد والقاهرة .

. لويس ماسنيون : ت 1962 ممثل عن الاستشراق الفرنسي ، وهو الراعي الأوّل للجمعيات التبشيرية في مصر، تعلّق بتعلم العربية الفصحى والعامية ، زار عدة أقطار عربية ودرس بالأزهر النظريات الفلسفية الإسلامية ، خصص أطروحته للحلاّج ، ودراسته اللّغوية مستوحاة من التصوف، تعلّقت همّته بوضع معاجم عربية علمية مختصة ، مكنت العربية من التعبير عن العلوم العصرية ، واعتُبر ذلك من أسمى غايات المجمع .[3]

. كارلو ألفونسو نللّينو ت 1938 لغويّ ، وفلكيّ ، ومؤرّخ جغرافيّ ، علّم الفلك العربي ،وتاريخ اليمن القديم ، واهتمّ بالخط العربي ، تعلق بالعربية ، و شارك في تنظيم أعمال المجمع ، وله مشاركات حاسمة في تصويب مصطلحات جغرافية ، ووضع مصطلحات تواكب العلوم

---

[1] محمد رشاد الحمزاوي : العربية والحداثة ، ص79.

[2] نفسه ، ص80.

[3] رشاد الحمزاوي : أعمال مجمع اللغة العربية ، ص96.

الحديثة ، فخدم المعجم العربي المعاصر خدمة عالية ، نقل صدى الحضارة العربية الإسلامية إلى اللغة الإيطالية .

. أوغست فيشر : 1865 ت 1949 باحث ألماني أخذ منهج المستشرق الفرنسي سيلفاستري دي ساسي، وغولد زيهر، وأثّر ذلك على منهجه في دراسة اللّغة ، درّس اللغة العربية في برلين العام 1896 ، وكان أمينا للمعهد الذي حرص من خلاله على أهمية اللغة العربية والتاريخ وفلسفة الفكر الإسلامي ، قدم دراسة عن العالم والمحدّث السّني ابن إسحاق المطلبي، اهتمّ باللهجات والنحو العربي ، ودرّس بجامعة القاهرة اللّغات السّامية والنحو العربي ، قدّم للمجمع مشروع المعجم التّاريخي العربي سنة 1936 ، وقد وعد بطبعه .

. إينو ليتمان : ت 1958 عُيّن بالمجمع إثر إبعاد الهولندي فنسنك بعد أن ظهر عداؤه للإسلام ، اهتم بفقه اللّغة العربي وعلاقته باللغات السامية ، ألّف موضوع ألف ليلة وليلة بدائرة المعارف الإسلامية ، ساعد في حلّ إشكالية النّقوش الثمودية والصفوية لمعرفته العميقة بالساميات .[1]

والمطلوب حسب قانون المجمع من كلّ من تقدّم ذكرهم ، وغيرهم ممّن لم يرد ذكرهم البحث عن الحقائق المفيدة ، وتجنب الالتباس والغموض ، **وشعارهم اعرف نفسك بنفسك وعاش من عرف قدر نفسه** ، وبذلك ترسّخت القيم الأخلاقية ، وفازت الرّوح العلمية وانتصرت على المصالح والخلافات الفردية ، ومضى الجميع يشقّون للمجمع طريق النجاح في مشروعه ، كما يقول محمد رشاد الحمزاوي .[2]

وتلك سنة الحياة أن يُحرم البعض وهو يستحق العضوية ، لأنّ المناصب محدودة والمصالح تتربص بأهل القرار ، وقد ضم المجمع في ثلاثين عاما من حياته ما يفوق ثلاثين أديبا ، وعشرة أخصائيين في العلوم الفيزيائية ، وعشرة قانونيين ، وعشرين فقيها ، وتسعة عشر شاعرا

[1] محمد رشاد الحمزاوي : أعمال مجمع اللغة العربية ، ص98 ، 99.

[2] رشاد الحمزاوي : أعمال ..، ص102.

، وثمانية عشر صحافيا ، وأحدى عشر مؤرخا وجغرافيا ، وثمانية أطبّاء وأحدى عشر من الفلاسفة أطبّاء النفس ، وستة عشر من المختصّين في السّاميات واللغات المزدوجة ، جمعوا بين التعليم الجامعي وإتقان اللّغات الأجنبية ، والعربية مع اطّلاعهم على أبحاث الحداثة ، وسعوا إلى تحقيق غاية المجمع وتجاوزوا خلافاته على اختلاف ثقافاتهم وتجاربهم ، عايشوا لحظات الحيرة والتردد والانقسام ، خاصة إذا تعلّق الأمر بجهاز قواعد اللغة العربية المقنن الذي أرادوا إصلاحه ، فاستوعبوا أفكار المجمع الذي استوعب تمايزهم ،وتباين مشاربهم الفكرية ، وانتماءاتهم العرقية الضيقة والقطرية الواسعة والسياسية المتباينة

وقد كان لهؤلاء الأقطاب جميعا ، دورا هاما بفضل ما تمّ تقديمه من مطبوعات متخصصة في الثقافة والفكر واللغة والأدب ، **والعودة إلى التّراث نقلا وتحقيقا وتقديما فقد شمّروا على ساعد الجدّ يتحرّون اللّغة كلمة كلمة ، ينقون شوائبها ، ويقلّمون فاسدها ، ويحيّدون ميّتها ويبثونها في الحياة الجديدة واضحة الدلالة ، ومنه انطلقت المجامع في العصر الحديث ،** ومضت تقدم خدماتها التي لم يطلبها المستعملون آنذاك ، ولكنّها رؤى العلماء الثاقبة ، التي دفعتهم إلى تصور مستقبل العربية بلا مصطلحات للعلوم الحديثة وفكّروا في توفير ما أمكن توفيره من ثروة للمستعمل ، فاجتهدت المجامع في النّظر" في المسائل النّحوية ، وفي الصيغ من الأسماء والصفات والأفعال ، وفي الجموع وفي التذكير والتأنيث والألفاظ والأساليب ."[1] الحديثة في اللغة العربية.

[1] محمد حسن عبد العزيز : القياس في اللغة العربية ، ص14.

*لمعرفة تفاصيل سير عمل المجمع ولجانه واجتماعاته ، والوثائق والمنشورات ، و قضايا تأصيل اللغة ، و الكتابة العربية، و علم الأصوات واللسانيات ، و الثنائية اللغوية العربية واللهجات ، ينظر في كلّ ذلك :

. محمد رشاد الحمزاوي : أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ص105 وما بعدها ،

. شوقي ضيف : مجمع اللغة في خمسين عاما، تاريخ المجامع العربية وأعمالها ولجانها ، من ص6 إلى ص81 .

. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

تمّ إنشاء هذه الهيئة سنة 1970، وهي وكالة متخصصة ، تعمل في إطار جامعة الدول العربية ، تُعنى أساسا بمجالات التربية والثقافة والعلوم ، تعمل على النهوض بمستوى الموارد البشرية ، وتعمل على تنمية اللغة العربية ، والثقافة العربية الإسلامية داخل الوطن العربي وخارجه ، تتصل بمجموعة من الهيئات مثل معهد البحوث والدراسات العربية بجمهورية مصر ، معهد المخطوطات العربية بمصر، مكتب تنسيق التعريب بالمملكة المغربية ، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية ، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بسورية ، و تهتم هذه الهيئة إلى جانب الشؤون الثقافية بقضايا التعريب ، حيث أصدرت السلاسل ، ونشرت المعاجم الموحدة للمصطلحات في مجال العلوم الدقيقة والإنسانية منها اللسانيات ، والفيزياء ، والطاقة النووية ، والرياضيات ، والفلك ، والكيمياء والصحة ، وغيرها من العلوم ، وعقدت المنظمة دورات تدريبية ، ومؤتمرات دراسية تعمل المنظمة حاليا على إصدار موسوعة العلماء العرب والمسلمين، في عشرين مجلدا بخمسة آلاف مدخل .

المبحث الثالث : القياس منهج لتنمية اللّغة

إنّ الحديث عن لغة نموذجية ، مثالية ، مبنية على منطق مضبوط ، أمر غير ممكن الحدوث غالبا " فاللغة تميل إلى التغيّر" [1] والتطور والتحوّل حكمة تدين بها اللّغات جميعها ، ولا يمكن أن نتصور وجود لغة نموذجية مبنية على خطة منطقية ، ثم نتصور أنّ مجتمعا كاملا يتكلمها وأنّه يمكن" الاحتفاظ بها كما خُلقت دون تغيير." [2] فقد أكّد التاريخ " أنّ قوة الحياة التي لا تُقهر تتغلّب على القواعد وتُحطّم قيود التقاليد ." [3] فلا مجال إلى لغة دون تحوّل وتبدّل إلا إذا كانت لغة ميّتة .

وقواعد اللغة هي التي تحمي اللغة ، وتحافظ على ثبات نظامها و" النحو كثيرا ما يكون في صراع مع الحس الطبيعي للغة ، ففي الأقطار التي يطغى فيها أثر النحاة لا تستسلم اللغة لفعل القياس إلاّ بصعوبة ؛ إذ تختنق المبتكرات القياسية في مهدها ولا تستطيع الحياة ." [4] لكن إذا جئنا لملاحظة هذا الأمر في العربية الفصحى ، وجدنا أنّ العربية قد سلكت مسلكا معاكسا ؛ فقد تكونت اللغة العربية منذ زمن بعيد ، وسافرت مع الشعر في الأندية الأسواق ، ولمّا اشتدّ عودها ، وقوي بناؤها ، كانت لسان القرآن الكريم ، فأدّت معه أحسن آداءٍ وأكمله ، وبدت معه لغة من اللّغات الخاصة ، وقد كانت حية تعجّ بكلّ معاني الحياة ، لأنّها نشأت نشأة طبيعية ، ولم يكن العرب حينها يعرفون النحو وقواعد اللغة ، بدليل الأعرابي الذي سمع النحاة يذكرون المبتدأ والخبر فقال: يتكلمون في لغتنا بلغتنا ولا ندري ما يقولون ، ثم جاءت بعد ذلك مرحلة وضع القواعد ، فكان النحو تاليا للغة ، ولم يكن إلاّ استقراء لها ، فقد حاول أن يقبض عليها في مرحلة من مراحل قوتها وتألّقها وعنفوانها ، فلم تختنق قياساتها ، بل أخضعت تلك اللغة القوية للقياس فبسبب اتّساقها وانسجامها واطّراد

---

[1] ماريو باي : أسس علم اللغة ، ص71.

[2] فندريس ، اللغة ، ص213.

[3] فندريس : اللغة ، ص6.

[4] فندريس ، اللغة ، ص207.

ظواهرها ، اقترب علماء العربية من ضبط نظامها عبر قواعد النحو إلاّ ما شذّ عنها فهو في باب " الشّاذ الذي يُحفظ ولا يُقاس عليه " ولا أدلّ على ذلك من ثبات النظام النحوي للعربية .

رغم اعتراف ماريو باي بصعوبة تصنيف أنظمة اللغات ، وصرّح ببلوغ أجزاء الكلم حدا يعوق حتّى الآن عن الوصول إلى تصنيف مُرضٍ وكلّ ما تم تقديمه من أنظمة لا يثبت أمام الامتحان[1] لكن الأمر مع العربية يختلف فقد صنع نحاة العربية الميزان واكتشفوا القانون وصنعوا النظام ، ثُم صمد وثبت هذا النظام النحوي العربي ، **ومازالت العربية تحتكم إلى كتاب سيبويه**

لكنّ الإشكال قد وقع لاحقا ، وأخذ منحى آخر، وذلك من خلال الحرب التي دارت رحاها بين الشعراء ، والنقاد ، والنحاة في بداية تشكّل الدرس النقدي العربي ، حينما ربط النحاة اللغة برباط القياس ، إلاّ ما شذّ منها عن القاعدة ، وتطلّع الشعراء إلى الإبداع دون قيد أو شرط ، فهم يطمحون إلى التعامل مع اللغة بحس طبيعي خالٍ من القيود ، تخنقهم قواعد اللغة وأحكامها وضوابطها ، عندها كانت ضرورة إنشاء قواعد اللغة المتعالية لغة الشعر والقوافي أو ما يجوز للشاعر ولا يجوز لغيره ، وسعى النقاد إلى التأويل والتخريج للحد من الصراع القائم ، وشعار الشعراء علينا أن نقول وعليكم أن تتأوّلوا ، وبذلك صارت للشعراء جوازاتهم وهو موضوع آخر من البحث .*

. أ مدرسة القياس الإحيائية

هناك ميل طبيعي لمفردات اللغة نحو النمو والتكاثر، نتيجة لنمو النشاط الإنساني فقد تدفقت مطالب وحاجات مستحدثة من حياة الحضارة العربية ، ووجد القوم أنفسهم إزاء

[1] ماريو باي : أسس علم اللغة ، ص155.

مستحدثات لا قبل لهم بها ، ولا يمتلكون اللغة التي تقبض عليها .[1] ولم يكن من شيء يعود إليه العرب سوى الماضي ، فكما عاد الغرب إلى قديمه ينقّب فيه ويبحث عن نفائسه ،عاد العرب إلى التّراث بكلّ ما في معاني كلمة تراث من نفائس ، ففي الشّعر كانت المدرسة الإحيائية التي أقام دعائمها محمود سامي البارودي ، وفي اللّغة هبّ العلماء إلى كلّ قديم ينشرونه ويتأمّلون كنوزه ، وترسّخت فكرة **بعث اللّغة القديمة من مرقدها** ، فكان القياس بمفهومه الاستعمالي هو **عملية تصْنَيعُ الكلمات الجديدة على نول قديم** ، وكلّ كلمة اشتقت أو عُرّبت ، أو تمّت مفهمتها من جديد ، لابدّ أن تكون قد قيست بقياس ، فالقياس هو الحلّ المثالي ، **لأنّه نظرية تعمل على تحريك جملة الآليات ليتم إنتاج الألفاظ والمصطلحات على منوال معين ونمط مقصود هو النمط القديم** ، هذا القياس الذي جدّ قدماء النحاة في الاحتفاء به ، رجع إليه المحدثون مع مبشّرات النّهضة الحديثة ، ولم يكن هناك من وسيلة تثري القاموس الحديث ، لتقبض على ما استُحدث وجدّ في حياة النّاس غير بعث القديم والقياس عليه .

لقد اعترف القدماء باعتدال العربية في أصل تكوينها ، وبنائها أوّل أمرها على قياس صحيح وأصل ثابت ، فلا سبيل إلى الحفاظ عليها سليمة نقية ، بغير طريقة ينتهجها مستعمل اللّغة ، فتعزّز عوامل التنمية من ناحية وتحافظ على الأصل الأوّل من ناحية أخرى ؛ إنّها عملية قياس الجديد على القديم ، فيكون القياس بوظيفته تلك هو محاولة " الاستفادة من الأقيسة التي وُضعت في علم التّصريف لإنماء اللّغة . "[2]

وكان المبدأ أنّ اللغة جزء لا ينفصم عن حياة متطوّرة متغيّرة ، سنّة من سنن اللّه في اللّغات ، لكنّ الجمع بين التّطور والحفاظ على الأصل الذي انبثق عنه ، هو الأمر الصعب

---

[1] سعيد الأفغاني : في أصول النّحو ، ص118.

[2] خديجة الحديثي : تيسير النحو ، ص439

*ينظر ماريو باي : أسس علم اللغة ، ص153 وما بعدها

في حدّ ذاته ، لذلك سعى العلماء إلى تطوّر في غير شطط ، وتجديد لا يفصل اللّغة عن جذورها ، بل يحافظ على أصالتها و فرادتها ويحميها من الاضمحلال والتّلاشي ،ويصونها من طوفان العامية المتبدلّة على الدّوام ، وينأى بها عن الأجنبية بكلّ ما فيها من بعد عن العربية ومميّزاتها ، وما قد تُدخله تلك اللّغات على العربية ، فإذا كان الهدف في العربية هو التّنمية فإنّنا نريد " انفتاحا لقبول الاشتقاقات اللّغوية الجديدة ، لا يخالف سنن اللّغة وقوانينها ، ذلك كي يظلّ ينبوع الحياة جاريا ومتدفّقا في أوردة هذه اللّغة ." [1]

ذهب تيمور باشا إلى أنّ اللّغة كائن حي ، وهي الأصل الذي وضعه الإنسان وهذا الأصل يحتاج إلى التنمية والتّطوير فيقول : " ليست اللّغة إلاّ استنباطا ممّا يجري فيها من ألفاظ وصيغ ، فاللّغة هي الأصل والقياس منها يتفرّع ، فهو ظلّها النّاشئ عنها : يمتدّ إذا امتدّت ، ويميل معها حيث تميل ، وما دامت اللّغة متطورة فلابدّ أن يتغيّر القياس ويحذو حذوها ، لذلك قال أحد الباحثين المعاصرين وهو يأمل في تجديد طرق القياس قال : " ليكن باب القياس مفتوحا على مصراعيه ، حتّى لا يمنع مانع من استنباط أقيسة جديدة وفق ما ورثنا من أقيسة صاغها الأقدمون "[2] وهو ما يبرّر العصرين اللّذين احتاجت فيهما العربية إلى التفتّق والانبعاث.*

. ب جهود المجامع الحديثة في القياس .

القياس هو" العملية التي بها يخلق الذهن صيغة أو كلمة أو تركيبا تبعا لأنموذج معروف ."[3] وبما أنّ القياس يسعى دائما لاطّراد الظّواهر في اللّغة ، ويبحث عن دقتها وانضباطها ،

---

[1] هلا آمون : معجم تقويم اللّغة وتخليصها من الأخطاء الشّائعة ، دار القلم ، بيروت لبنان ، د ت ، ص 12.

[2] توفيق محمد شاهين : عوامل تنمية اللغة ، ص12.

*تمّت الإشارة لهذين العصرين تحديدا باعتبار أنّ التغيير الذي نال العربية في هذين العصرين أكثر من غيرهما في تاريخها الطّويل ، ونستطيع القول أنّ ما جعل العربية . رغم التّحول . تثبت على حال تحافظ فيه على بنيانها وصبغتها ومواصفاتها أكثر من أي لغة أخرى من لغات العالم القديم والحديث هو القياس.

[3] فندريس : اللغة ، ص205.

فالمعنى أنّه يسعى لتكريس النّوع الواحد ، والنّوع عند القدماء هو محافظة على نقاء اللّغة وتوحيد معاييرها ، وهو عند المحدثين وصل الجديد بالقديم ، وتكثير للألفاظ كي تفي بأغراض المتكلّمين ، وفي ذلك حفظ للكيف ، وتكثير في الكم ، ولهذا كان له دور عظيم في النّمو اللّغوي ، لأنّه يعمل على توليد الصيغ الجديدة التي تحل محل الصيغ القديمة ، فأحيانا يستخدم مادة قديمة سبق للّغة استعمالها في عملية التّوليد ليصنع منها الجديد ، وأحيانا يحافظ على بقاء الصيغ المطردة ويحول دون تغيرها .[1] من هنا فتح مجمع اللّغة العربية في العصر الحديث باب القياس **و شرّع منه ما تقتضيه الضرورة** فقط ، فدعا أحمد أمين إلى العمل بهذا المبدأ ، وهو تغليب الحاجة والضرورة ، وقدّم بحثا بعنوان مدرسة القياس في اللّغة ، كما دعا المجمعيون عامّتهم إلى السّماع من المحدثين والنظر في كلامهم ، وتتبّع إبداعهم في استخدام ألفاظ اللّغة وملاحظة شيوعها وقبولها ومن ثمّ تهذيبها وإصلاحها وإقرارها. [2]

وبذلك **أغلق المجمع باب الجمود على الماضي** والوقوف على أطلال اللغة القديمة وأسقط مقولة الاعتماد على السّماع لأنّ ذلك يخالف طبيعة التطور الذي يُعدّ أصلاّ في اللغة ، إذ لا يعقل أن تكون اللّغة كلّها موروثة عن السّلف ، وفتح المجمع على العربية موردا تنمو به ، وتتنفّس من خلاله وتزدهر به ، فوقف بذلك على الأساس السليم والمنطق القويم ، إنه منطق أنّ اللّغة نامية متطورة ، فكانت المهمّة هي:

. البحث عن الأفعال قياسا إن ذكرت المصادر سماعا ،

. البحث عن المصادر قياسا إن ذكرت الأفعال سماعا ،

---

[1] محمد حسن عبد العزيز : القياس في اللغة العربية ، ص14.

[2] محمد شرفي أمين ، إبراهيم التّرزي : مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاما 1934 1984، القاهرة مصر، الهيئة العامة للمطابع الأميرية ، ت ط 1984 ، ص 8 ، 9.

وهي طريقة لاستكمال ما لم يرد ذكره عصر التدوين ، من ذلك كلمة الاحترام؛ فهي لفظة حديثة ، وإذا أردنا أن نشتق منها قياسا قلنا احترم ، يحترم ، محترم ، احترام .

. يستخدم القياس في تعريب الدّخيل وجعله على نمط العربية ونظامها .*

. تعميم المعنى بعد أن كان خاصا وذلك قياسا على ما فعله العرب من ما هو توسّع وإلحاق ، من ذلك كلمة الخمر كانت تدلّ على عصير العنب المُسكر، وصارت تدّلّ على كلّ ما هو مسكر [1] فقد أظهر المجمع إرادة كبرى في تيسير قضايا اللغة ، وكانت خُطّته مراعاة أركان القياس وهو" الأصل ، الفرع ، الحكم ، العلة " [2]

. **الأصل وهو المقيس عليه**، وهو كلام العرب القدماء الذي يُشهد له بالفصاحة ،

. **فرع وهو المقيس** ، وهو كلام المحدثين من المبدعين وأهل الرّأي والعلم والمعرفة،

. **حكم** وهو القواعد والأحكام التي صدرت، والتي تُشكّل الضابط الذي يحكم الظاهرة اللغوية قديما وحديثا.

. **علة جامعة** مادامت اللغة واحدة فالعلة ثابتة .

وهي الأركان نفسها التي أقرّها القدماء ، لهذا كان من أهم أعمال مجمع اللغة العربية وأكثرها حرجا **قضية توسيع القياس** ؛ وهي القضية الجوهرية والحساسة التي أثارت حفيظة المحافظين المدافعين على النظم القديمة للعربية ، والمجدّدين دعاة التيسير ،وظلّت القواعد القديمة هي العقبة الكؤود التي أبت أن تتزحزح على مرّ العصور والأزمنة ، فكلّ محاولات إحياء النحو التي نادى بها ابن مضاء القرطبي في القرن السادس من خلال مؤلّفه الرّد على

---

* يفصّل ذلك في مبحث آلية التعريب .

[1] فرحات عياش : الاشتقاق ودوره في نمو اللغة ، ص125 ، 126.

[2] سعيد الأفغاني : في أصول النحو ، ص108 .

النحاة بقيت حبيسة الأوراق ، وجاءت محاولات إحياء النحو وتيسيره مع مصطفى إبراهيم ، ولكنّ الجهاز القديم ثابت لا يتحرّك .

وذلك من خلال مدخل عام عُدّ إضافة للعربية المعاصرة ، دون أن يتزعزع الجهاز القديم ، لا بل هي محاولة لترسيخ فاعليته وتأكيد جدواه ، إنّها فكرة إيجاد **صيغ صرفية لوضع المصطلحات الفنية والعلمية التي تتطلّبها الحياة المعاصرة** ، وهو تصرّف طبيعي حيال اللغة ونظامها ، فالمعروف في علم اللغة الحديث أنّ التغيّرات الصرفية تعمل على صعيدين " الأوّل مبعثه الحاجة إلى التوحيد ، ويميل إلى إقصاء العناصر الصرفية التي أصبحت شاذة والآخر مبعثه الحاجة إلى التعبير ويميل إلى خلق عناصر صرفية جديدة . "[1] فقد اصطدم المجمعيون **بعقبة أولى** هي مفهوم القياس ، المتحرك غير الواضح ، وقد أشرنا سابقا لقضية الاختلاف في تحديد مدلول القياس عبر الأزمنة التي مرّ بها النّحو العربي وبدا للمعاصرين " أنّ مقاربته كانت عويصة على قدر ارتباطه بمسألة السّماع أو الاستعمال "[2] فتساءل الشّيخ أحمد الإسكندري عن ما حاول السّيوطي حسابه بالأرقام ،فهو يبحث عن " عن سند واضح عند النّحويين ، فهم يعرّفونه حسب الاطّراد والشّذوذ لكن هل يمكن أن نقيس الاطراد والشّذوذ ." [3] *

وبقي مجمع اللغة مترددا في إيجاد طريق الخلاص من مشكلة الصيغ القياسية والسّماعية ، ولم يأت الحلّ إلاّ في الدورة الرّابعة ، عندما اهتمّ المجمع بتعريف القياس الذي كان يعتبر أمرا مقضيا ، وكانت أكبر مشكلات القياس القديمة كثرة المصطلحات وتفرّعها وتنوّعها ، وتغيّر دلالاتها ، فكلمة قياس وحدها كانت تستدعي مصطلحات الاطراد ، الغالب ، الأكثر ، الأصل ، الفرع ، القليل ، الكثير ، النادر ، الباب ، أصل الباب ، القاعدة ،

---

[1] فندريس : اللغة ، ص204 ، 205 .

[2] رشاد الحمزاوي : أعمال مجمع اللّغة العربية ، ص182.

[3] رشاد الحمزاوي : أعمال ..، ص182.

* ينظر حدود المصطلحات الفصل الأوّل ص90.

فقرّر المجمع التّجاوز؛ تجاوز كلّ تلك المصطلحات ، **واعتماد مفهوم محدد في قضية القياس** ، واعتبر أنّ كلّ تلك المصطلحات من قبيل المترادفات التي تثري ولا غير.

وهذه خطوة هامّة في طريق التقدّم بالفكرة ودفعها إلى الأمام ، وتلك المترادفات تسمح للعرب المحدثين بتطبيق القياس على كل ما لم يسمع باعتماد ما سمع . [1] وهو في ذلك لا يخالف رأي ابن جنّي في القياس، لقد تجاوز المجمع عقبة تحديد المصطلح ، لتكون **العقبة الثانية** في طريقه وهي مسألة القياس هل هو شكلي معياري يحدّده النحاة ، وذلك باستخراج نمط على نول نمط ، أم هو القياس الحي الإستعمالي الذي يرد على ألسنة المتكلّمين المستعملين المبدعين في اللغة ، هذا ما تساءل عنه الشيخ المغربي ، والخوف كلّ الخوف من اختراق جدار اللغة ، أو خرق قواعد الفصحى ، أو أن يُفتح باب اللّهجات لسماع وقياس جديدين فتنزل العربية من مكانتها التي يعتقد بها قومها . *

كانت محاولات أحمد أمين بمقاله الذي نشر في مجمع اللّغة العربية ؛ مقال مدرسة القياس في اللغة دافع يدفع إلى التنمية والتطور، وقام المجمع بموجب ذلك باتخاذ قرار اعتماد القياس في مادة اللغة ، وإن كان ذلك الأمر غامضا ، فقد استدرك عليه إبراهيم أنيس طالبا من المجمع تجاوز حديث السليقة وتفنيد مقولة اللغة المثالية ، والدعوة إلى الأخذ عن جمهور المتكلّمين ، لكن لا يرتبط الأمر بالأخذ عن الأطفال والعامّة ، بل اعتماد قياس المبدعين من العلماء كالشعراء والكتّاب وهي حيرة أخرى ، و**عقبة ثالثة** في طريق القياس الذي مزّق آراء المحاولين وجعلهم يتقدّمون بخطوة ويتأخرون بخطوتين [2]. لقد دعا إبراهيم

---

[1] رشاد الحمزاوي : أعمال مجمع اللغة ، ص182 ، 183.

*ما يُلاحظ على المحدثين هو اعتقادهم المطلق في أهمية الحفاظ على اللغة كما وردت عن القدماء ، وهم لا يغيّرون إلاّ للضرورة .

*يأتي ذلك في ظلّ الصراع الذي عاشته العربية الحديثة ، بين من زهّد في الماضي ، ودعا إلى تجاوز لغة الأعراب ، ومن دعا إلى استخدام العاميّات ، وبين من أراد بعث القديم بروح المعاصرة والحداثة .

[2] رشاد الحمزاوي : أعمال مجمع اللغة العربية ، ص185.

مذكور إلى تخليص النّحو من ربقة التّقاليد العتيقة والدعوة إلى تحرير اللّغة ، مشيرا إلى تأثر النّحو العربي بالنحو اليوناني ، وكان ذلك في معظم جوانبه محاولات لنقد النحو العربي ولم تك قائمة على أسس علمية مبررة ، بل هي من قبيل العموميات والمقاربات التي تهدف إلى التعمية والبلبلة ، وهي غير واضحة لأنّها تكبّله وتمنعه من السّير قدما ، وتحرمه من مواكبة روح العصر ، وهذه كلّها ثورات أخذ وردّ حرّكت أركان العربية من جهة ، لكنّها توجّهت بها مناحٍ أخرى في طريق النّهوض ،ودافع إبراهيم مدكور عن حقّ العلماء في التّصرف في اللغة ، فيجب أن يُنظر إلى تطور اللغة باعتبار الحاجة ، ولا داع إلى وضع مصطلحات بالقياس على الصيغ العربية " فالحاجة إلى التعبيرية كالحاجة إلى التوحيد ، من الحاجات التي لا تُسدّ ." [1] وقد سبق للعربية أن عرّبت ألفاظا حسب ما نُطِق بها في لغاتها ، فالعلم هو في حقيقة أمره تراث الإنسانية كلّها جمعاء ، وهو ذاته يحتاج إلى حرية التبادل المشترك ممّا يستدعي نظرة أوسع للظاهرة اللّغوية بوصفها نظام ، لكن تحدّه البيئة الاجتماعية بمواصفاتها الذّاتية [2] وهي نظرة يصنع تفاصيلها علماء كلّ التخصصات من الاجتماع والأجناس والإحصاء واللهجات ، عندها ستتحدّد علاقة اللغة بالعلم ، وتتأسس الثروة اللغوية ، وكلّ آليات التنمية القياسية ستظهر بفعله وعمله فيها إذا أردنا عربية فصيحة على منوال ما تكلّم به القدماء .

عدّد ماريو باي أدوات التنمية في اللغة فذكر الاشتقاق ، التركيب ومن وسائله الاقتطاع العجُزي ، الوضع ، التغيّر الوظيفي ، الاقتراض ، وهذه الوسائل كلّها تعمل بالقياس فيكون " القياس في حقيقته أساس لكلّ صرف ، والإنسان يتّبع القياس في كلامه وما جداول التصريف والإعراب التي تُذكر في كتب النحو إلاّ نماذج يُطلب إلى التلميذ محاكاتها ." [3]

---

[1] فندريس : اللغة ، ص205.

2 رشاد الحمزاوى : أعمال المجمع ، ص195.

[3] فندريس : اللغة ، ص222.

وآليات العربية لا تبتعد عن هذا ولكن تبقى لكلّ لغة خصوصيتها النوعية التي تميّزها عن اللغات الأخرى .

المبحث الرابع : التّعريب آلة لدمج الكلمة الدخيلة في نظام العربية .

تحتاج اللّغة إلى المراجعة وإعادة النّظر باستمرار، وكلّما كانت أمام مرحلة جديدة من مراحل حياتها كانت المراجعة حتمية لأنّها " مثل غيرها من الأشياء تحتاج إلى النّموّ والتّوسّع فتجدّد حياتها لتقوم بواجباتها ، فاللّغة تحتاج إلى إدخال أشياء جديدة مستحدثة في ألفاظها وهجر المهمل منها. "[1]

وقضية موت الكلمات ثم ولادة كلمات جديدة ، هي قضية محسومة في تاريخ اللغات ، وتكاد تكون محسوسة بين أيدي المستعملين في الأزمنة المتقاربة ، فنحن اليوم نشهد ولادة كلمات انتمت مسمياتها لهذا العصر، فدخلت العربية من لغات أجنبية ، مثل كلمات الانترنيت ، الكمبيوتر، اللّيزر، الميكروسكوب ، وموت أو اختفاء مجموعة كلمات كانت مستعملة من قبل مثل كلمات قنديل ، زير، جرّة ، محراث خشبي ، فالمقرّر أنّ الكلمات تموت بموت أو اختفاء مراجعها في عالم الموجودات بسبب الاستغناء عنها ، أو لعدم الحاجة إليها ، وأنّ ألفاظا أخرى تولد لتقبض على ما جدّ في حياة النّاس ، وكلّ ذلك حسب ما نبذته الحياة الماضية ، وما اقتضته الحياة الجديدة .

. أ مصطلحات اقتراض ، معرب ، دخيل .

إذا وقفنا أمام مصطلحات ، اقتراض ، دخيل ، معرّب ، مولّد ، مستحدث ، نجدها تعبّر عن لفظ جديد في اللغة بإزاء آخر قديم ، فالقديم يعود إلي الوضع الأوّل والاستعمال

[1] مقال الوضع والتعريب : مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق ، ج 2 ، مج 2 ، ت ط 1922 ، ص 47.

الأوّل ، الذي نشأ من رحم اللغة ، أمّا تلك المصطلحات فتتعلّق بما دخل اللغة من لغات أخرى ، وتتّخذ هذه المصطلحات مكانتها في اللّغة العربية حسب الأزمنة والعصور .

وقد أخذت قضية الكلمات الدّخيلة على العربية عند القدماء حظا وافرا من الاهتمام ،بسبب رفض الأوائل لكلّ جديد دخيل ، فالحرص على نقاء اللّغة مُقدّم أبدا ، ثمّ إنّ ورود المعرّب في القرآن الكريم دفع علماء العربية إلى القول بأنّ من قال أنّ في القرآن شيئا أعجميا ، فقد أعظم القول على اللّه تعالى ، وجماعة من الفقهاء منهم ابن عبّاس وابن مجاهد وابن جبير وعكرمة وغيرهم قالوا : " في أحرف كثيرة إنّها من لغات العجم ."[1] واستنكر بعضهم أن يوصف القرآن الكريم بالعجمة بعد أنّ قال الله تعالى :

(لِسَانُ الَّذِيْ يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) [2] حاول البعض تفسير الآية بالقول بتوارد اللّغات وتلك كلمات تكلّمت بها " العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد . " [3]

فكان لفظ المولّد في الأزمنة الأولى للعربية منقصة ومعيرة في اللّغة ، بدليل أنّ اللّفظ العربي الفصيح يمتاز عن المولّد بأنّ الفصيح يحتج به والمولّد ساقط عن الاحتجاج ،قال الفارابي في ديوان الأدب " هذه عربية وهذه مولّدة وأحسبها محدثة " [4] وهما غير متكافئين رتبة ، وأكّد البغدادي في خزانة الأدب على " أنّهم أجمعوا على أنّه لا يحتج بكلام المولّدين والمحدثين في اللغة والعربية ." [5] وشدّد سيبويه في باب ما أعرب من الأعجمية على عجمة الكلمة ، وميّزها عن العربية الأصيلة بقوله : " اعلم أنّهم ممّا يغيّرون من الحروف الأعجميّة ما ليس من حروفهم البتّة ، فربّما ألحقوه ببناء كلامهم وربّما لم يلحقوه ." [6] فالقدماء يفرّقون بين الأصيل والدخيل ، ويُميّزون بين العربي الفصيح الذي نشأ في بوادي شبه الجزيرة ،

---

[1] السيوطي : المزهر في علوم اللغة ، ج1 ، ص

[2] سورة النحل ، الآية 103 .

[3] سعدي صناوي: المعجم المفصل في المعرب والدخيل ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط1 ، تط 2004، ص6.

[4] السيوطي : المزهر ، ج1 ، ص245.

[5] البغدادي : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، ج1 ، ص 8.

[6] سيبويه : الكتاب ، ج ، ص 342.

والمعرّب المولّد الذي نطق به المحدثون ،ويطلق عليه كلمة اللفظ المحدث بمعنى أنه كلام لم يسمع عن العرب الخلّص عرب البادية ، وإنّما أحدثه المستعملون في أزمنة لاحقة ويسمّى " الكلام مولّدا إذا استحدثوه ولم يكن من كلامهم فيما مضى " [1] وذهب ابن جنّي إلى أنّ ما " أُعرب من أجناس الأعجمية قد أجرته العرب مجرى أصول كلامها ؛ ألا ترى أنّهم يصرّفون في العلم نحو آجر، و إبريسم ، وفِرِند ، و فيروزِج ، وجميع ما تدخله لام التعريف ، وذلك أنّه لمّا دخلته اللاّم نحو الديباج ، والفرند ، والسهريز ، والآجُر، أشبه أصول كلام العرب ، أعني النكرات فجرى في الصرف و منعه مجراها . " [2] والتّعريب عند القدماء " يُعنى في المقام الأول برصد ما حدث من تغيّرات في البنية ."[3] وفي العصر الحديث أقرّ مجمع اللغة العربية أن المولّد يفيد اللّفظ الذي استعمله المولّدون وهم أولئك الذين خرجوا عن حدود الفصاحة ،ويخرج عمّا استخدمه العرب الخلّص ويأتي على نوعين :

. نوع استنبطوه باعتماد طرق وآليات الكلام العربي مثل المجاز والاشتقاق وينحصر هذا الصنف في مصطلحات العلوم والتقانة والفنون وهو عربي يعتدّ به .

. ونوع لم تُعتمد فيه طرق الكلام العربي ، وإنّما أخذ اللفظ الأعجمي كما هو واتّخذ المجمع قرار عدم إجازته ، ويدخل تحت هذا الصنف ألفاظا تغيرت صوتيا أو دلاليا ولا يمكن إعادتها إلى طبيعتها الأولى وهذا غير مجازٍ هو الآخر. [4]

من ذلك كلمات الطّرَش بمعنى الصّمم ، العَفْصُ مادة يتّخذ منها الحِبر ، العُجَّة ، طعام يصنع من البيض ، التّشويش كلمة لا أصل لها في العربية ، و هذه ألفاظ مولّدة ولم تسمع عن العرب [5] فكلمات الطّفيّلي ، زبون ، الجبرية ، الغضارة ، قحطيّي ، لغة محدثة لا توجد

---

[1] محمد الخضر حسين : القياس في اللغة العربية ، ص108.

[2] ابن جنّي : الخصائص ، ص 283.

[3] محمود فهمي حجازي : الأسس اللغوية لعلم المصطلح ، ص148

[4] رشاد الحمزاوي : أعمال مجمع اللغة العربية ، ص 269.

[5] السيوطي : المزهر في علوم اللغة ، ج1 ، ص247.

في العتيق من الكلام .[1] ومنه المخرقة ، افتعال الكذب ، وهي كلمة مولّدة ومنه الفعل تبغدد ، نسبة إلى بغداد ، ومنه الحواميم ، هو كلام صبيان ليس من كلام العرب وإنما يقال في العربية آل حاميم ، خمّنت الشّيء ، قلت فيه بالحدس ، ومنه كنه الشّيء نهايته ، كلام مولّد قال السيوطي: أحسبه مولّدا ،[2] ما نستشفّه من كل ما تقدّم ذكره من أمثلة أن الكلمة تكون عربية حتى إذا نالها شيء من التّبديل والتّغير اعتبرت مولّدة ، أنّ كل لفظ كان عربيّ الأصل ثمّ غيّرته العامّة بهمزٍ، أو تسكين ، أو تحريك ، أو نحو ذلك صار مولدا [3] **كما يظهر فإنّ المولّد ينحسر في تغيير ما كان موجودا في الكلام العربي ، أو إدخال الجديد البعيد عن الأصل العربي** . ولعلّه من المتعذّر أن تظلّ لغة ما بمأمن من الاحتكاك باللّغات الأخرى . وهو أمر طبيعي أظهرته اللّغات على مر التّاريخ . ويؤكّده الواقع اللغوي الحديث على ألسنة البشر* فمن سنن اللّغات أنّها تحتكّ فتأخذ وتعطي لغيرها ، وهو حال العربية التّي انقسمت علي أمرها جزأين كبيرين .

. العاميات التي ظلت تتفاعل مع اللّغات المجاورة تفاعلا طبيعيا بكلّ ما فيه من منافع ومضارّ الاختلاط والسّبب في ذلك أنّها لم تدوّن .

. أمّا الفصحى فبسبب خصوصيتها النّوعية ، تم تدوينها فلم تختلط اختلاطا كلّيا باللّغات التّي احتكت بها ، بل ظلّت منذ نزول القرآن الكريم في سعي إلى النّأي بحالها والانطواء على نفسها ، والتّقيّد بنموذجها الأعلى ؛ الشّعر العربي و القرآن الكريم نطقا وكتابة ، لكن مع ذلك لم تسلم من الاختلاط باللغات الأخرى بل دفعتها الضرورة للاستعانة باللغات ،ودليل ذلك أنّها لم تخل من معرب أو دخيل أو مقترض بين ألفاظها ، وكثيرا ما كانت تنحني على الأجنبي فتأخذ منه ، وتلك سنّة طبيعية في اللغة ، وقد لجأت العربية للدّخيل

---

[1] نفسه ، ص249.

[2] السيوطي : المزهر ، ج1 ص249.

[3] *احتكاك العاميات العربية الحديثة مع اللغات التي ربطتها بها علاقات تاريخية أو حضارية (العامية الجزائرية مع اللغة الفرنسية ، العاميات الخليجية مع لغات الشرق الأوسط ، وهو أمر تؤكّده اللسانيات المعاصرة) السيوطي : المزهر ، ج1 ، ص250.

واعتمدته آلية للتنمية سواء قديما أم حديثا * والدافع إليه غالبا هو الحاجة ، فاللغة تحتاج لأن تسدّ حاجاتها الحادثة و" الأثر الذي يقع على لغة من لغات مجاورة لها كثيرا ما يلعب دورا هامًا في التّطوّر اللّغوي ." [1]

. ب التعريب آلة تنمية قياسية

طمحت اللغة العربية في العصر الحديث ، لأن تكون لغة قوية تفي بأغراض التقنية والبحث العلمي ، ولغة التّدريس في الجامعات ، ولغة شتّى فروع المعرفة ؛ لكن لم يكن العرب أهل إبداع وإنتاج علمي ، بل عليهم أن يطوّروا لغتهم و يوجدوا المقابلات العربية للمصطلحات الأجنبية في شتّى مجالات الحياة والمعارف والعلوم ، فالمصطلحات هي مفاتيح العلوم وهي شخصية اللغة وسر ديمومتها .

تتّسع إشكالية التّعريب كما سيقت في البحوث المعاصرة ، فهل يكون الاهتمام بتعريب اللّفظ ، أم بتعريب الفكر، أم بإحداث معان جديدة ، **نطرق القضية من باب أنّ التعريب هو وضع كلمات جديدة لمعان جديدة في اللّغة العربية وبطرق قياسية** ، وبذلك فإنّ " التعريب في اللغة قوّة "[2]

فحين يتم تعريب الكلمة المستعارة ، لابدّ أن يكون التّطويع على منهج العربية وقياسها من هنا كان القياس هو النظرية والتّعريب هو الآلية والكلمة التي نقيس عليها هي النول الذي يُصنع على شكله اللفظ الجديد ، نرصد من ذلك بعض ما دخل العربية بهذه الآلية ، مع العلم أن العربية منذ تاريخها البعيد كانت على اتّصال بلغات كثيرة ولكي تعرف أصول الكلمات والمصطلحات الجديدة لابدّ من النّظر في الرّوافد الأصلية التّي وفدت منها الألفاظ ، فيتم الاهتمام " ببيان أصولها السّامية ، إن كانت من ذلك الرّصيد الموروث المشترك ، أو

---

[1] رمضان عبد التواب : فصول في فقه اللغة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة مصر ، ط3 ، ت ط 1987 ، ص358 .

* أكبر أسواق المعرّب والدّخيل كانت محاذية للأمم المجاورة منها : الأُبُلة ، الأنبار ، الحيرة المحاذية للفرس .

[2] عبد القادر المغربي : الاشتقاق والتعريب ، ص41.

ببيان أصولها الهندية . الأوروبية إن كانت من المصطلحات التّي دخلت العربية قديما عن اليونانية أو الفارسية أو السنسكريتية ، أو حديثا عن الإيطالية أو الفرنسية أو الإنجليزية أو عن لغات أخرى تنتمي إلى الأسرة الهندية الأوروبية ." [1] كلّ هذه اللّغات التي ورد ذكرها كانت على اتّصال بالعربية في تاريخها الطّويل، وفي ذلك محطات تاريخية هامّة تعود غالبا لأسباب تاريخية حضارية أو سياسية أو جغرافية واليوم تحتّم الضرورة أن تنمو معاجم اللّغة العربية ، ولابدّ أن تتكاثر مفرداتها لتلبّي حاجات المتلاغين بها ، لذلك أقرّت المجامع اللّغوية في العصر الحديث التّعريب وسيلة من وسائل التّنمية ويجب " اتّباع ضوابط السّلامة اللّغوية في أن تكون المفردات المستحدثة على أقيسة كلام العرب ." [2] يطلق على " الكلمات التي أخذتها العربية من اللّغات المجاورة اسم الكلمات المعرّبة ، كما يطلق على عملية الأخذ هذه اسم التّعريب ." [3]

ولكي يكون اللّفظ معرّبا لابدّ أن يستعار من لغة أخرى أجنبية عن العربية بمعنى أن يكون على صفة أخرى هي ما يصطلح عليه بلفظ العجمة و" العجمة " هي كون واضع اللّفظ غير العرب ." [4] لذلك فقد حدّد بعض المحدثين ومنهم على عبد الواحد وافي دلالة المصطلح بقوله : " ويطلق على القسم الأوّل من الدّخيل الأجنبي ، وهو ما استعمله فصحاء العرب اسم المعرّب ، وعلى القسم الثّاني منه وهو ما استعمله المولّدون من ألفاظ أعجميّة لم يعرّبها فصحاء العرب اسم الأعجميّ المولّد ." [5] ويصير المعرّب والدّخيل مظهرا من مظاهر اصطباغ الكلمة الأجنبية بالكلمة العربية ، حيث تلبس الكلمة الأجنبية الصيغة العربية ، فتغدو عربية المظهر لأنّها قيست بقياسها ووزنت بميزانها ، وسارت على نظامها في

---

[1] محمود فهمي حجازي : الأسس اللغوية لعلم المصطلح ، مطبعة غريب القاهرة مصر ، د ت ، د ط ، ص33

[2] محمود فهمي حجازي : الأسس اللغوية لعلم المصطلح ، ص39.

[3] رمضان عبد التواب : فصول في فقه اللغة ، ص358.

[4] ابن كمال باشا : أسرار النحو ، ص88.

[5] علي عبد الواحد وافي : فقه اللغة ، ص153.

التّصريف والاشتقاق والتعريف والتنكير والجمع والنسبة والتصغير وكلّ ما يلحق الكلمات الأصيلة يلحق الكلمة المعربة ، ثمّ ينظر في المعنى إن كان يتّفق مع المعنى المراد، ويوضع اللفظ في ميزان اللّسان العربي ، ليخرج لفظا معرّبا بعد ذلك . لذلك قال الجوهري المعرّب " أن تتفوّه به العرب على منهاجها ." و وضّح السيوطي أمره بالقول :" ما استعملته العرب من الألفاظ لمعان في غير لغتها ." [1] ولهذا فالألفاظ أعجمية الأصل عربية باعتبار الحال الذي هي عليه ، فتدخل الكلمات من لغات الأمم المجاورة على قدر ما يحتاجه أهل العربية ، "بعد أن ينفخوا فيه من روحهم العربية ، ويتلقّفها الشّعراء منهم ، فيدخلونها في أشعارهم و أرجازهم." [2]

هنا يبرز دور القياس الذي هو النّول والميزان ، حيث يؤتى بالكلمة ثم توضع في ميزان العربية حتّى إذا اطمأنّ لها الحسّ وقبلها الذّوق ، وتمثّلت بمثال العربية ، صارت أجنبية الأصل معربة الحال ، من ذلك كلمات اليرندج ، الديابوذ ، إستار ، البستان ،البوصى ، البرجان ، البنفسج التي وردت في أشعار الأعشى والإبريق ، الخوان المرزبان التي وردت في أشعار عدي بن زيد بن بكر [3].

فرانق كسرادق وردت في شعر امرئ القيس وهي لفظ فارسي معرّب قال امرئ القيس :

وإنّي زعيم إن رجعت مملّكا بسيرٍ تُرى منه الفُرانقُ أزورا

. الأردمون بمعنى الملاّحون ذكره زهير بن أبي سلمى أورده ابن دريد في الجمهرة

. السجنجل في قول امرئ القيس :

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل

---

[1] السيوطي : المزهر ، ج1 ، ص 268 .

[2] رمضان عبد التواب : فصول في فقه اللغة ، ص359 .

[3] رمضان عبد التواب : فصول في فقه اللغة ، ص359.

والسجنجل هي المرآة لغة رومية عربتها العرب [1]

أما الأعشى وقد خالط الفرس كثيرا ورد في شعره ألفاظ النّاي ، نرم ، الصّنج ، الأرائك وذلك في قوله : والنّاي نرم وبريط ذي بجّة والصّنج يبكي شجوه أن يوصفا

وفي قوله : بين الرّواق وجانب من سيرها منها وبين أرائك الأنضاد [2]

أمّا ابن أحمر الباهليّ فقد أورد كلمات (الجبر ، رنوناة ، الديدبون ، البابوس ، الربّان ، المأنوسة) وهي بمعاني الملك ، اللهّو ، ولد النّاقة ، أول العيش ، النّار وهي كلمات تناقلها الشّعراء من بعده منهم المعرّي في قوله :

كم قطعنا من جندس ونهار وكأنّ النّهار في ديدبون

أمية بن أبي الصلت ذكر كلمة السّاهور ويريد بها القمر [3] كما يبدو من خلال الأمثلة فالكلمات الأجنبية إذا دخلت العربية وأخذت صيغها ، صارت كلمات معربة .

وإذا كانت الألفاظ هي ما يعرّب ويؤخذ ، فإن ألفاظا كثيرة أحصتها قواميس اللّغة عدّها القدماء معرّبة ، ونعدّها اليوم ثروة تضاف إلى رصيد العربية يحصي الجواليقي في قاموسه

. الجوق : بمعنى الجماعة من النّاس ، [4]

. الجرامقة : بمعنى جيل من النّاس

. الجوسق : فارسي معرب وهو تصغير قصر .

---

[1] الزوزني :أبو عبيد الله بن الحسين، شرح المعلقات السبع ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان بيروت ، ت ط ، 2010 ، ص16.

[2] الزوزني :أبو عبيد الله بن الحسين، شرح المعلقات السبع ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان بيروت ، ت ط ، 2010 ، ، ص 23.

[3] البغدادي : خزانة الأدب ، ج1 ، ص

[4] الجواليقي : المعرب ، ص 94 ، 101.

. الجوز: معروف وهو فارسي معرب

. جلِق : دمشق أعجمي معرب

. جورب: أعجمي معرب

. السِّجّيل : بالفارسية هي سنك وكلْ أي حجارة وطين [1]

. السّلسبيل: هو اسم أعجميّ نكرة أو معرفة ومعناه أنّ الماء سلس منقاد فكأنّ العين سُميت بصفتها .[2]

. السّهر : هو القمر بالسّريانية ويسمّى السّاهور ، وقد يكون منه اشتقاق الفعل سَهِر يسهَرُ ، سهرا ، وسهرة .[3]

. شبّوط : فارسي معرّب وهو من أنواع السمك [4]

. الصّهريج : حياض يجتمع فيها الماء ، وهي فارسي معرّب .[5]

. الطّرز والطّراز : فارسي معرّب قال حسّان شُمُّ الأنوف من الطّراز الأوّل [6]

. الفنَك : أعجميّ معرّب ، وهو جنس من الفراء .[7]

. القُسطاس : أو القِسطاس فارسي معرّب ، هو الميزان .[1]

---

[1] الجواليقي : المعرّب من الكلام الأعجمي ، ص181

[2] نفسه ، ص190.

[3] نفسه ، ص193.

[4] نفسه ، ص207.

[5] نفسه ص215.

[6] نفسه ، ص223.

[7] نفسه ، ص248.

. القيروان : أصله بالفارسية كاروان وعُرِّب ومعناه معظم الجيش والقافلة .[2]

. قابوس : اسم أعجميّ ، هو في الفارسية كاووس عُرّب فوافق العربية وكان النعمان بن المنذر يُكنّى أبا قابوس .[3]

. القَيطون : أعجميّ معرّب ، وهو بيت في جوف بيت .[4]

. القبّان : فارسيّ معرّب ، قيل لو كان عربيا لكان اشتقاقه من القبّ ، والقبيب هو ضرب من الصوت .[5]

. القفل : فارسي معرّب ، وأصله كُوفَل وهو عند أبي هلال عربي من قولنا قفلَ الشيء إذا يبس .[6]

. المَرْج : فارسي معرّب أرض واسعة فيها نبت كثير .[7]

. المِسك : فارسي معرّب وهو الطيب .[8]

. المِقليد : المفتاح فارسي معرّب لغة في الإقليد والجمع مقاليد [9]

. المهندس : هو الذي يُقدّر مجاري حفر القُنى ، فارسي معرّب من الهنداز ، صُيِّرت الزاي سينا لأنّه ليس في كلام العرب زاء بعد دال والاسم هندسة.[1]

---

[1] نفسه ، ص251.

[2] نفسه ، ص254.

[3] الجواليقي : المعرّب من الكلام الأعجمي ، ص259.

[4] الجواليقي : المعرّب ، ص272.

[5] نفسه ، ص275.

[6] نفسه ، ص276.

[7] نفسه ، ص310.

[8] نقسه ، ص324.

[9] نفسه ، ص314.

. الياقوت والياسمين : لفظتان فارسيتان معرّبتان [2]

. النرجس : أعجمي معرب ، ليس له نظير عند القدماء ، وإن جاء بناء على فَعْلِلْ يتحتّم ردّه لأنّه مصنوع وإن بنى مُوَلَّدٌ هذا البناء ، واستعمله في شعر أو كلامٍ فالرّد أولى به .[3]

. النُّسطُورية : هي أمّة من النّصارى يُخالفون بقيتهم ، وهي بالرومية ، نسطورس[4]

. يهود : تعريب ليهوذا بن يعقوب [5]

والملاحظ أنّ عامل الاحتكاك الذي يحدث في حياة اللغات لأسباب متنوّعة ، كفيل بأن يجعل لّغة ما تنتقل إلى لغة أخرى وتكون الكلمة دخيلة ، بينما يكون التّعريب عملية مقصودة لأنّ الحاجة تدفع المستعمل إلى الاقتراض، بعض المعرّب ظلّ يزاحم اللّفظ العربي ، حتّى قذف باللّفظ الأصلي في زوايا النّسيان من ذلك ألفاظ الورد ، النّرجس الياسمين ، المسك ، التوت ، الباذنجان ، الكوسج الهون ، الطّاجن ، الإبريق ، الرّصاص ، الميزاب ، اللّوبياء ، الفالوذج ، كل هذه الكلمات المعرّبة مستعملة ، وقد قضت على مقابلاتها العربية وهي : الحواجم ، العبهر، السّمسق، المشموم ، الفرصاد ، الحدج ، الإثط ، المهراس ، المقلى ، التّامورة ، العين ،الصّرفان .[6]

القدماء لم يفرّقوا بين المعرّب والدّخيل في التّصنيف و" نظروا للاقتراض من زاوية الاحتجاج." [7] بمعنى أنّ قضية التّعريب ينظر لها من زاوية الأصل ، ويكفي أن تكون الكلمة أعجمية ، ولا تهم رتبة العجمة ، بينما اهتمّ المحدثون من علماء العربية بمسألة التّعريب من

---

[1] نفسه ، ص352.

[2] نفسه ، >ص356.

[3] الجواليقي : المعرب ، ص331 ، 332.

[4] نفسه ، ص330.

[5] الجواليقي : المعرّب ، ص657.

[6] الثعالبي : أبو منصور ، فقه اللغة ، ص155.

[7] ممدوح محمد خسارة : علم المصطلح ، ص240.

زوايا عديدة كالجانب الصّوتي ، والصّرفي والبنية ، والمطلوب كيف تُدمج الكلمة في نظام العربية [1] فتضاف إلى ثروتها ، ونادي أحمد فارس الشّدياق1804 . 1887م بضرورة تنقية العربية وتصفيتها من المعرب ، وارتأى أن تظلّ اللّغة نقية من كلّ دخيل فتنمو نموا داخليا وتتكاثر ذاتيا ، ولا تلتمس العربية الثروة من اللغات الأجنبية .

في العصر الحديث ارتأت المجامع فتح باب الاجتهاد ، وأصدرت قرار جواز تعريب الألفاظ قدر الحاجة والضرورة ، وبقيود وشروط يرتئيها المجمعيون، وكان السّجال بين فتح باب التّعريب على مصراعيه ، وبين أن تنتفي ضرورة التّعريب عند حضور الكلمة العربية ، ففتحت المجامع باب الاجتهاد في التّعريب واعتُبر التعريب " وسيلة من وسائل التوليد اللّغوي بعد المجاز والاشتقاق ." [2] كان القرار الذي يجيز استعمال الألفاظ الأعجمية عن العربية ويقدّمها على طريقة العرب في كلامهم بمثابة خطوة إيجابية في حياة العربية الحديثة ، فقد سمحت بفتح باب التعريب وتجاوز لغة الاحتجاج التي وقف القدماء فيها على مشارف البداوة .[3] بيد أنّ الحاضر يأتينا يوميا بمئات المعاني التي لابدّ لها من ألفاظ ومصطلحات تقبض عليها ، دعا عبد القادر المغربي إلى فتح باب التعريب لما فيه من فوائد تثري العربية وتنمّي المعجمية ، بما في ذلك استخدام المصطلحات الأجنبية ،وإدخالها في العربية والإسراع في عملية نقل المفاهيم والمصطلحات العلمية ، لأنّ المهم ليس لفظ المصطلح وإنّما الاستفادة من توظيف مفهومه .[4]

كما أنّ وضع مصطلحات مشتقة من أصول عربية ، مقابل المصطلحات الأجنبية يبقى هو الأصل لغرض القبض على لغة قوية البنية شديدة الإخلاص لأصولها ، لأنّ هذا النّوع من المصطلحات العربية ذات الجذور العربية يمتلك قدرة توليدية ، وحمولة فكرية

---

[1] ممدوح محمد خسارة : علم المصطلح، ص240.

[2] رشاد الحمزاوي : أعمال مجمع اللغة العربية ، ص335.

[3] رشاد الحمزاوي : أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ص336 ، 337.

[4] علي القاسمي : علم المصطلح ، ص 419.

ومفهومية تمكن المتلقّي من إضافات سهلة يسيرة ، وبذلك تتنوّع المنظومة المصطلحية .[1] لذلك ارتأى أنصار التّعريب إجمالا ، أنّ أكبر فائدة تُجنى من اقتراض الألفاظ وتعريبها هو إثراء اللّغة وتوسيع مفاهيمها ، بالقبض على مفاهيم جديدة ، تستجيب لحاجات التعبير الجديد ، كما أنّ الألفاظ المعربة عن اللغات الأجنبية لا تضر ببنية اللّغة ، وفائدة التعريب تتمثّل في إشاعة المصطلحات العلمية والفنية بين النّاطقين بالعربية ، فيتحاشى المتحدّثون غرابة اللسان .

المبحث الخامس:

التعريب ملمح المعاجم العربية المعاصرة معجم الدخيل نموذجا

يعاني المصطلح العربي المعاصر من تخلّف محسوس ، مردّه التخلّف الحضاري الذي تعيشه الشعوب العربية ، وما المصطلح العلمي إلاّ واجهة تُظهر حال التخلف الذي تعيشه الشعوب العربية في شتّى مجالات الحياة . يتعلق التعريب بكلّ ما تنتجه الحضارة الحديثة وتضع له المصطلحات في لغاته الأصلية ، ثم تحتاج العربية إلى نقله إليها ، وذلك في كلّ مصطلحات العلوم الإنسانية ، والزراعة ، والأحياء ، والعلوم الهندسية ، والتقنية ، والعلوم الطّبية ..[2] ، وقد أُطلق مصطلح ألفاظ الحضارة على ما يُنتج من مصطلحات في هذا السياق .*

شكّل المصطلح العلمي في الثقافة العربية الحديثة جزءا من قضية مفصلية بالنسبة للغة العربية ، حيث اختلف المجتهدون في الكيفية التي يجب أن يكون عليها المصطلح العلمي

---

[1] علي القاسمي : علم المصطلح ، ص419.

[2] أحمد مختار عمر : صناعة المعجمات ، ص82.

*تعاني الشعوب العربية تخلفا في شتّى مجالات الحياة ، وبما أنّها غير منتجة للحضارة وهي مستهلكة بالأساس ، تكون اللغة العربية مثالا حيا وصورة عاكسة للمجتمع ، فهي لا تنتج المصطلح العربي بل تقترض الأجنبي ، والمصطلح لا يستهلك كما هو ، بل يدخل في نظام العربية ، وذلك في جميع التخصّصات .

،وكيفية التعريب في مستواه العام ، ومع ذلك فهناك محاولات كثيرة تسعى في تقديم المدد للغة العربية ، وتحاول أن تسعفها بكم من المصطلحات التي يتمّ اقتراضتها من اللغات الأجنبية ، ثمّ يتم إخضاع الكلمة لمقاييس العربية ، فتصير الكلمة دخيلة إلى العربية معرّبة ، وما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ، ومعروف أنّ الاقتراض من شأنه أن يسدّ النقص في كثير من الأحيان ، وهو عامل نموّ في كثير من اللغات " لم تشذّ اللغة العربية عن مثيلاتها ، فأخذت وأعطت ؛ غير أنّها زهدت في الأخذ وأجزلت في العطاء "[1] ، واليوم نجد أنّ معظم ما يدخل العربية المعاصرة من اللغات الأوروبية وأوّلها الإنكليزية لغة العلوم ، والفرنسية والإسبانية ، تتبعها لغات أخرى في ما يلي نماذج من المصطلحات التي أخضعتها العربية بمقاييسها وقبلتها الأذن العربية ، فأفادت منها وجرت بين كلماتها وأدّت معها آداء كبيرا.

. **أدرينالين** : إنكليزي adrenalin ، هرمون الغدة الكظرية [2]

. **أرخبيل** : يوناني arcipelago ، مجموعة جزر متقاربة و هو في الأصل اسم بحر إيجة ، ثم أُطلق على كلّ بحر كثرت جُزُرُه .[3]

. **أُرغُن** : يوناني organnon ، اسم آلة موسيقية والجمع أراغن والأصل أداة من أدوات العمل [4]

. **أنتيمون** : لاتيني antimonium، وهو الإثمد وهي عند فقهاء اللغات الأوربية مأخوذة

[1] فانيا مبادي عبد الرّحيم : معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها ، دار القلم ، دمشق ، سورية ، ط1 ، ت ط 2011 م ، ص7 .

[2] ف عبد الرّحيم ، معجم الدخيل في اللغة العربية ولهجاتها ، ص22

[3] نفسه ص23.

[4] نفسه ، ص24.

من العربية . [1]

. **أنشوجة** : إيطالية برتغالية acciuga ، والصيغة المعرّبة تزاوج بين اللغتين [2]

. **أيقونة** : إنكليزي icon ، العلامة أو الرمز [3]

. **إيمَيل** : إنكليزي e mail ، وهو البريد والرسالة الإلكترونية ومنه يُشتق أيْمل يُأَيمِلُ و رسالة مؤيملة ، واقترح له عبد الرحيم صاحب المعجم مصطلح **العُلوان** وهي لغة في عنوان ، وتكون لام علوان دالّة على إلكتروني . [4]

. **باثولوجية** : يوناني ، إنكليزي pathology ، علم الأمراض أسبابها وأعراضها [5]

. **باقدير** : فارسية وهو بادكير ومعناه آخذ الهواء في المطبخ وهو مقلوب بادقير [6]

. **برتقال** : تركي portakal، فاكهة من الحمضيات [7]

. **بلوتوث** : إنكليزي BLUETOOTH ، وهو تكنولوجيا حاسوبية تمكّن من نقل المعلومات من جهاز إلى آخر . [8]

. **بوصلة**: تركي pusula ، بالفرنسية boussole جهازالإبرة المغناطيسية لتحديد الاتجاه [9]

---

[1] نفسه ، ص38 .

[2] السابق ، ص40 .

[3] ف عبد الرّحيم ، معجم الدخيل في اللغة العربية ولهجاتها ، ص45.

[4] نفسه ، ص45.

[5] نفسه ، ص47.

[6] نفسه ، ص49 .

[7] نفسه ، ص52 .

[8] نفسه ، ص64.

[9] نفسه ، ص71.

. **البنج** :فارسي أصله بنكي ،وفي السنسكريتية bhanga هو نبت له حب يُخلط بالعقل ويورث الخبال والسبات يُستعمل في الطب للتخدير .[1]

. **ترفاس** : إسباني trufas وهو جمع trufa وبالفرنسية truffe وهو جنس برّي من الفطور يُطلق على معظم أنواع الكمأة [2]

تِلِغراف : إنكليزي telegraph وهو جهاز إرسال البرقية .[3]

. **تيتانوس** : يوناني tetanos وهو جرثومة يُسبّبها مرض الكزاز [4]

. **توليب** : tulipe في الفرنسية و tulipفي الإنكليزية جنس زهر معمر بصلي من الفصيلة الزنبقية غني بألوانه المختلفة [5]

. **جالون** : فرنسي gallon ، وهو مقياس للسوائل يساوي أربعة لترات ونصف .[6]

. **خارطة** : تركي harita، وهو مصوّر جغرافي أو سياسي وفيه خريطة .[7]

. **خرسانة** : تركي horasan، وهو نوع من مواد البناء مؤلّف من دقائق القرميد ، والجير ، وهو منسوب إلى خراسان

. **خرطوش** : تركي hartuc ، وهو حشو السلاح الناري [8]

---

[1] السابق ، ص65 ، 66

[2] ف عبد الرّحيم ، معجم الدخيل في اللغة العربية ولهجاتها ص79 ، 80 .

[3] نفسه ، ص83

[4] معجم الدخيل ، ص88 .

[5] نفسه ، ص87.

[6] نفسه ، ص89 .

[7] نفسه ، ص99 .

[8] نفسه ، ص100.

. **دفتيريا** إنكليزي diphtheria مرض معد يُصيب الأطفال دون العاشرة وسمّي كذلك لأنّ غشاء من الجلد يُغطّي الحلق[1]

. **روبوت** : إنكليزي robot ، هو الإنسان الآلي وضع لها الهندي ف عبد الرّحيم كلمة **الإنسالة** منحوتة من " إنس وآلة " وهي قابلة للاشتقاق أنسل ، يُؤنسل ، أنسلة [2]

. **شتلة** : سرياني شتل ومعناه غرس وهو نقل النبتة من منبتها إلى مغرسها [3]

. **صودا** : إنكليزي soda ، وفي اللاّتينية sodanum ، بمعنى الحرض وهي مأخوذة من صُداع العربية ، سُمّي بهذا الاسم لكونها علاجا للصُداع ، وهو مركّب من الأكسجين والصوديوم [4]

. **طاولة** : هي في اللاّتينية tabula، وفي الفرنسية table ، وهي المنضدة [5]

. **غرام** : فرنسي gramme ، مئلاف الكيلوغرام وهو وزن سنتيمتر مكعب من الماء [6]

. **غنّوصية** : يوناني gnosis ، أصل معناه الحكمة والعلم ، وهي نزعة فكرية ترمي إلى مزج الفلسفة بالدين تطلق خاصّة على جماعة من المفكّرين في ق الأول والثاني للميلاد [7]

. **فراولة** : إيطالي fragola بفتح الفاء وسكون الواو ، وهو توت إفرنجي [8]

. **فرملة** : لاتينية frenum وهي بفتح الفاء والميم مأخوذ من frein الفرنسي ومعناها في

---

[1] نفسه ، ص105 .

[2] ف عبد الرّحيم ، معجم الدخيل في اللغة العربية ولهجاتها ،ص 113 ..

[3] نفسه ، ص133

[4] نفسه ، ص139.

[5] نفسه ، ص142.

[6] نفسه ، 147 .

[7] نفسه ، ص148

[8] نفسه ، ص153.

الأصل اللجام والشكيمة ، جهاز في السيارة يعمل على الإيقاف وإنقاص السرعة ، وفي التركية فرنلمة اللاحقة التركية " لمة " لتحويل الاسم إلى فعل ، في تعريب هذه الكلمة تمت عملية حذف النون للتخفيف ، ثم عملية قلب مكاني بين اللام والميم فنقول فرملة.[1]

. قبطان : من اللغات الأوروبية في الفرنسية captaine، وفي اللاتينية capitaneus ، بمعنى الرئيس ، مشتق من caput بمعنى الرأس .[2]

. كبسولة : في الفرنسيةcapsule ومنها دخلت الإنكليزية والإيطالية ، وهي وعاء هلامي للدواء ، وهو جزء من المركبة الفضائية المخصص للرواد أو الأجهزة ينفصل عند الحاجة .[3]

. كروموزوم : يوناني الأصل مركب من chroma بمعنى اللون ، و soma بمعنى الجسم ، وهو تركيب خيطي يظهر عند انقسام الخلية انقساما غير مباشر .[4]

. لغم : يونانية lagumi ، وله ثلاثة معان النفق ، مجاري الصرف الصحّي ، الوعاء المتفجّريُجمع في العربية على ألغام.[5]

. لِمفي: لِمفاوي إنكليزي lymph ، وأصل معناه محرف من nymphe في اليونانية .[6]

. لَيزَر بفتح اللام والزّاي : إنكليزي منحوت laser ، هو حزمة ضوئية رقيقة مركّزة الطاقة تستخدم الأشعة فيه في الاتّصالات ، والطب ، والصناعة ، والعمليات العسكرية والبحث العلمي ، صالح للاشتقاق ليْزَرَ على وزن فَعْلَلَ ، ليزرة .[7]

---

[1] نفسه ، ص155.

[2] ف عبد الرّحيم ، معجم الدخيل في اللغة العربية ولهجاتها ، ص163.

[3] نفسه ، ص177.

[4] نفسه ، ص178.

[5] نفسه ، ص191.

[6] نفسه ، ص192.

[7] نفسه ، ص194.

ـ مازوت : إنكليزي mazut ، سائل غليظ قابل للاشتعال وهو من مخلّفات البترول .[1]

ـ مناورة : لاتيني الأصل مركب من manu أي باليد ، و opera أي العمل ، دخل العربية عن طريق التركية manevra وأصل معناه حركة تنفّذ بدقة وإتقان ، وهي حرب وهمية ، ودسيسة سياسية ذات طابع عسكري ، صالحة للاشتقاق ناور ، يناور ، مناورة .[2]

ـ مودم : إنكليزي منحوت modem ، جهاز يصل حاسوبا بآخر عن طريق سلك الهاتف ، يقترح له ف عبد الرحيم مصطلح المُوضِم بضم الميم وكسر الضاد ، و" ضم " في العربية بمعنى حلّ عليهم ، فالموضم يجعل المعلومات المخزّنة في الحاسوب تحلّ على حاسوب آخر .[3]

ـ نرجسية : يوناني narkissos ، وفي الإنكليزية narcissism ، وهو ضرب من الرياحين ذكرها الجواليقي ، وفي معناها الحديث في علم النفس إعجاب المرء بنفسه .[4]

ـ نتروجين : فرنسي nitrogene هو العنصر الغالب في تركيب الهواء وهو معروف بالآزوت [5] وتماثلها كلمات معربة كثيرة منها الهيدروجين ، الهيموجلوبين ، الهيرودين ، ..

ـ هستيريا : إنكليزي hysteria، اضطراب عصبي يسبب نوبات عنيفة من الضحك والبكاء أو ضروبا من الأوهام ومنه مُهستر [6]

ـ ورشة : إنكليزي من workshop ، وهو محل لتصليح السيارات والخراطة ومختلف الحرف ، ويطلق اللفظ على الورشة التكوينية بمختلف صيغها .[1]

---

[1] نفسه ، ص196.

[2] ف عبد الرّحيم ، معجم الدخيل في اللغة العربية ولهجاتها ، ص207.

[3] نفسه ، ص204.

[4] نفسه ، ص210.

[5] نفسه ، ص210

[6] نفسه ، ص216.

لكن الذي تطمئنّ إليه ألسنة النّاطقين ومن يستشعرون سلامة اللغة ، ولا يقبلوا بمفرداتها حتّى تتلاءم مع أذواقهم ، هو أنّ ما جاء مولّدا "على أسلوب القياس العربي ، فهو عربي مبين وهو عمدة الصنّاع والمؤلّفين ، والمترجمين وواضعي العلوم ، ومنه ومن العربي الأصيل تكوّن اللّسان العربي الفصيح ، لسان القراءة والكتابة والإدارة ." [2]

المبحث السادس : آلية التضمين

كانت عملية إحياء القياس وبعثه من جديد ، وثبة جديدة في حياة العربية الحديثة وكان مع أقوى القرارات التي اتّخذتها المجامع اللغوية الحديثة حينئذ ، قرار التضمين الذي يّعدّ بعثا فعليا لحركة القياس ، فالتضمين هو " أن يؤدّي فعل أو ما في معناه مُؤدّى فعل آخر أو ما في معناه فيُعطى حكمه في التعدية واللّزوم ." [3] وفي ذلك توسيع للمعاني تحت ضرورة مراعاة الغرض البلاغي ، لذلك ارتأى مجمع اللغة قياسية التضمين بشروط ثلاثة وهي :

. تحقّق المناسبة بين الفعلين ،

. وجود قرينة تدلّ على ملاحظة الفعل الآخر يُؤمن معها اللّبس،

. ملاءمة التضمين للذوق العربي .[4]

قدّم المجمع في ذلك أمثلة كثيرة عُدّت من قبيل الثروة في مجال دلالات الألفاظ منها توسيع دلالات بعض الكلمات الواردة في القرآن الكريم من أمثلة ذلك .

. في قوله تعالى : (**وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوْا إِنّاَ مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**)[1] تمّ تضمين الفعل خلا معنى الفعل انتهى .

---

[1] نفسه ، ص221.

[2] عبد العال سالم مكرم : التعريب في التراث اللغوي العربي ، ص63.

[3] سعيد الأفغاني : في أصول النحو ، ص120.

[4] سعيد الآفغاني ، لفي أصول النحو ، ص120.

. في قوله تعالى: (**اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**)[2] تضمّن الفعل يمدُّ معنى الفعل يزيد .

. في قوله تعالى : (**وَاللَّهُ يَعْلَمُ المُفْسِدَ مِنَ المُصْلِحِ**)[3] تضمّن الفعل يعلمُ معنى الفعل يميّزُ

. في قوله تعالى : (**وَلْتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**)[4] تضمّن الفعل لتكبُروا معنى الفعل لتحمدوا

. في قوله تعالى:(**فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ**)[5] تضمّن الفعل أمات معنى الفعل ألبث

. في قوله تعالى : (**لاَ تَتَّخِذُوْا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً**)[6] تضمّن الفعل يألونكم معنى الفعل يمنعونكم .

. في قوله تعالى : (**وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوه**)[7] تضمّن الفعل يُكفروه معنى الفعل يُحرموه .

. في قوله تعالى : (**وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ**) [8] تضمّن الفعل تأكلوا معنى الفعل تضمّوا .

. في قوله تعالى : (**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الكِتَابِ**)[1] تضمن الفعل ترى معنى الفعل تنتهي .[2]

---

[1] سورة البقرة ، الآية 14 .

[2] سورة البقرة ، الآية 15.

[3] سورة البقرة ، الآية 220 .

[4] سورة البقرة ، الآية 185.

[5] سورة البقرة ، الآية 259.

[6] سورة آل عمران ، الآية 118.

[7] سورة آل عمران ، الآية 115.

[8] سورة النساء ، الآية 2.

. في قوله تعالى : (**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَو الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ**) [3] تضمّن الفعل أذاعوا معنى الفعل تحدّثوا .

. في قوله تعالى : (**وَماَ نَحْنُ بِتارِكِي آلِهَتَنَاَ عَنْ قَوْلِكَ**) [4] تضمّن الفعل تارك معنى الفعل صادر .

في قوله تعالى : (**وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ**) [5] تضمّن الفعل عتوا معنى الفعل انحرفوا .

في قوله تعالى : (**أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا**)[6] تضمّن الفعل يهدِ معنى الفعل يتّضح .

في قوله تعالى : (**حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لاَّ أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الحَقّ**) [7] تضمن الفعل حقيق معنى الفعل حريص .

في قوله تعالى : (**يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا مَالَكُمْ إِذاَ قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ**)[8] تضمّن الفعل اثّاقلتم معنى الفعل أخلدتُم .

في قوله تعالى :(**مَا كاَنَ لِأَهْلِ المَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلاَ يَرْغَبُوا بأنفُسِهِمُ عَنْ نَفْسِهِ**) [9] تضمن الفعل يرغبوا معنى الفعل يبخلوا .

---

[1] سورة آل عمران ، الآية 23.

[2] سعيد الأفغاني : في أصول النحو ، ص 121.

[3] سورة النساء ، الآية 83.

[4] سورة هود ، الآية 53.

[5] سورة الأعراف ، الآية 77.

[6] سورة الأعراف ، الآية 100.

[7] سورة الأعراف الآية 105

[8] سورة التوبة ، الآية38.

[9] سورة التوبة ، الآية120.

في قوله تعالى: (**وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدتُّهُمْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ)** [1] تضمّن الفعل ينصر معنى الفعل يجير.

في قوله تعالى : **(وَلاَ تُخاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ)** [2] تضمّن الفعل تُخاطب معنى الفعل تُراجع . [3]

المبحث السابع : الارتجال هل هو من معالم شجاعة العربيّ ؟

إذا تجاوزنا الكلام في إشكالية أصل اللغة بين الوضع والإلهام ؛ فإنّ ما وصلنا من ألفاظ العربية لم يخرج عن طرائق ثلاث الوضع ، أو الاشتقاق ، أو أن يكون مرتجلا ،وهذه الطرق الثلاثة تشبه أدوار الخلقة الكاملة في الكائن الحيّ ، التي هي التركيب ،والقوة والجمال . عرّف ماريو باي الوضع بقوله " الوضع ومعناه خلق كلمة من الهواء والتكلّم بها ويتم ذلك عادة على يد الأشخاص المشهورين الذين يُصادف ابتكارهم قبولا." [4] وهو تعريف لا يتنافى مع مفهوم الارتجال . في اللغة العربية تمّ وضع جميع التقاليب في بداية عهدها ، ولم يبق شيء على ما وضعوه لتقليبهم صور التراكيب على كلّ ما أمكن استعماله ، ولم يتخلف عنه إلاّ المعيف المأبيُّ الذي يتنافى مع فطرتهم اللّغوية ،كالذي يتعتع به اللّسان ، وينفر منه الذوق ، ويُعزي الرافعي الارتجال إلى طفولة اللّغة ووضعها الأوّل ، فالقدماء كانوا يتصرّفون في لغتهم التي يتداولونها ، ويرتجلون ألفاظا قليلة ليست فيها قبل ذاك العهد ، ولاهي مأخوذة بالاشتقاق ،[5] وإن كان الأمر كذلك فهو ارتجال حقيقي ، هذا ما حدث في الصدر الأول من حياة اللغة العربية ، لكن هل يمكن للعربي المعاصر أن يرتجل اللغة ، فيحدث فيها ألفاظا لم يتكلم بها العرب من قبلُ ؟ ذلك هو السؤال الصعب

---

[1] سورة هود الآية 30.

[2] سورة هود ، الآية 37.

[3] سعيد الأفغاني : في أصول النحو ، ص122.

[4] ماريو باي : أسس علم اللغة ، ص 155 ، 156 .

[5] الرافعي: تاريخ آداب العرب ، ص147.

الذي تطرحه **فكرة ارتجال اللغة عند المحدثين** ، فمن قائل بأنّ الارتجال وسيلة من وسائل التنمية ، ومن رافض لها على اعتبار أنّ الارتجال هو خلق أوّل أو خلق من العدم ، أو خلق من الهواء ، والعربية قد انتهى وضعها الأوّل ، ولا مجال للمتأخرين لإحداث الجديد ، ومن منكر للفكرة على اعتبار أنّ ما عُدّ ارتجالا ، ليس إلاّ من قبيل التنمية بطرق اللغة الأخرى كالاشتقاق والتوليد ، وظلّت فكرة ارتجال اللغة تتوارد على أذهان مستعمليها ، وظلّ مصطلح الارتجال موجود في بعده النظريّ ، لكنّ الفكرة في جانبها التطبيقي فكرة مستنكرة على الدوام ، قال ابن جنّي في ما قد يرد على العربي من لفظ مخالفٍ لما عليه الجمهور أنّه يُسأل : " من أين ذلك له ، وليس مسوَّغا أن يرتجل لغة لنفسه ؟ "[1] دلّ هذا القول الاستنكاري ، على رفض فكرة ارتجال اللغة عند القدماء .

ومع ذلك فإنّ مصطلح الارتجال قد ظهر مع أولى بدايات التنمية اللغوية التي تقيّدت بأزمنة محدّدة ، هي ما سمّي بعصور الفصاحة وحركة تدوين اللغة ، وكان ذلك مع رؤبة وأبوه العجاج الراجزان ، اللّذان ورد أنّهما أبدعا ألفاظا جديدة لم تُسمع ممّن تُرضى عربيته ، فقد حاولا ارتجال ألفاظ في اللغة ، ورفادتها بكلمات جديدة لم تُسمع من *العرب الخلّص* ، *فقد "كان رؤبة* بصيرا باللغة قيّما بحوشيّها ، وغريبها "[2] وهو قبل ذلك من الفصحاء الذين أُخذت عنهم اللغة ، حدث ذلك في سياق ظروف تاريخية واجتماعية وثقافية معينة أمّا الظروف التاريخية والثقافية فيقصد بها حاجة العربية للجمع والتدوين ،لأنها أداة الرسالة ، وهي لغة النهضة في العلوم كلّها ، أمّا الظروف الاجتماعية فيقصد بها حركة التداخل الاجتماعي ، وظهور اللحن وفساد اللغة ، فكان رؤبة ممّن تؤخذ عنهم اللغة وقد أصبح "جلّ همّه أن يكون معينا لهؤلاء ، يمدّهم بغريب اللغة وآبدها ، ولذلك لم يكن غريبا أن يلجأ إلى

---

[1] ابن جني : الخصائص ، ص301.

[2] عمر عبد المعطي أبو العينين : اللّغة في أراجيرز رؤبة بن العجاج ، دراسة وفية تطبيقية ، مط منشأة المعارف ، الاسكندرية ، مصر ، دط ، د ت ، ص13.

اشتقاقات مبتدعة لم يكن لهم بها عهد من قبلُ "[1] والدافع إلى ذلك هو الحاجة المتبادلة فجمّاع اللغة في حاجة إلى المزيد والجديد من الألفاظ ، ورؤبة راجز مبدعُ ، ومُتكسّب ، دفعته الحاجة إلى التكسب بشعره وكلامه ، وقد حُكِي عن رؤبة وأبيه أنّهما " كانا يرتجلان ألفاظا لم يسمعاها ولا سُبقا إليها "[2] فقد ورد عن الأصمعي قوله : " قال لي الخليل : أنشدنا رجل ترافع العزّ بنا فارفنعا فقلت: هذا لا يكون ، فقال : كيف جاز للعجّاج أن يقول : تقاعس العزّ بنا فاقعنسسا ."[3] حدث ذاك في سياق تجاوز المسموع ممّا تمّ تدوينه إلى محاولات الإبداع ، التي أورد منها رؤبة ألفاظا كثيرة نذكر منها :

. **أيْهات** بمعنى هيهات فقد وقع فيها تحقيق الهمز

. **حفشتُ وهبَشْتُ** جمعت والجمع أحابيش، والتحفيش مثل تحفيش الدجاجة على بيضها [4]

. **أغماؤه** تحقيق الهمز

. **آريتَ آمُلُ** تسهيل الهمز

. **التّأريش** من التهريش وفيه إبدال الهمز [5]

. **لَجح** مقلوبة من لحج ، " أراد اللّحج فقلب لتقارب مخرجي اللاّم والجيم بما يحقّق بينهما تجانسا صوتيا يؤدّي إلى السهولة ."[6]

---

[1] عمر عبد المعطي أبو العينين : اللغة في أراجيز رؤبة ، ص61،62.

[2] ابن جنّي : الخصائص ، ص323.

[3] ابن جنّي : الخصائص ، ص285.

[4] عمر عبد المعطي : اللغة في أراجيز رؤبة بن العجّاج ، ص113..

[5] نفسه ، ص114.

[6] نفسه ، ص181.

. **المسماس** من كلمة سمسام" قلب رؤبة سمسام إلى مسماس فبدأ على هذه الحال بصوت شفوي ثم صوت أسناني لثوي على سبيل التيسير ."[1]

. **طُسّمه** ورد في أراجيزه ذكر كلمة طسم " قلب طمس إلى طسم حتّى لا يفصل بين الطاء والسين ، وهما متقاربان بالمخرج "[2]

. **دِقمٌ** من دَمِقَ وقد قارب بين القاف والدال دون الفصل بينهما رغبة في السهولة واليسر.

. **مشفن** يقال مَشْفَن ومِشْفَنٌ وهو البغض وإنّما مَشْنِفٌ فقلب ."[3]

امتلك رؤبة الجرأة والشجاعة ، وباشر بعملية وضع ألفاظ جديدة جمعها مدوّنو اللغة منه ، وقد أحدثت كلّ تلك التجاوزات في ألفاظ العرب المألوفة إلى ذلك الزمن ، ويظهر لنا حرصه وسعيه " لإمداد اللغويين المعاصرين له بكلّ ما كانوا يلحّون في طلبه من غريب أو شاذّ وصور لغوية غير مألوفة ." [4] وفي سبيل ذلك لم يتردّد في الارتجال في عمليات القلب وتحقيق الهمز والتسهيل وغيرها من الإمكانيات التي تسمح بها اللغة ، عندها شاع مصطلح الارتجال وارتبط به ، فقيلت العبارة المشهورة " كيف جاز لرؤبة أن يقول : تقاعس العزّ بنا فاقعنسسا . "[5]

والشيء نفسه مع ابن أحمر الباهلي الذي روى له الأصمعي كلمات لم تُسمع من قبلُ ،وقد يكون سمعها هو وحده من القدماء ، أو أن يكون قد ارتجلها " فإنّ الأعرابي إذا قويت

---

[1] عمر عبد المعطي : اللغة في أراجيز رؤبة ، ص181.

[2] عمر عبد المعطي : اللغة في أراجيز رؤبة ، ص180.

[3] نفسه ، ص184.

[4] نفسه ، ص137.

[5] ابن جنّي : الخصائص ، ص285.

فصاحته ، وسمت طبيعته تصرّف وارتجل ما لم يسبقه أحد قبله قال السيوطي وربّما خرجت بهم فصاحتهم إلى أن يهمز ما ليس بمهموز كما حدث مع رؤبة .

قال الخليل : أمّا ضَهْيَد وهو الرجل الصلب ، فمصنوع لم يأتِ في الكلام الفصيح ، وقالوا عَنْشَج وهو الرجل المتقبّض الوجه السيء المنظر مصنوع " وأورد ابن دريد عَيْدشون دويبة وليس بثبتٍ وصيدخون على وزن فيعلول قالوا الصلابة ولا أعرفها وقد ورد في ذلك الكثير رغبة في الظهور بمعرفة ما لم يعرفه أحد من العلماء [1]

أورد صاحب الارتشاف في صيغة "فَعْيَلْ " "ضَهْيَد " و"عَيْثَرْ " اسم جبل وقيل الصلب ،فمصنوع لم يأت في الكلام وقال ابن جنُي هما مصنوعان [2] وكذلك عقشج للثقيل الوخم "[3] أمّا النحاة إجمالا فيرد مصطلح الارتجال عندهم مقترنا بذكر العلم ، والأعلام كلّها منقولة عند سيبويه ، مرتجلة عند الزجاج .[4] ويذهب قدامة بن جعفر إلى أنّ الاختراع أمر مباح وأنّه لمّا دفعته الحاجة إليه فَعَلَ ، وقد فتح بذلك باب الاختراع بقوله :" ومع ما قدّمته فإنّي لمّا كنت آخذا في معنى لم يسبق إليه من يضع لمعانيه وفنونه المستنبطة أسماء تدلّ عليها احتجت أن أضع لما يظهر من ذلك أسماء اخترعتها وقد فعلت ذلك . والأسماء لا منازعة فيها إذ كانت علامات فإن قنع بما وضعته من هذه الأسماء ، وإلاّ فليخترع كلٌّ من أبى ما وضعته منها ما أحبّ فليس يُنازع في ذلك ." [5] لقد فتح قدامة باب الاختراع في الأسماء ، لكن ابن جنّي الذي رغّب في القياس كثيرا ، وتحدّث عن إمكان إحداث اشتقاقات قياسية كثيرة ، ورد ذكر الارتجال في أعقابها ، وقول أبوعلي الفارسي في حواره مع ابن جنّي حول ارتجال للغة يمكن القول ب : " خرجج " "ضربب" ، "ودخلل" ، وقولك : " مررت برجل

[1] أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ص586.

[2] ابو حيّان :ارتشاف الضرب ، ص62.

[3] إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة ، ص84.

[4] إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة ، ص82.

[5] قدامة بن جعفر: أبو الفرج ، نقد الشعر ، مطبعة الجوائب القسطنطينية ، ط1 ت ط 1302هـ ، ص

ضربب و كرمم ، فرد عليه ابن جنّي : " أفترتجل اللغة ارتجالا ، ؟ قال : ليس بارتجال ، لكنّه مقيس على كلامهم فهو إذا من كلامهم . قال: ألا ترى أنّك تقول: طاب الخُشْكُنَانُ ، فتجعله من كلام العرب ، وإن لم تكن العرب تكلّمت به هكذا، قال : فبرفعك إيّاه كرفعها صار بذلك محمولا على كلامها ، ومنسوبا إلى لغتها . "[1] كما يقدّم ابن جنّي كلمات في سياق الحديث في أبنية التصريف منها مجموعة كلمات تكرّر ذكرها في الخصائص منها :

. ضرَبْرَبْ ، قتلْتَلْ ، دَخَلْخَلْ ، شَرَبْرَبْ على بناء صَمَحْمَحْ

. جَعَفْرَرْ و صَقَعْبَبْ ، ثَرَتْمِمْ ، وزَبَرْجَجِ على بناء سَفَرْجَل فإذا قال لك السائل بأيّ لغة هذا الحديث لن تجد بدّا من القول أنّها العربية وإن كانت العرب لم تنطق بواحد من هذه الحروف ."[2] يقوم ابن جني بعملية اشتقاق واضحة ، ولكنّه يخرج فيها عن المعتاد الذي تعوّده العرب فمن الجذور يأخذ الجذر" خرج ، ضرب ، دخل ، أكل ، شرب " هي أفعال من جذور معروفة الاستعمال ، ومن الوزن أو الصيغة يأخذ " فَعَلْعَلْ " ويقوم بعملية بناء جديدة والنّاتج هو ما تقدّم ذكره من كلمات ، لكنّ ذلك البناء لم يكتب له النجاح لأنّه لم يعرف الشّيوع والذّيوع عند المستعمل، وهو أمر مهم تحتاج له اللغة ،و كما استنكر القدماء تلك الأبنية ، يستنكرها المستعمل العربي حديثا ، والنص يظهر لنا تمادي ابن جنّي في الدّفاع عن فكرة القياس واعتقاده بإمكانية بناء كلمات جديدة على قياس ما قاله العرب قبلهم *، لم يلقَ مجالا للتطبيق ولا حتّى شيوع تلك الكلمات التي قالها ابن جنّي ذاتها ، ثم إنّ

[1] ابن جني : الخصائص ، ص283.

[2] ابن جنّي : الخصائص ، ص284.

* سبق ذكر هذه الأمثلة في الفصل الأول عاى أساس أنّها من القياس *

ورود مصطلح الارتجال في هذه السياقات كلّها ، يجعلنا نتساءل مرة أخرى عن حقيقة الارتجال وعلاقته بالقياس ؟

لذلك فإنّ ما عدّه القدماء من قبيل الارتجال هو عند المحدثين من عمل القياس ، وبذلك يتساءل إبراهيم أنيس عن التناقض الذي وقع فيه ابن جنّي حين استنكر الارتجال على أبي علي الفارسي من ناحية ، وأشاد بفصاحة العربي وتصرّفه وارتجاله في أمور اللغة من ناحية أخرى ؟ فهل كان الارتجال اختراعا من العدم ، أم هو ذلك الاشتقاق الذي تمّ قياسه على شيء معهود من كلام العرب ؟ ويضع المفارقة الكاملة بين ما هو "غريب حوشي " كالذي في أرجاز رؤبة الذي لم يُظفر له بما يُعدّ ارتجالا حقيقيا ، وبين ما هو مخترع مرتجل[1] ثمّ يعزي تلك الكلمات الغريبة في شعر ابن أحمر إلى التعريب * ويسمو بالارتجال ويجعله مساوٍ لعملية " الاختراع كأن ينطق المتكلّم بكلمة جديدة في معناها أو جديدة في صورتها فلا تمتّ لمواد اللغة بصلة ، أولا تُناظِر صيغة من صيغها "[2] فالارتجال هو خلق جديد ، ووضع جديد وإن استطاعت بعض اللّغات أن تُفيد من فكرة الارتجال لما دخل تلك اللغات من كلمات بتلك الطريقة ، فلا شكّ أنّ العربية تنأى ببعض مواصفاتها الفردية ، منها أنّ فكرة الارتجال قد تعصف بالمعاني المركزية التي تقوم عليها الجذور العربية وكذا الاشتقاق الذي تولّد منها ، وكلّ ما ألّفه علماء اللغة في هذا السياق .

والمؤكد بعد هذا أنّ بعض الكلمات " قد اخترعت اختراعا وارتجلت ارتجالا ،وأصبحت مألوفة في محيطها الضيّق زمنا ما ، تفنى بعده وهو الغالب " [3] تجدر الإشارة أخيرا إلى أنّ **الارتجال من أوهن طرق التنمية اللغوية** ، وأتفهها بسبب انعدام عطائه عند المحدثين ، وكأنّ الارتجال يرتبط بفترة تاريخية محددة هي فترة طفولة اللغة ، ويمكن لنا أن نقف في

* تم ذكر بعض الألفاظ في باب التعريب

[2] إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة ، ص80.

[3] إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة ، ص89.

حديث الارتجال على رؤية الرّافعي ، الذي عزا الارتجال لطفولة اللّغة عهد تركيبها الأوّل ، وهي مرحلة مضت وانقضت " لأنّ تاريخ الشباب كلّه . شباب اللّغة . لا يقع فيه يوم واحد من عهد الطفولة ."[1] هذه الطفولة ليست على عهد جمع اللغة وتدوينها ، لأنّنا لم نقبض في هذه الفترة إلاّ على كلمات قليلة ارتجلها بعض الذين ورد ذكرهم ،ومع ذلك فهي محلّ نزاع ، أمّا عهد الطفولة المقصودة فهي فترة سابقة لا نعرف مداها في القدم ، مثلما أنّنا لا نعرف تاريخ ولادة اللغة العربية ذاتها . و ما ينقص الارتجال في العصر الحديث هو الارتجال نفسه ، لكن من طرف المجامع والهيئات الوصية ، أو أن يتم التعامل معه معاملة فعّالة وجريئة ، كتلك المبادرة التي قام بها المجمعيون في قضية توسيع القياس مطلع النهضة العربية الحديثة .

المبحث الثامن : آلية النحت بين الضرورة والغموض

لم يكن النحت في السابق وسيلة ثرّة من وسائل توليد الثروة اللغوية في العربية ، لأسباب كثيرة أبرزها أنّ العربية لغة اشتقاقية في المقام الأوّل ، وغناها بأنواع الاشتقاق الثلاثة الصغير ، والكبير، والأكبر، جعلها تستغني عن النحت أو الاشتقاق الكبّار، وترجيه للضرورة فقط ، وقد عُدّ " الاشتقاق فيها نظير النحت في اللّغات الهندو أوروبية ."[2] كما أنّ خصوصية الاختزال التي اتصف بها النحت ، جعلت المنحوت يبدو غامضا في أغلب الأحيان ، فهو يخلق ألفاظا غريبة عن العربية ، والكلمة المنحوتة غالبا ما تدفعنا إلي الرجوع إلى الأصل الذي نُحتت منه ، وبذلك فالكثير من الكلمات المنحوتة تبقى حبيسة الكتب ، يقترن فيها المنحوت بما نُحت منه ، وفي ذلك إطالة بدل الاختزال ، والطول عيب يؤدي إلى النفور .

---

[1] الرافعي : تاريخ آداب العرب ، ص148.

[2] عمر أوكان : اللغة والخطاب ، مط أفريقيا الشرق ، المغرب ، ت ط 2001 ، ص63.

لم يعترف القدماء ولا المحدثون بقياسية مطلقة لآلية النحت ، لكنّ نطرق الحديث فيه للتنبيه على أهمية بعض الكلمات المنحوتة التي أفادت منها العربية .

وبوصف النحت من خصوصيات اللغات الإلصاقية ، كالفرنسية والإنجليزية والهندية التي تعتمد على إضافة السوابق واللّواحق ، وهو نادر في اللغات السامية على العموم ،ظلّ في العربية رؤية نظرية أكثر منها تطبيقية ، ويأتي في آخر الترتيب ، لذلك يجده عبد الواحد وافي في العربية " تعسّف وتحايل وتعارض" [1] لآليات التنمية ، وابن فارس إمام القائلين بالنحت بسبب مذهبه الذي توسّع في النحت ؛ حين فسّر بعض الأصول الخماسية والرباعية في العربية برؤية تُرجِّح أن العرب ألّفت وألصقت ، ولم تضع تلك الأصول وضعا رُباعيا أو خماسيا ، ابن فارس نفسه لم يدعُ إلى نحت كلمة من كلمتين . [2] كما أنّ عدم اتفاق علماء اللغة المحدثون ، في أمر قياسية النحت بسبب قلة الشواهد المنحوتة من ناحية ، وعدم وضوح طريقة نحت محدّدة يلتزمها علماء اللغة ، كلّ ذلك كان سببا في استبعاده عن طريق التنمية استبعادا عمليا . وظلّ ينظر للنحت من ثلاثة زوايا إمّا أنّه نوع من أنواع الاشتقاق ، أو أنّه غريب عن العربية ، أو أنّه من قبيل الاشتقاق وليس اشتقاقا بالفعل . [3]

. أ دواعي النحت و ضروراته .

يذهب إبراهيم أنيس إلى أنّ النحت في بعض الأحيان ضرورة يمليها الواقع ،ويمكن أن يقدّم خدمة في تنمية الألفاظ ، ولذلك لابدّ من السماح به عند الضرورة ،خاصة إذا ثبُت أنّه وسيلة اختزال ، وهو ما يتّفق مع فكرة ميل اللغات الحديثة إلى الجهد الأقل ، كما أنّه يفيد في حالة المصطلحات الأجنبية المنحوتة ، التي يصعب الوصف أو الاشتقاق منها ، ولا

---

[1] عبد الواحد وافي : فقه اللغة ، دار النهضة ، القاهرة مصر ، ط8 ، د ت ، ص188 .

[2] صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة ، ص272 .

[3] إميل بديع يعقوب : فقه اللغة العربية وخصائصها ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، ط2 ، ت1986، ص207 ،208 .

يستساغ نقلها كما هي ، لذلك يجب التغلب على هذا الإشكال باعتماد النحت [1] " لمرونة وسهولة الاشتقاق ، والوصف من الكلمة المنحوتة المصقولة ، ولأنّه يجعل المجال واسعا في إيجاد كلمات لما يقابلها بالإفرنجية ."[2]

وبذلك ظلّ التردد في مجال الاعتماد على النحت وسيلة للتنمية هو سيد الموقف ، لكنّ قلّة من العلماء رأوا الاعتراف بقياسية النحت ، لأنّه يساعدنا على تنمية الألفاظ في اللغة وفي مجال المصطلحات الطبية خاصة .[3] فما أنتج من كلمات كان هدفه الاختزال والتخفيف في لغة العلوم ، لكنّ الغموض في المصطلح المنحوت كما يبدو لنا من خلال مطالعة بعض النماذج يحول دون اعتماده .

. ب منحوتات حديثة تستدعي الشرح .

الاستصأرض: استصلاح الأرض، الاستبقاماء : استبقائية استبقاء الماء ، الأغلرضانية: الأغلفة الأرضانية ، أشعة مافوسجية : أشعة ما فوق البنفسجية ، الإعادورة : إعادة الدورة ، أعنوباحة : أعلى نوبة مباحة ، [4] البقتمتاع : بُقعة استمتاع ، البَقطع : بُقعة القطع ،البيشرية : البيئة البشرية ، البيطعية : البيئة الطبيعية ، التجهيمائية : التجهيزات المائية ، التحلدم : تحليل الدم ، التخطنفاع : تخطيط الإنتفاع ، التديماء : تدبير الماء ، التربتحاتة : التربة المتحاتّة[5] ، التزماء : توازن الماء ،

---

[1] وفاء كامل فايد : المجامع العربية وقضايا اللغة ،من النّشأة إلى القرن العرشرين ، مط عالم الكتب ، ت ط 2004 ، ص246.

[2] نفسه ، ص246.

[3] إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة ، ص73.

[4] أحمد مطلوب : النحت في اللغة العربية ، دراسة ومعجم ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط1 ، تط 2002،ص105 ، 106ص.

البيطعية و هي البيئة الطبيعية ، التعموطن وهو التعهد الموطن " جيفيزيائي وهو جيولوجي فيزيائي " ، الحلمر و هو الحلو والمر، الحينب و هو من الحيوان والنبات ،والدرعمي وهو من دار العلوم ، الذّرزائفة و هي الذروة الزائفة ، الرجوز و هو من الرجل والعجوز الرطوتربة و هي رطوبة التربة ، ، السلامهددة و هي السلالة المهددة ، السمرقط وهو السمك الأرقط .

"حلقية ، دهنية " نحتت على "دحلقية " والنحت من كلمتي " كهرباء ومغناطيس " نُحتت على "كهراطيس " ، كهرحراري من كهرباء وحرارة ، كهرضوئي من كهرباء وضوء ، وقد وضعت مصطلحات أخرى لا نعلم مدى رواجها عند أهل الاختصاص مثل "الكهراكدة" من كهرباء وراكدة ، "كهرحل" من التحلل بالكهرباء ، خلسل من خل وعسل ، تشاكب من تشابه وتركيب ، شبزج من شبه وزجاج ، حبرمان ، من " حب و رمان " وبذلك " فهو مستثقل على الأغلب ، وينبغي تجنب استعماله إلاّ للضرورة " [1] لأنّه يؤدّي إلى التعقيد اللفظي ، ولا يجب أن نختلق إشكالا هو التعقيد ، لحلّ آخر هو التنمية ، فيجب أن تبتعد اللغة عن الإغماض مادام دورها هو الإفصاح وتحقيق التواصل .

الكثير من هذه المنحوتات لا يقبلها الذوق لعدم مراعاة ترتيب الحروف ، كما أنّه لا ضرورة تدفع لنحت الكلمتين بسبب وضوح الأصل المنحوت منه .[2]

وبذلك ظلّ طريق النحت مسدودا أمام جهود التنمية بهذه الوسيلة في اللغة العربية ، رغم فعاليته في اللغات الأخرى التي لجأت أحيانا حتّى إلى أخذ أوائل الكلمات لتتألف منه كلمات ذات دلالات واضحة ومحددة مثل" يونسكو" " الفاو" وهي أسماء منظمات دولية ، وقد وقف منه علماء المجامع اللغوية موقف المتردّد فقبلوا منه ما سُمِع ونال حظّه من الشيوع والذيوع ،

[1] وفاء كامل فايد : السابق ، ص251.

[2] وفاء كامل فايد ، نفسه ، ص245.

ورأى أنيس فريحة " أنّ الكلمة العربية في طورها الحالي شديدة التمسك بفرديتها واستقلالها وتأبى أن تذوب في غيرها . "[1]

. ج كلمات منحوتة شاعت في الاستعمال.

بعض الكلمات المنحوتة لاقت استحسانا وأدّت آداء جيّدا في لغة العلوم والمصطلحات العلمية ، وذلك بسبب عامل التناسق مثل " برمائي" من بر وماء " أفرو آسيوي " من أفريقيا وآسيا ، هندو أوربي منحوت من هندي وأوربي،" أنفمي" من أنف وفم ، وبعضها مقترحة ويبدو أنّها مقبولة الذوق مثل أنسالة من الإنسان الآلي ، رغم رواج هذه المنحوتات في الاستعمال ، يبقى غياب القاعدة الواضحة للنحت يمنع من قياسيتها ،والملاحظ من خلال الأمثلة المقدمة أنّ نسبة المنحوتات المقبولة أقلّ بكثير من المنحوتات المرفوضة ، وهو ما يجعل النحت طريق رغم فاعليته في اللغات الأخرى فهو غامض في اللغة العربية ،و لم يقبل القدماء بقياسية النحت فقال ابن يعيش" وذلك ليس بقياس ، وإنّما يُسمع ما قالوه ولا يُقاس عليه لقلّته " [2] ومنه يمكن القول . من خلال فكرة النحت . أنّ للعربية نظامها المتميّز الذي يرفض الذوبان في أنظمة اللغات الأخرى ، وفي المقابل قوة نظامها القائم على الأدوات الخاصة ك(الإبدال ، الحذف ، القلب، الزيادة) تسمح لها بالتصرف في الكلمات الأجنبية عبر آليات متنوعة كالاشتقاق والتعريب ومنه إذابة الكلمات الأجنبية وصهرها في نظامها ، وقياسها على قوالبها كما رأينا ذلك سابقا .

[1] أنيس فريحة : الاشتقاق عملية خلق في اللغة ، ص66 ، عن فقه اللغة العربية وخصائصها ، إميل بديع يعقوب ، ص 212 .

[2] ابن يعيش : شرح المفصّل ، ج 6 ، ص9.

. د قرارات مجمع القاهرة في قضية النحت .

راعى المجمعيون خصوصية العربية ، فأقرّ جواز النحت في المصطلحات العلمية ، ووضع توجيهات خصّ بها لجان وضع المصطلحات العلمية ليشتغل الباحثون على هديها :

. النحت من الفعل المتعدّي يقتضي (فعلَلَ) وزن الفعل و(فعللة) وزن المصدر

. النحت من الفعل اللاّزم يقتضي (تفعلَلَ) وزن الفعل و(التفعلُل) وزن المصدر

. يكون الوصف منه على وزن (فَعْلَلِي)مثل عبشمي وعبدري

. لا ينحت المصطلح من أكثر من كلمتين

. مراعاة ترتيب الأصوات المأخوذة من الكلمتين

. يتوقف نجاح المنحوت على الإيحاء بالمعنى الأصلي و تذوّق المصطلح ،

. يترك قرار القبول والإقرار للمجمع .

ونبّه المجمع عل أنّ المصطلحات العلمية المنحوتة موجّهة للمختصين فلا ينزعج اللغويون من غرابتها ، ولابدّ أن تُترك الحرية للعلماء في اختيار مصطلحاتهم في فروع العلم المختلفة والعبرة دائما هي الشيوع والذيوع ، كما أنّ الذوق العلمي هو الحَكَم وما المجمع إلاّ مزكّي لذلك الاختيار. [1]

المبحث التاسع : ابن عربي وصناعة معجم متخصّص رؤية سعاد الحكيم

في سياق البحث عن آليات تنمية اللّغة ، تظهر الألفاظ الإسلامية كملمح هام من ملامح النمو اللغوي ، نسوق الحديث عن تجربة ابن عربي من خلال فكرة وضعه لقاموس متخصّص استطاع الصمود والاستمرار ، فكانت مصطلحاته أدوات كلّ الصوفيين من بعده

[1] وفاء فايد كامل : المجامع العربية و قضايا اللغة ، ص259 ، 260.

، وسمّي هذا الإبداع بالألفاظ الإسلامية لأنّها وضعت زمن التفتق الحضاري العربي الإسلامي ، وخصّ جميع مناحي الحياة العلمية والفكرية الحضارية الجديدة ، خاصّة تلك العلوم التي تفتّقت بعد المدّ الحضاري الإسلامي ، مثل الفقه وعلم النحو والبلاغة وعلم الكلام والفلسفة والتصوّف والفلك والطب ، وهي كلّها علوم حديثة في حياة العرب إلى ذلك الزمن ، فقد احتاجت العربية إلى المصطلحات ، فظهرت مؤلّفات كثيرة في هذه العلوم ، نذكر منها كتاب التعريفات للجرجاني ، كتاب اصطلاحات الفنون للتّهانوي ،الكليّات لأبي البقاء الكفوي ، مفتاح العلوم للخوارزمي ، الفتوحات المكّية لابن عربي ،وغيرها كثير من الكتب المختصّة ، والتي أغنت العربية بالمصطلحات العلمية ، التي سدّت حاجة الحياة الحضارية الجديدة آنذاك.

ففي باب الأراضي والأملاك مثلا ظهرت ألفاظ ؛

. **الحشرى** وهو ميراث من لا وارث له ، . **الإقطاع** وهو ما يقطعه السلطان فيصير له الجمع منه قطائع والواحدة قطيعة ، . **الطعّمة** وهي قطعة الأرض تُدفع لمن يَعمرها تكون له مدّة الحياة وتزول من ميراثه بموته ، . **التسويغ** و هو ما يبقى للرجل من خراجه السّنوي ، . **الحطيطة** و**التريكة**

وهي بالمعنى نفسه [1].

نسوق الحديث في مصطلحات واحد من أعلام المتصوفة ؛ هو ابن عربي فقد ترسّخت فكرة لدى أعلام الصوفية ، تقضي بأنّ الإمام محي الدين بن عربي (556 ت638 هـ) أشهر أعلام الحقيقة وأعلم علماء الصوفية ، هو أوّل من لجأ إلى هذا الضرب من الوضع ،" فوضع لغة خاصة باستعمال المتصوفة ، أخذ ألفاظها من العربية والفارسية والعبرانية وسمّاها

[1] الرّافعي : تاريخ آداب العرب ، ص180.

بَلَيْبَلاَنْ وهذا الاسم من أوضاع اللغة نفسها ومعناه (لغة المُحيي)"[1] وهو بذلك مخترع للغة تخصّص تفي بأغراض المتصوّفين ، لكن هل كان عمل ابن عربي خلق ألفاظ من العدم ، أم هو شحن كلمات قديمة بمعان ودلالات جديدة ؟ ثمّ إن كان ابن عربيّ قد وفّر معجما اصطلاحيا ، وقدّم للمتصوّفين معجما يفي بحاجتهم اللّغوية ، ليتم القبض بالكلمات على كلّ ما جاد به حالهم في عوالم الخفاء ، فإنّ ما نرمي إليه في اللّغة العامّة هو تحقيق كفاية المتلاغين ، وتوفير ما يفي بأغراضهم وتأمين مطالبهم اللّغوية ، **نتساءل كيف ينجح ابن عربي في أن يقدّم معجما كاملا للحياة الصوفية الغامضة البعيدة الإدراكّ ولم تخذله الكلمات والمصطلحات ، ونصف العربية بالعجز عن وضع ألفاظ لمستحدثات الحياة العلمية الظاهرة المحسوسة والملموسة .؟**

تذهب سعاد الحكيم* إلى أنّ ابن عربي لم يحظ بدراسة مستقلّة ليتبيّن لنا الموروث من لغته من الجديد فيها، وتتساءل هل كانت لغته " مجرّد لغة قديمة عامّة طبعها بطابعه أم أنّه ابتكر لغة جديدة . " ؟ [2] أصبحت تُنسب إليه .

لا نريد من وراء هذا التساؤل الغوص في الأبعاد الصوفية لمصطلحات ابن عربي ،فهو مجال آخر من البحث لكن " العقل رائد الروح والعلم رائد العقل والبيان تُرجمان العلم ." [3]

---

[1] الرّافعي : تاريخ آداب العرب ، ج1 ، ص59.

[2] سعاد الحكيم : ابن عربي ومولد لغة جديدة ، ص27.

*سعاد الحكيم: هي أستاذة علم التصوف بالجامعة اللّبنانية ، باحثة أكاديمية اهتمت بالكتابات الصوفية ، من مؤلّفاتها ابن عربي ومولد لغة جديدة ، الحكمة في حدود الكلمة ، الإسرا إلى المقام الأسرى ، نظرية الحب عند ابن عربي ، تاج العارفين.

*أثارت مؤلّفات ابن عربي جدلا واسعا في مجال التّصوف ، وقد خالفه الحافظ الذهبي ، وابن تيمية وابن خلدون ، وتقي الدين السبكي ، أبو حيان الأندلسي ، ذلك أنّ الصوفية تواطئوا على ألفاظ اصطلحوا عليها ، وأرادوا بها معاني غير المعاني المتعارفة ، فمن حمل ألفاظهم على معانيها المتعارفة ، بين أهل العلم الظاهر كفر وكفّرهم ، وأيّده . الفيروزآبادي ، والسيوطي ، و ابن كمال باشا .وقال ابن عربي من فسّر ألفاظه بالطريقة الصحيحة ، فهم ما يُقصد من مؤلّفاته ، ومن سلّم بظاهر تلك الألفاظ دون علم بمعانيها رأى فيها كفرا . / https : / /ar.m.wikipedia.org

[3] الجاحظ : البيان والتبيين ، ص77.

وكما استأنس ابن عربي بالألفاظ ترجمانا للمعاني الكامنة في فلوات الذات ، ثم قدّم المعجم الإصطلاحي الذي يقبض على المعاني التي يعيشها هو في عوالم الخفاء ، ثم يُكتب لمصطلحاته الشّيوع والذيوع في عالم مريديه ، وبقيت ألفاظه خالدة تخلّد فكره الصوفي ، ومن ثمّ فقد أضحى مصدرا هاما من مصادر المتصوّفين ، لهذا الاعتبار نروم البحث في مفرداته عن تلك الآليات التي اعتمدها لجمع معجمه الاصطلاحي ، و نريد أن نفيد من تجربة ابن عربي لا كما وردت في مؤلّفاته هو ، لكن من خلال رؤية سعاد الحكيم ، لأنّها اعتمدت على آليات اللّغة لاستكشاف معجم ابن عربي المتخصّص .

. أ بين عمل الخليل وعمل ابن عربي.

تقف سعاد الحكيم من لغة ابن عربي ذات الموقف الذي أراده الخليل من شعر العرب ولغتهم ، التي ضُبطت بالسليقة ، فوُضع لها القانون والقياس الذي يحكمها ، فقد طالع الخليل لغة العرب ، وجرّد منها النماذج التي صاغها قوانين يُقاس عليها ، لكي لا تتخلّف لغة الخلف عن لغة السلف ، ومعروف أنّ المعرفة بقوانين اللّغة و" المعرفة بقوانين الاشتقاق تُفلّق اللّغة إلى ما لا نهاية ، وتُحرّرها من قيود السّماع لتنطلق في فلوات الاشتقاق القياسي ."[1] و هو ما وقفنا عليه في الفصل الأوّل من البحث ، وما استفاد منه المحدثون من العرب حين عزموا تجديد منابع اللغة العربية في العصر الحديث .

وتريد الباحثة أن تكشف القانون أو الآلية التي اتّبعها ابن عربي لوضع معجمه ،لأنّ المعرفة بقوانين وضع المصطلح الصوفي ، هو الآخر فلّق اللّغة الصوفية إلى مالا نهاية ، وحرّرها من قيود الذات الخفية ، لتنطلق في فلوات الإبداع اللاّمحدود ، آمنت الباحثة بأهميّة اللّغة في حياة المعرفة ، لأنّ اللّغة هي الممثّل شبه الوحيد لكلّ معرفة وفلسفة وفكر ، هي الشّاهد شبه الوحيد على وجود التصوّرات الذهنية ، و" الوجود بكلّ مستوياته ومراتبه المختلفة

[1] سعاد الحكيم ، ابن عربي ومولد لغة جديدة ، ص32.

، يتجسّد من خلال وسيط أساسي هو اللّغة ، كما تجلّى القرآن من خلال وسيط اللّغة " [1] عكفت الباحثة على استقصاء مصطلحات ابن عربي ، لتنظر في ما استقاه من التصوّف ، وما أفاده من الفلسفة ، وعلم الكلام ، والفقه ، لتبيّن مدى تطويع ابن عربي لهذه المصطلحات التي ورثها ، فتنكشف لها هوية لغته الجديدة ، ومصطلحاته ،التي وقف بها على أعتاب علم التصوّف ، وهي تعتبر ذلك إبداعا وخلقا جديدا لأنّها متسائلة دائما " متى ينتهي من تطويع اللّغة الموروثة وتتبع من بين أصابعه اللّغة الجديدة. " [2] و ينطلق ابن عربي في تصوّره لحقيقة الوجود من فكرة أنّ العالم عبارة عن حقائق مفردة في الأساس ، لكنّها تركّبت بطرق أخرى كالوصف والنسب والإضافة .[3] وبذلك فقد ارتكز ابن عربي على عدة طرق وآليات لصناعة مصطلحاته تُحصي منها الباحثة :

. ب التسمية أساس وجود المصطلح 4

الاسم من الوسم وهو العلامة التي تعلو على الشيء فيعرف بها ، ووضع المصطلحات التي تدلّ على العلوم يعني القبض على المعاني بالألفاظ ، فلا تختلط معاني الكلمات ، وهو أهم طرق التنمية في العصر الحديث ، يتم بطرق مختلفة كتعريب الأسماء ، أو انتقاء لفظ يدلّ على المسمّى دلالة وصفية ، أو الاشتقاق ، واللغة الفلسفية هي مفردات سواء أترجمت ، أو أبدعت ، واللغة العلمية كذلك ترتكز على مفردات ومسميات علمية سواء اقتبسناها ، أم نحتناها وهكذا ، وحيث أنّ التفاهم لا يتمّ إلاّ عبر الأسماء ،وجب أن تقوم الأسماء مقام المسمّيات ، "وهكذا وعبر فعل التسمية أعطى ابن عربي نصوصه الطابع

[1] سعاد الحكيم : نفسه ، ص25 ، 26.

[2] سعاد الحكيم : نفسه ، ص31.

[3] سعاد الحكيم : نفسه ، ص66.

[4] سعاد الحكيم : نفسه ، ص 70.

الموضوعي ، ونقل النص من مستوى الغيب الخيالي إلى مستوى الحضور المعرفي" [1] وانتقل من الذاتية إلى التواصل بكلمات معبّرة عن المعاني الذاتية ، وكان ذلك بطرقتين هما :

. ج تحويل دلالة اللفظ ومفهمتُهُ .

تحويل الدلالة هو نقل الكلمة من دلالة إلى أخرى ، وهو يتفق جزئيا مع المفهمة ؛ والمفهمة * مصطلح معاصر بلفظه في علوم اللغة ، لكنّ تمّ استعماله عند ابن عربي استعمالا عمليا من خلال " التغيير الوظيفي " [2] للكلمات ، وقد قدّمه إبراهيم بن مراد بوصفه عنصرا أساسيا من عناصر العمل المعجمي ، وذلك باعتبار دوره المهم في التوليد المعجمي بالاشتقاق ، فيعتبر أنّ " الاشتقاق هو توليد مفردة من مفردة أخرى توليدا شكليا في جوهره لكنّه لا يتمّ إلاّ بمفهمة دلالية . " [3] أي أنّ عمل التوليد الاشتقاقي ، لا يكتمل إلاّ إذا تمّ نفخ الشكل الجديد بمفهمة دلالية جديدة تتحدّ مع الشكل الجديد ، ويكون ذلك من عمل المجاز، أو الترجمة الحرفية ، أو تعميم الخاص ، أو تخصيص العام ، وهي من مظاهر التحوّل الدلالي الذي يعتمد التجريد ، وكذا نقل بعض المعاني أو المفاهيم من لغة إلى لغة أخرى ، أين تكون الأولى لغة مصدر والثانية لغة مورد ، ويتكرّر الأمر مع مصطلحات العلوم بكلّ أنواعها ، وبذلك تحقّق اللغة الثراء بزيادة معان جديدة لم تكن موجودة من قبلُ ، وهذا الأساس حاضر

---

[1] سعاد الحكيم : نفسه ، ص72 ، 73 .

[2] ماريو باي : أسس علم اللغة ، ص 156.

[3] إبراهيم بن مراد : من المعجم إلى القاموس ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، ط1، ت ط 2010 ، ص 32.

*ورد في التعريف الاصطلاحي للمفهمة أنّه مصطلح مقابل للمصطلح الإنجليزي conceptualization والفر نسي conceptualisation وهو في العربية مَفْهَم المشتق من كلمة concept المترجمة إلى مفهوم الذي يُقابل في بعض الترجمات كلمة تصوّر ، وسبب هذا الحياد عن كلمة تصوّر إلى كلمة مفهوم كما يرى الباحث هو سهولة اشتقاق الفعل والمصدر من كلمة مفهوم " فَهِم وفَهْمُ " وعسر اشتقاقهما من كلمة تصوّر والمفهمة عملية ذاتية معقّدة يربطها أعلام المعجمية بعلاقة اللغة بالفكر لأنّها عمل مُنجز من طرفين ؛ هما المتكلّم والمستمع وهما المُمَفهمان الأساسيان فيها .

. من أعلامها " ليونار طالمي" في" كتاب نحو دلالة عرفانية " وروناالد لانغكار" في كتاب له بعنوان " أسس النحو العرفاني "وقد خُصّ المصطلح بكتاب أوسع من ذلك بإصدار مجموعة من العلماء بعنوان " اللغة والمفهمة " يُنظر في ذلك إبراهيم بن مراد : من المعجم إلى القاموس ، ص 11 وما بعدها.

في عمل ابن عربي ، فإذا استثنينا الاشتقاق وتوليد المفردات ، فإنّ ابن عربي عمل على مفهمة الألفاظ التي تسري بين الناس بدلالاتها العامة ، أو تلك التي كانت تجوب بين المتصوفين قبله ، وقام بتخصيصها وتحويل دلالاتها بما يتّفق مع تصوّراته الذاتية ومعطيات شهوده ورؤيته الصوفية ، ثم أطلقها في الناس بمفهماته الجديدة ، والأمر الثاني أو الأساس الثاني هو أنّ المفهمة عملية معقّدة لأنّها ترتبط بطرفي الحديث المتكلّم والمستمع ،[1] وهما معا المنجزان لعملية المفهمة ، أوهما المُمَفهمان ، وقد تشكّل الطرف الثاني في مفهمة ابن عربي من خلال عملية الاستقطاب الواسعة لمصطلحاته التي غدت أشهر مصطلحات الصوفية ، وقد نالت حظّها من الشيوع والذيوع بين أوساط الصوفية ، وبذلك اكتملت رؤية ابن عربي التي صارت حديثا سائرا بين المتصوفين إلى يومنا هذا ومن تلك الألفاظ :

[1] ابراهيم بن مراد : من المعجم إلى القاموس ، ص14.

اللفظ	معناه العام	دلالته عند ابن عربي
الليل	لفظ مفرد دال على وقت معلوم من غياب الشمس إلى طلوعها	اسم مصطلح لصفة مستعارة من الليل هو الغيب والإسرار
البيت	حجارة مرصوفة على شكل مدروس	اسم حال مستعارة من الليل هي السكن والاستقرار
التجلّي	هو انكشاف الشيء وبروزه	هو ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب دلالة المصطلح الصوفي .
الذات	ذات الشيء هي عينه ونفسه	من معاني الذات ذات اللّه تعالى هي غيب الوِحدانية الذي لا يُدرك بمفهوم عبارة ، ولا يُفهم بمعلوم إشارة دلالة المصطلح الصوفي ، ص54.
الرّؤيا	الرؤية هي المشاهدة بالبصر، والرؤيا هي ما يراه النائم في نومه	هي وسيلة اتّصال بعالم المُثل دلالة المصطلح ، ص36
السفر	هو سفر بالبدن وهو انتقال من مكان إلى مكان	السفر هو توجّه القلب إلى الله لأنّ سمة العابد هي التوجّه للمعبود والسفر إليه دلالة المصطلح ، ص41
الظلّ	هو الوجود الإضافي الظاهر بتعيينات الأعيان قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِلَّ) سورة الفرقان الآية 45.	هو مصطلح من مصطلحات شهوده وله دلالات الخلق والتكثير ، العلاقة بين الحقّ والخلق ، أحدية الفعل دلالة المصطلح ، ص51.

الفناء	الفناء لغة ضد البقاء قال الله تعالى : (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ) الرحمان ، الآية 26 ،27 .	يتلازم الفناء عند ابن عربي مع التبرّي من الحول والقوة دلالة المصطلح ، ص63.
المشيئة	هي مرادف الإرادة، قال الله تعالى : (وَلَو شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) سورة البقرة ، الآية 253.	تخرج في معناها الصوفي لتدلّ على الوجود بأسره ما ظهر منه وما لم يظهر ممّا استأثر به الحقّ في غيبه دلالة المصطلح ، ص78.

. د الإضافة

وهي عامل تنمية عند ابن عربي و" الإضافة بعد ابن عربي هي لغة الشهود الصّوفي " [1] بمعنى أنّ ابن عربي قدّم فكرة الإضافة فصارت آلية صناعة المصطلح عن المتصوفين من بعده ، حيث يتم إضافة كلمة إلى كلمة ، فينشأ المركب من كلمتين لتتمّ مفهمته حسب الرّؤية المقصودة عند المتصوّف ، ومعروف أنّ القدرة على نحت الجديد هو عمل شاقّ ، لكنّ طاقة الصّوفي على الإضافة هي طاقة غير متناهية ولا محدودة .[2] وهي فكرة عمل بها ابن عربي فأثرت قاموسه ، وقدّمت له العون والثراء ، يظهر ذلك من خلال الكم الهائل من المصطلحات القائمة على أساس الإضافة مثل :

أدب الخلافة ، أدب الولاية ، أرباب القوى ، أرض الطبيعة ، أرض الله ، أرض ينبوع ، إزار العظمة ، إسراء جسديّ ، أصحاب السماع ، أصحاب العلامة ، أصحاب القلوب ، إسم ذات ، أصحاب الأعراف ، أصحاب الأوهام ، أصحاب المقامات ، البرنامج الأكمل ، السّلف الأخير ،

[1] سعاد الحكيم : ابن عربي ومولد لغة جديدة ، ص90.

[2] سعاد الحكيم : ابن عربي ومولد لغة جديدة ، ص90.

الجوهر النفسي ، الجوهرة البيضاء ، الخزانة العامّة ، الدفتر الأعظم ، الركن الأعظم ، أصابع الرّحمان ، أخلاق الحق ، آخر الأولاد ، أخوّة الصفة ،أدب الخدمة ، أحكام الممكنات ، أصحاب الفترات ، أصحاب المقامات ، أصحاب الطريق المستطيل ، حب جزاء ، حب عناية ، حجاب الطبع ، حجاب العدم ، حروف عاليات ، حروف معاني ، حروف هجاء ، أسبال الستور ، حضرة البدء ، حضرة البصر.. .[1] فللكلمة بمفردها معنى عاما ، ومعنى آخر عند الصوفية ، وللمركب الإضافي معنى ، وله عند الصوفيين معنى آخر خاص بهم .

وبذلك فقد استطاع ابن عربي باستخدام آليات لغوية بسيطة ، أن يصنع قاموسه الذي كُتب له به الشيوع الذيوع ، وثبات المصطلح الصوفي ، وعاد عليه بالمنفعة والثراء .

المبحث الثامن : التنمية من المعجم إلى القاموس .

إنّ فصاحة العربية التي ارتبطت قديما بالزمان والمكان ، والتي انضوت في مؤلفات جمعها القدماء ، قد كان أظهر جهودها على الإطلاق ما سُمي بعملية الجمع ؛ جمع المادة اللغوية من ميادين الفصاحة ، حيث استوت في معاجم كاملة ؛ وهي ما عُرف بالمعاجم العامّة ، والرسائل اللغوية التي قدّمها أبو عبيدة والأصمعي ومن دار في فلكهما . وكان الهدف الأساس من تلك الجهود وفي تلك المرحلة من حياة المعجمية العربية ، هو الحفاظ على المادة اللغوية من الضياع ، فالتدوين بمثابة التأمين والتّأميم لتلك المادة التي لاقت خطر المحو والتلاشي ، فقد حاصر اللحن والفساد اللغة العربية من جميع جوانبها ، كما أنّ العمل ميداني بامتياز ، لأنّه لم يُجمع لغرض الاستعمال بل هو مجموع من أفواه المستعملين أساسا ، ومنه يجب أن ننظر لهذه المادة كثروة ومادة أوّلية أنتجها ميدان الاستعمال في ظروف بيئة محددة ، ولكي تُضخّ هذه الثروة للاستعمال في العصر الحديث تحتاج إلى التقليم والتهذيب والتطوير، حتّى إذا دخلت القاموس الحديث وقد اكتست بروح العصر، استطاعت أن تسدّ مطالب المتلاغين في الحياة الحديثة .

[1] سعاد الحكيم : ابن عربي ومولد لغة جديدة ، ص97 ،.. 197 .

فالفصاحة اليوم هي عملية تنموية جديدة تستدعي جهود كلّ مستعمليها ، وهي مدعوة بقوة وأكثر من أيّ وقت مضى للتعبير عن حاجة المتكلم العربي، وتزويده بمادة دقيقة ،متجددة تؤدّي وظيفة التبليغ والإبلاغ كما تفعل اللّغة المثالية ، وبهذا الاعتبار يجب الانتقال إلى مرحلة أكثر دقة وفاعلية وهي مرحلة القاموس . و كان من دواعي الحياة اللغوية الجديدة إعادة النظر في المصطلحات ، حيث سعى المحدثون إلى إيجاد الفروق الدقيقة بين المعجم والقاموس، وهو ما ذهب إليه إبراهيم بن مراد في مؤلّفه من المعجم إلى القاموس ، فاعتمد في عمله على إيجاد الفروق الكاملة بين المصطلحين ، ووضع كلاّ منهما في خانة محددة ،متجاوزا بذلك فكرة التأليف في القاموس العربي الحديث ، التي التحم فيها القاموس الحديث التحاما قويا بالمعجم القديم ، ولم يزد على أن يكون نقلا عنه ، ولم يتميّز بمواصفات فردية تحدّد ملمحه العصري ، وقد أظهرت البحوث الحديثة "عدم التفريق بين المعجمlexique . باعتباره الرصيد اللّساني العام الذي يشتمل على الوحدات المعجمية المكوّنة للغة من اللّغات . والقاموس dictionnaireباعتباره وثيقة مشتملة على رصيد جزئي . قد يكبر وقد يصغر . من المفردات المكونة للمعجم ."[1] و " قد غلب في بعض المدارس اللسانية الحديثة الخلط بين مفهومي المعجم والقاموس " [2] وهو الأمر الذي لم تستطع المحاولات العربية التخلّص منه ، خلافا للّسانيات الغربية التي شقت طريقا يُفرِّق بينهما ، وأكّدت على جملة عناصر أهمها :

---

[1] إبراهيم بن مراد : من المعجم إلى القاموس ، ، ص110.

[2] إبراهيم بن مراد : من المعجم إلى القاموس ، ص110.

*. العرفانية أو الغنوصية أو المعرفية هي مصطلحات حديثة تطلق على مجموعة أفكار ومعارف من الديانات القديمة ،تعني بالمعرفة أو العلوم الخاصة بالأمور الروحية أو الإلاهية ، وهي خليط من الأفكار الفلسفية انبعثت من المجتمعات اليهودية في القرنين الأول والثاني الميلاديين ، والأفكار خليط من الهيلينية والفارسية و الزرادشتية والكلدانية واليهودية والمسيحية ، والعرفانيون لا يؤمنون بالتعاليم السّماوية كما هي ، بل لابدّ من إعمال العقل فيها لغرض استبطان أسرارها . منشورات دار الجمل ترجمة رائد الباشا المانيا 2003 ".

التسمية في العربية الأغنوصية هي تعريب لمصطلح gnosticism الإنكليزي ذي الأصول اليونانية هي في معناها الديني " المعرفة الروحية المبنية على العلاقة مع الله" الموقع الإلكتروني https I wikipedia . org

. اعتبار المعجم نظاما فرعيا ، ويكوّن مع النحو نظام اللغة العام ، وهو مذهب الفلسفة العرفانية
* ومنهم ليونار طالمي . l talmy

. اعتبار نظرية المفردات التي هي الوحدات المعجمية البسيطة ، ذات المكوّن الصوتي والصرفي والدلالي ، من صميم نظرية المعجم ، كما ذهب إلى ذلك كلود ملنار j c milner

. يضخّ المعجم مادّته في القاموس ، فلا يعدو القاموس أن يكون امتدادا للمعجم ، وتطبيقا عليه

، كما ذهب إلى ذلك إيغور ملتشوك i .mel cuk

. التفريق بين عدّة مستويات عمل في العمل المعجمي ، منها مستوى البحث الفكري النظري

وهو عمل جادّ يتطلّب معرفة دقيقة بالمستويات اللغوية ، ومصادر جمع اللغة ،والترتيب

والتعريف ، وهو المصطلح عليه بالمعجمية التطبيقية [1] ، أمّا ماعدا ذلك ممّا يتعلّق بالورق

والطباعة والتسويق فهو من صميم الصناعة المعجمية .

وقد قبضت المعجمية الأوروبية المعاصرة ـ واللغة الإنكليزية مثالا على ذلك ـ على جملة عناصر الصناعة المعجمية والمتمثلة في الجمع ، والوضع ، والتعريف ، بالإضافة إلى الجانب الصناعي التقني ؛ والمتمثّل في الطباعة بكلّ ما تقتضيه من إخراج فنّي ورسوم توضيحية وصور، وكلّ متعلّقات الإشهار والتوزيع بما يقضي من نشر الكلمات بين المجتمع المستعمل لها .[2] وحقّقت في كلّ ذلك تقدّما عاد على الإنكليزية بالمنفعة باعتبارها لغة العلم والمعرفة في العصر الحديث ، لم تتخلّف المعجمية العربية التراثية عن هذا الطّرح والنموذج في ذلك كتاب العين الذي اعتمد طريقة إحصائية مؤسّسة على " حجم الكلمة ، الترتيب الصوتي ، نظرية العناصر ، التوافيق والتباديل .."[3] كما أنّ طريقة الخليل في مقدمة الكتاب" دالة على أنّ صاحب الكتابي كان مدركا لما نسمّيه اليوم الكيان المعقّد " [4] والذي يتأسّس على أربعة عناصر أساسية ؛

---

[1] ابراهيم بن مراد : نفسه ، ص 111.

[2] ابراهيم بن مراد : من المعجم إلى القاموس ، ص112.

[3] أحمد مختار عمر : صناعة المعجمات الحديثة ، ص26

[4] إبراهيم بن مراد : من المعجم إلى القاموس ، ص113.

ـ الأوّل والثاني : هما التأليف الصوتي والبنية الصرفية بوصفهما مكوّنا الوجه الدّال،

ـ الثالث : هو المعنى أو المحتوى المد لولي ،

ـ والرابع : هو عنصر تقني مرتبط بتحقيق العناصر الثلاثة السابقة .[1]

ومنه فإنّ نظرية الجذر التي أقام عليها الخليل عمله ، تقوم في صميم النظرية المعجمية المعاصرة لأنّها وسيلة لكشف الكلمة العربية الأصيلة ذات الجذر من الدخيلة ، التي لا جذر لها في لغة العرب ، والجذر هو طريقة الخليل في الترتيب والجمع ، ثمّ إنّ اعتماده على نظام التقليب جعله يقف على أدقّ وسيلة لكشف ما له دلالة في الاستعمال العربي فيتمّ تعريفه في المعجم ، وما ليس له دلالة فيتمّ تحاشيه وتركه ، وإدخاله في باب المهمل ،

وهو بذلك يضمن أن لا تتخلّف عن الحصر أيّ مادة من مواد البحث المعجمي *

ولم تكن طريقة المجمعيين هي البحث عن معاجم تعجّ بالكلمات ، ولكن كان البحث حسب الحاجة والأولوية ، فإذا كانت وظيفتهم هي سدّ حاجة المتلاغين وتوفير ما يكفي من الكلمات ، فقد تحقّق هؤلاء من أنّ " المصطلحات العلمية ذاتها لا يمكن أن تروج و تنتشر وتدخل في معاجم اللّغات الحية ، إذا اخترعتها المعاجم اللّغوية ، ولم تنشأ نشأة طبيعية على ألسنة المتكلمين ، أو طبيعية نتيجة للضرورات العلمية التي تدفع رجال كلّ علم إلى خلقها ، ونادوا بأن تقصر المجامع اللّغوية مهمّتها على تسجيل المصطلحات ، التي يخلقها أهل كل علم وفنّ ." [2] وهو ما تحتاجه اللّغة فعلا ، خلق معان جديدة من الألفاظ القديمة ، أو بث المعاني الجديدة في الألفاظ القديمة لغرض التنمية والتكثير ، " إلحاق الصّيغ والمفردات غير المنقولة ،

---

[1] نفسه ، ص113.

*من أبرز المهتمين بهذا الحقل المعرفي أعضاء الجمعية الأوروبية للقاموسية EURQLEX، ومنهم باحثون جامعيون من أمثال رينهارت هارتمان HARTMA NN الإنكليزي ، وهنري بجوان H BEJOINT الفرنسي، وقد نُقلت بعض أعمال هارتمان مترجمة للعربية بعنوان المعاجم عبر الثقافات ، ودراسات في المعجمية ، ترجمة محمد حلمي هليل . يُنظر في ذلك ابراهيم بن مراد : من المعجم إلى القاموس ، ص112 .

[2] مقال قضايا جديدة في أدبنا الحديث ، عن مجلّة ورقات مصطلحية ، ص 134 ، 108 .

بالصيغ والمفردات المنقولة ، ثمّ تنويع أشكال الاشتقاق والأبنية ، ممّا لم تتنوّع مشتقّاته ، وتتعدد مبانيه ." [1] ويتم التوسيع في طاقة اللغة بكلّ الوسائل والآليات

وهذا الأمر " يعدّ الأسلوب الطبيعي الذي تلجأ إليه اللّغة لزيادة حصيلتها ."[2]

[1] علي أبو المكارم : أصول التفكير النحوي ، ص85.

[2] علي أبو المكارم : أصول التفكير النحوي ، ص 85.

خلاصة:

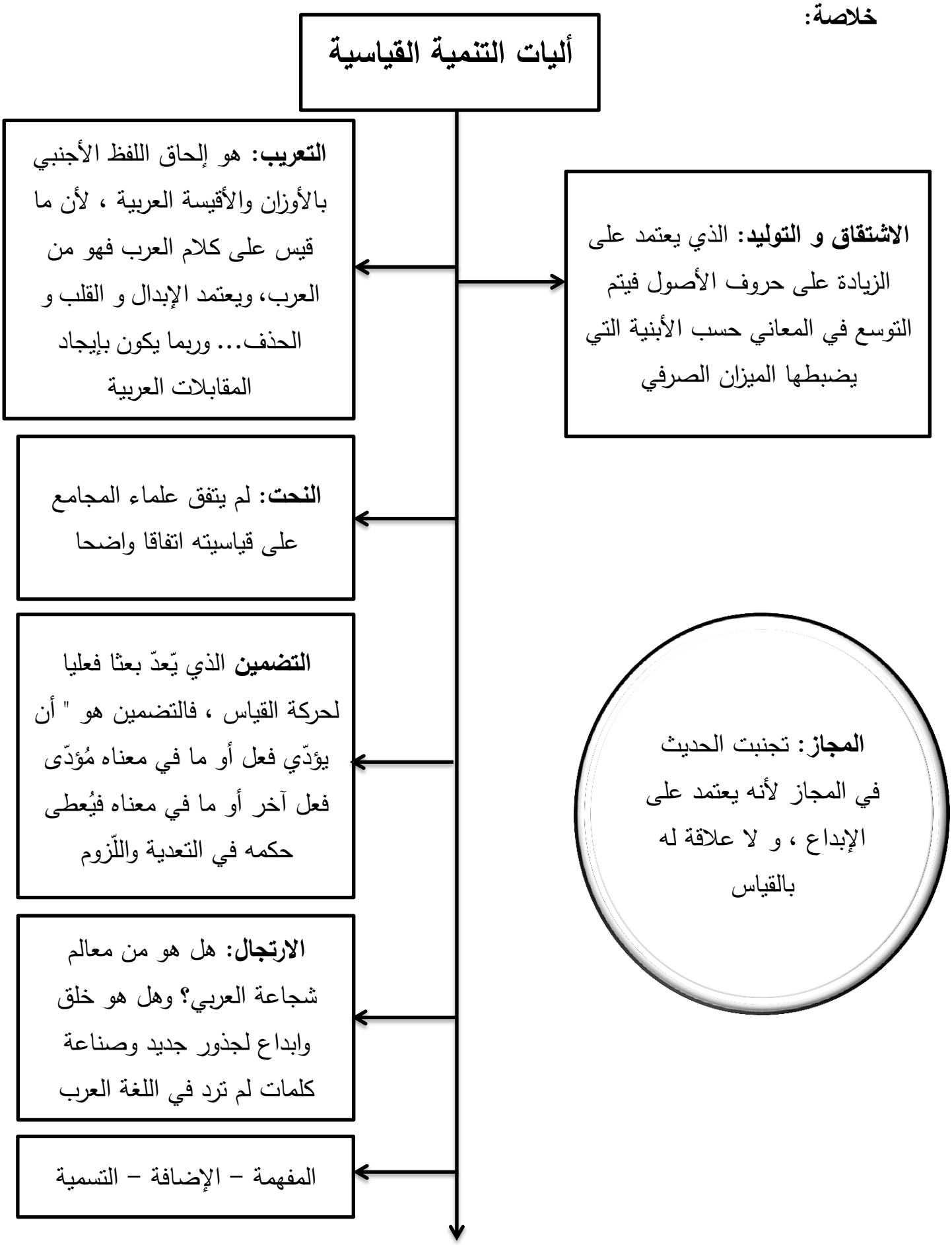
أليات التنمية القياسية
التعريب: هو إلحاق اللفظ الأجنبي بالأوزان والأقيسة العربية ، لأن ما قيس على كلام العرب فهو من العرب، ويعتمد الإبدال و القلب و الحذف... وربما يكون بإيجاد المقابلات العربية
الاشتقاق و التوليد: الذي يعتمد على الزيادة على حروف الأصول فيتم التوسع في المعاني حسب الأبنية التي يضبطها الميزان الصرفي
النحت: لم يتفق علماء المجامع على قياسيته اتفاقا واضحا
التضمين الذي يّعدّ بعثا فعليا لحركة القياس ، فالتضمين هو " أن يؤدّي فعل أو ما في معناه مُؤدّى فعل آخر أو ما في معناه فيُعطى حكمه في التعدية واللّزوم
المجاز: تجنبت الحديث في المجاز لأنه يعتمد على الإبداع ، و لا علاقة له بالقياس
الارتجال: هل هو من معالم شجاعة العربي؟ وهل هو خلق وابداع لجذور جديد وصناعة كلمات لم ترد في اللغة العرب
المفهمة – الإضافة – التسمية

خاتمة

خاتمة :

بدا لنا من خلال كلّ ما تقدّم ذكره :

. إنّ اللّغة كائن حيّ بامتياز، فدورة حياتها تشبه دورة حياة الإنسان في كل تفاصيلها ،وقد أشبه هذا الكائن الحيُّ في حياته وطريقة عمله **جهازا فائق الدقّة** ، تركّب من قطع كثيرة متنوعة ، وكلّ قطعة فيه تتحرّك لتؤدّي وظيفة تكمّلها القطعةُ الموالية لها ، حتّى إذا تكاملت تلك الأجزاء جميعها ، قامت لتؤدّي وظيفتها فتحرّكت جملة واحدة ، وبذلك يكتمل عمل الجهاز مادام سليما، ولهذا الجهاز الحيُّ الفعّال المتحرك على الدوام ،أدوات صيانة كثيرة نشيطة تصونه من التلف والفساد ، وتعمل على تجديد جسمه فتمدّه إن احتاج للمدد، وتسعفه إذا ضعفت قِواهُ ، وتبثّ فيه الحياة إذا تسرّب إليه الخور والعجز، ولكنّ ذلك كلّه لن يحصل في غياب المستعمل .

حياة اللّغة وموتها هل اللغة العربية حيّة أم ميّتة ؟ ما خلصنا إليه أنّ حياة اللّغة وموتها أمران يؤخذان بالاعتبار، بمعنى اعتبار ما هو كائن ، واعتبار ما يجب أن يكون ، واللّغة الحيّة هي التي تعبّر بموجود عطائها عن كلّ ما جادت به الحياة من معان ، وحال العربية في ذلك يتراوح بين ألفاظها وأوضاعها ؛ فإن خلت ألفاظها من القبض على مستحدثات الحياة بمعارفها وعلومها ومتطلّبات مستعمليها في أغراضهم الحادثة ، بسبب عطالة مستعملها غالبا ، نطقت أوضاعها وعبّرت عن قدرتها وغناها ، وإمكانية إنتاج اللّفظ الجديد ، وهذا عمل المستعمل وليس من عمل اللّغة ، إنّه بذلك سيمدّ في عمرها الممتد منذ العصر الجاهلي .

. إنّ اللّغة بما تأخذ وتدع، وهي بما يموت منها وما يخلق من رحمها كأنّها تتنفّس، والتّنفّس أوّل صفات الحياة فهي لغة حيّة .

. **العربية لغة طبيعية، وهي بنية ونظام مكتمل من الظواهر والملامح والآليات** ، فهي متمسّكة بملامحها كالاستخفاف وتجنب الاستثقال ، وهو ما يعزّز فكرة قيام العربية على مبدأ الاقتصاد اللغوي وهو ثابت من ثوابت اللغات الطبيعية ، متنوّعة بظواهرها الداخلية كالإدغام

والإبدال.. ، التي تُعدّ أجهزة صغيرة ، تعمل على إصلاح الكلمات وتنقيتها وإثرائها ، غنيّة بآلياتها كالاشتقاق آلة التوليد الأولى ، والتعريب الذّي يرفض دخول الكلمة الأجنبية في نظام العربية إلاّ إذا أخذت صبغة عربية ، والتضمين والنحت والارتجال وهي جملة الآليات المُنتِجة التي تحتاج إلى التفعيل ، وتُعدُّ العربية بمؤهلاتها الفطرية ونظامها المتميّز القائم على الآليات المتنوّعة ، لغة قابلة للاكتساب والتفاعل زيادة وطرحا ، لغة ترفض الذوبان في أنظمة اللغات الأخرى .

. إنّ **التنوع في الصيغ والقوالب داخل نظام اللغة العربية يقف دليلا قاطعا على حياتها** ، وهو أمارة من أمارات غناها ،لا بل هو تصريح بجنوحها إلى الترف بعد أن تحقّق عامل الاكتفاء ،وبذلك فهي مستغنية بقوالبها المتناسقة مع معانيها ، وبدلالاتها المعبّرة عن مدلولاتها ،مترفّعة عن تهمة الجمود ، وهي أمّ اللغات سبكا وتشقيقا وتوليدا ، شُبِّهت في عملها بمصنع القوالب اللغوية ، الذي تُسبك فيه كلّ لحظة ألفاظا جديدة على نمط الأوزان تلبية لحاجة المستعمل .

. **مضبوطة بعد ذلك كلّه بالقياس آلة صناعة العربية ، الذي يعدُّ أعلى وأضبط فكرة نظرية وتطبيقية تقوم عيها العربية ، فالمتمسّك بالقياس كمن يكيل بالمكيال ، واعتماد المكيال حل للخصام والنزاع ، وتعدُّ التنمية بالقياس رأيا مختارا ومثاليا فهي لغة متطوّرة لا تقلّ عن أدقّ العلوم دقّة .**

. إنّ نحاة العربية قد اجتهدوا اجتهادا عظيما ، حينما وضعوا القياس الذي يحكم كلّ موازين العربية ، **وأخصّها الميزان الصّرفي ، فكانت النّتيجة أن ثبّت أركان العربية ، ومنعها على الدّهر أن تضمحلّ أو يتغيّر قوامها الأصلي** ، أو يتبدّد انتماؤها ، أو تُتلف جذورها حتّى وإن تبدّلت ألفاظها حسب عوامل التغيّر الطبيعي التي تطرأ على اللغات .

. القياس مصطلح بدلالات كثيرة حسب انتمائه وتوظيفه ، فهو في علم النّحو أداة ضبط وتدقيق وقياس، وهو في اللّغة أداة توليد وجهاز إنتاج ، وهو في أصول النّحو دليل لاستنباط الأحكام ، ووجدنا القياس متعدد الوظائف عبر العصور والأزمنة ؛ ففي حين نظر إليه القدماء الذين حقّقوا الاكتفاء في الثروة على **أنّه قانون للغة وهو معيار لتصويب أخطائهم** ؛ فهو

يحرص لغتهم من التبدّل والتغيّر، نظر إليه من تلاهم من علماء العربية على أنّه **آلة صنع وإنتاج وتوليد** تزوّدهم بالثروة اللّفظية التي اقتضتها حياتهم الحديثة ، وتراعي النمط والنظام ،وكذلك الأمر مع المستعمل الذي **ظلّ يولّد من كلمات اللغة ما يسدّ حاجته** .

. **التدوين والكتابة ثم الاستعمال والتنمية** كلّها تتعامل مع اللّغة سلبا وإيجابا ، ففي حين يرى دعاة الحداثة أنّ جمع اللّغة من الأعراب جعلها محصورة في محيط البادية ، وأنّ التّدوين يؤدّي إلى الجمود، نقرّر من ناحية أخرى أنّه كان عاملا من عوامل حفظ الأصل الذي يقاس عليه ، فحفظ العربية الفصحى نقية ، وحرص حدودها من الاختلاط والفساد المرفوض ، ولولاه لكان من يظفر اليوم بحرف كمن أحيا شيئا من التاريخ ، فقد منعها على الدّهر أن تضمحلّ وحماها من الذّوبان والتبدّل والتغيّر الكثير، وجعلها قابلة للنمّو المطلوب ، لكن حسب الحاجة وذلك ما حدث لها مع مطلع النهضة .

. الاستعمال هو الذي يزيد من قوّتها ويثبت ديمومتها ، وهو الذي يصدِّقُ واقعها فإن قويت اللّغة على ألسنة المتكلّمين ، صارت من اللّغات القوية كما حدث للعربية زمن الحضارة العربية الإسلامية ، والعكس صحيح .

وقد **كان القياس بالفعل آلةً صنعت لنا أمّهات الكلمات** التي تعبر عن معطيات الحضارة الحديثة ، وإن كانت العربية تشكو النّقص والعوز، فهو وزر حامل الآلة ومستعملها، ولا وزر على اللغة ذاتها ، ولهذا النّظام القياسي دور في الحفاظ على ثبات النّموذج من ناحية ، والتطوّر والتبدّل من ناحية أخرى ، لأنّنا حين نتحدث عن التغيير لا يتعلّق الأمر بفصم العرى أو تغيير جذري يقطع اللغة عن ماضيها ، بل هو تحويل لبعض المسارات ، وتلك علامة ظاهرة تبيّن حياة اللغة حياة طبيعية وأنّها ليست لغة ميتة ، فهي مثل إنسان أو نبات ؛ ينمو ويتطوّر ويكبر ويتبدّل دون أن نلاحظ عليه مظاهر التحول في حياته اليوميّة ، لكنّ التّحول موجود لا محالة والعبرة كلّ العبرة بدورة الحياة ، وتتميّز العربية تحديدا بطول دورة حياتها.

. **العربية تقوم على وصفين : الأول هي لغة مرنة ليّنة** ، تنتحي منحى اللّغات الطّبيعية في الميل إلى الخفة وتجنّب الثّقل ، الذي يُعدّ من أهمّ ثوابت اللغة العربية ،

الثاني هي لغة عصيّة في ذات الوقت ليس في الأمر تناقض، ولكنّه حال اللّغات القوية في أصل تكوينها، الأمر الذي تفرّدت به العربية بوصفها تتجاوب سريعا، دون أن تُفرّط في نظامها الذي بنيت عليه ومنطقها الذي قامت عليه .

. المعجم والقاموس ضروريان للغة ؛ ويمكن اعتبار المعجم هو البنك الذي يجمع كلّ الرصيد القديم وحتى الحديث إذا تجاوزه الزمن، بينما يكون القاموس هو مجال العرض الذي يُقدّم لغاية الاستعمال الآني.

. موضوع البحث هوآليات الصوغ القياسي ودورها في تنمية اللغة العربية ، إلاّ أنّ ما حاولنا الحديث عنه، أو وصفه، أو الإشارة إليه باعتباره يشكّل جزءا من البحث قد اتّسع كثيرا حتّى كادت تتأكّد مقولة " النحو كله قياس والقياس نحو يتّبع " ، ومن ثمّ فإنّ ظواهر العربية كثيرة متنوعة يستحيل حصرها بين دفّتي هذا البحث ، لذلك ركّزنا الحديث عن الآليات التي تعمل على تنمية اللغة تنمية قياسية ، **والسر لا يبعد أن يكون هذا المسار العجيب الذي بدأ برحلتها إلينا عبر التدوين ، ثم تلاه خلق وتجريد قانون القياس الذي حافظ على تركيب الخِلقة فيها ، ثمّ نموّها بطرق الاشتقاق و...الآليات التي تُشكل قوّتها ، ويندر أن تجتمع هذه الأدوات كلّها في لغة واحدة كما اجتمعت في اللغة العربية** ، هذا إذا تجاوزنا الحمولة الفكرية وهي القرآن الكريم .

وفي الأخير لا نملك أمام هذا الجهد المتواضع ، إلاّ الاعتراف باتساع مدونة القياس في اللغة العربية ، وضخامة بنائه وتنوّع مداخله ، ودقة جهازه المعرفي، ومن ثمّ استحالة الوقوف على كلّ أبعاده وتفاصيله .

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

1. ابن الأنباري : أبو البركات عبد الرحمان بن محمد ،**الإنصاف في مسائل الخلاف** بين النّحويين البصريين والكوفيين ، مع كتاب الإنصاف في الإنصاف محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت لبنان ، د ط ، ج 2 ، ت ط 1987.
2. ابن الأنباري : أبو البركات عبد الرحمان بن محمد، **رسالتان الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلّة** في أصول النّحو ، تقديم وتحقيق سعيد الأفغاني ، مط الجامعة السورية ، د ط ، ت ط 1957.
3. ابن السّرّاج : **الأصول في النّحو** ، ت عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرّسالة ، ط 3 ، ت ط 1996.
4. ابن السكيت : أبو يوسف يعقوب ،**الإبدال** ، تقديم وتحقيق حسين محمد ، محمد شرف مراجعة على النّجدي ناصف ، القاهرة مط الأميرية، د ط ، ت ط 1978.
5. ابن القطّاع الصّقلي : علي بن جعفر بن علي العدي ، **أبنية الأسماء والأفعال والمصادر** ، تحقيق ودراسة أحمد محمد عبد الدّايم ، مط دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، مصر ، ط 2 ، ت ط 2010 .
6. ابن جنّي : أبو الفتح عثمان، **سرّ صناعة الإعراب** ، ت محمد حسن إسماعيل ،أحمد شحاتة عامر ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط 2 ، ت ط 2007 م .
7. ابن جنّي: أبو الفتح عثمان : **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها** ، ت علي النّجدي ناصف، عبد الحليم النّجار، عبد الفتّاح إسماعيل شلبي ، مط وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشّؤون الإسلامية ، القاهرة مصر، ت ط 2014م.
8. ابن جنّي: أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، ت محمد علي النّجار، عالم الكتب، بيروت لبنان، ط 1، ت ط 2006م .

9.ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ، **الإحكام في أصول الأحكام** ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ج1.

10. ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ، **ملخص إبطال القياس والرّأي والاستحسان والتّقليد والتعليل** ، ت ح سعيد الأفغاني ، بيروت لبنان، دار الفكر ، ط 2 ، ت ط 1969.

11. ابن خلدون : عبد الرحمان ، **المقدمة** ، تحقيق علي عبد الواحد وافي ، لجنة البيان العربي ، ط 2 ، بيروت لبنان ، د ت ، ج 4 .

12. ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن ، **الاشتقاق** ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط3 ، د ت .

13. ابن عصفور: أبو الحسن علي بن مؤمن الإشبيلي : **ضرائر الشّعر** ، تحقيق السيد إبراهيم النّجار ، دار الأندلس للطباعة والنّشر والتّوزيع ، ط2 ، ت ط 1982 .

14. ابن فارس : أبو الحسين أحمد ، **الصّاحبي في فقه اللّغة وسنن العرب في كلامها** ، تحقيق مصطفى الشّويمي ، ط بدران للطّباعة بيروت لبنان ، ت ط 1963 .

15. ابن فارس : أبو الحسين أحمد ، **مقاييس اللغة** ، د ت ، د ط .

16. ابن مضاء القرطبي : أحمد بن عبد الرّحمان بن محمد ، **الرّد على النّحاة** ، تحقيق محمد إبراهيم البنّا ، القاهرة مصر ، دار الاعتصام ، ط1 ، ت ط 1979.

17. ابن هشام :أبو محمد بن عبد الله الأنصاري : **مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب** ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، بيروت لبنان ، ج2 ، ط 1 ، ت ط1999م .

18. ابن يعيش: موفق الدّين، **شرح المفصّل**، مطبعة عالم الكتب، بيروت لبنان، ج9 ، د ط، د ت .

19. أبو حيّان :محمد بن يوسف الأندلسي : **ارتشاف الضرب من لسان العرب** ، تحقيق وجمع ودراسة رجب عثمان محمد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة مصر ، ط 1، ت ط 1998.

20. أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي : **شذا العرف في فن الصرف** ، تقديم وتعليق محمد بن عبد المعطي ، تخريج الشواهد أحمد بن سالم المضري ، دار الكيان ، د ت ، د ط.

21. الأصمعي : أبو سعيد عبد الملك بن قريب ، **اشتقاق الأسماء** تحقيق رمضان عبد التّوّاب ، صلاح الدين الهادي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط3 ،ت ط 2002.

22. البغدادي : عبد القادر بن عمر ، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب** ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة مصر ، ج1 ، الطبع 4 ، تط 1997 .

23. الثعالبي: أبو منصور، **فقه اللغة وأسرار العربية وسنن العرب في كلامها** ، دار مكتبة الحياة ، بيروت لبنان د ت ، د ط .

24. الجاحظ : عثمان بن بحر بن محبوب ، **البيان والتبيين** ، تحقيق عبد السلام هارون ، ج1 ، مكتبة الخانجي ، ط1 ، ت ط .

25. الجرجاني : عبد القاهر ، **أسرارالبلاغة** ، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، دار المدني ، ط 1 ، ت ط 1991 .

26. الجمحي : ابن سلام ، **طبقات فحول الشعراء** ، تحقيق محمود محمد شاكر ، د ت ، د ط .

27. الرّازي : أبو حاتم أحمد بن حمدان : **الزينة في الكلمات الإسلامية العربية** ، علّق عليه حسين بن فيض الله الهمداني ، اليعبري الحرازي ، مركز الدّراسات والبحوث اليمني ، صنعاء اليمن ، ط1 ، ت ط 1994.

28. الرّازي : محمد فخر الدين ، **التفسير الكبير ومفاتيح الغيب** ، تقديم خليل محي الدين الميس ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، مج1، د ت ، د ط .

29. الزّركشي :أبو عبد الله بدر الدين ، **البرهان في علوم القرآن** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة بيروت لبنان ، الطبعة الثّانية ، دت ج 3

30. الزّمخشري : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ، **المفصّل في شرح العربية** ، دار الجيل ، بيروت لبنان ، ط 2 دت.

31. الزّوزني : أبو عبيد الله الحسين بن أحمد ، **شرح المعلقات السبع** ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان بيروت ، ت ط 2010 .

32. سيبويه : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، **الكتاب** ، ت ش عبد السّلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي القاهرة ، ط 4 ، ت ط 2004م

33. السّيرافي : أبو سعيد الحسين بن عبد اللّه ، **أخبار النّحويين البصريين** ، تحقيق نخبة من العلماء ، مكتبة الثقافة الدينية ، دار المصري للطباعة ، د ط ، د ت .

34. السّيوطي : جلال الدّين عبد الرحمان بن أبي بكر ، **الاقتراح في علم أصول النحو** ، تحقيق محمد حسن إسماعيل الشّافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 ، ت ط 1998 .

35. السّيوطي : جلال الدّين عبد الرحمان بن أبي بكر، **المزهر في علوم اللّغة وأنواعها** ، شرح وتعليق محمد أبو الفضل إبراهيم ،محمد جاد المولى ، علي محمد البجاوي ، مط المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، ج1، ج2 ، ط1 ، ت ط 2004م

36. الّصفدي : صلاح الدّين خليل بن أيبك ، **الوافي بالوفيات** ، تحقيق وداد القاضي ، ج 16 ، د ت ، د ط .

37. الغزالي : أبو حامد محمد بن محمد ، **المنخول من تعليقات الأصول** ، تحقيق وتعليق ، محمد حسن هيتو ، دمشق سورية ، ط2 ، ت ط 1980.

38. الفارابي : أبو نصر ، **ديوان الأدب** ، تحقيق أحمد مختار عمر ، إبراهيم أنيس ، د ت ، د ط ، مجمع اللغة العربية المراقبة العامة للمعجمات وإحياء التراث ، ج1.

39. الفرّاء : أبو زكرياء محي الدين بن زياد ، **معاني القرآن** ، تحقيق محمد علي النّجار ، دار السرور ، بيروت لبنان ، ج2 ، د ط ، د ت .

40. القفطي : جمال الدّين أبو الحسن علي بن يوسف ، **إنباه الرّواة** على أنباء النّحاة ، القاهرة ، مصر ، مط عالم الكتب ، ط6 ، ت ط .1988

41. المبرّد : أبو العبّاس محمد ن يزيد ،**الكامل في اللّغة والأدب** ، تحقيق عبد الحميد هنداوي مط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،ط1 ، ت ط 2003.

ثانيا: قائمة المراجع

42. إبراهيم السّامرّائي : **الأصوات العربية** ، دار جليس الزّمان ، عمان الأردن ، ط 1، ت ط 2010.

43. إبراهيم أنيس : **الأصوات اللّغوية** ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر، د ط ، ت ط 2013.

44. إبراهيم أنيس : **من أسرار اللغة** ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ت ط 2010.

45. إبراهيم بن مراد : **من المعجم إلى القاموس** ، دار الغرب الإسلامي تونس ، ط 1 ت ط 2010 .

46. ابن كمال باشا : شمس الدين أحمد بن سليمان ، **أسرار النّحو** ، تحقيق أحمد حسن حامد ، دار الفكر ، ط 2 ، ت ط 2002.

47. أحمد تيمور باشا : **أسرار العربية ، معجم لغوي نحوي صرفي يحتوي على ذخائر من أسرار العربية مستقاة من نوادر المؤلفات وأقوال الأئمة في الكتب المخطوطة والمطبوعة** ، دار الآفاق العربية ، ت ط 2003.

48. أحمد حسن الزّيات : **تاريخ الأدب العربي** ، دار النهضة الفجالة ، القاهرة ، د ت ، د ط .

49. أحمد مختار عمر : **العربية الصّحيحة** ، مط عالم الكتب ، ط 2 ، ت ط 1998.

50. أحمد مختار عمر : **أنا واللغة والمجمع** ،

51. أحمد مختار عمر : **صناعة المعجمات الحديثة** ، مط عالم الكتب ، ط1 ،ت ط 1998.

52. أحمد مختار عمر : **دراسة الصوت اللّغوي** ، عالم الكتب القاهرة ، 1997، د ط ، د ت .

53. أحمد مطلوب : **النحت في اللغة العربية** ، دراسة ومعجم ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط1 ، ت ط 2002.

54. أشرف ماهر محمود النّواجي : **مصطلحات علم أصول النّحو** ، دراسة وكشاف معجمي ، دار غريب ، القاهرة ، مصر ، د ط ت ط 2001.

55. إميل بديع يعقوب ، **فقه اللغة العربية وخصائصها** ، دار العلم للملايين ،بيروت لبنان ، ط2 ، تط1986،

56. إيناس كمال الحديدي : **المصطلحات النّحوية في التّراث النّحوي العربي في ضوء علم الاصطلاح الحديث** ، مط دار الوفاء ، مصر، د ط ، ت ط 2006.

57. تمّام حسّان : **الخلاصة النحوية** ، م ط عالم الكتب ، ط1 ، ت ط 2000.

58. تمام حسان : **الأصول** دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، النحو ، فقه اللغة ، البلاغة ، عالم الكتب ، القاهرة مصر ، ت ط 2004.

59. توفيق محمد شاهين : **عوامل تنمية اللغة اللغة العربية** ، مكتبة وهبة القاهرة ، ط 1 ، ت ط 1980 .

60. جورج مونان : **علم اللغة منذ نشأتها حتّى القرن العشرين** ، ترجمة بدر الدين القاسم ، مطبعة جامعة دمشق ، ت ط 1972 .

61. حسام أحمد قاسم : **الأسس المنهجية للنّحو العربي** ، دراسة في كتب إعراب القرآن الكريم ، دار الآفاق العربية القاهرة مصر ، ط 1، ت ط 2007 .

62. حسن خميس الملخ : **رؤى لسانية في نظرية النحو العربي** ، دار الشّروق عمّان ط 1 ، ت ط 2007 .

63. حسن خميس الملخ : **نظرية الأصل والفرع في النحو العربي** ، ط1، دار الشروق ، مصر ، ت ط 2001 .

64. حسين نصّار: **دراسات لغوية** ، دار الرّائد ، عن مجلّة اللّسانيات واللّغة العربية ، عدد ديسمبر 2006 .

65. حلمي خليل : **الكلمة دراسة لغوية معجمية** ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، د ط ، ت ط 1998.

66. حمّادي صمود : **التّفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السّادس الهجري مشروع قراءة** ، منشورات الجامعة التونسية ، تونس د ط ، ت ط 1981.

67. خالد بن سعود فارس العصيمي : **القرارات النحوية والتصريفية لمجمع اللغة العربية** بالقاهرة ، جمعا ودراسة وتقويما إلى نهاية الدورة الحادية والستين ، دار التدمرية ، المملكة العربية السعودية ، ط1 ، ت ط 2003.

68. خديجة الحديثي : **تيسير النحو وبحوث أخرى** ، منشورات المجمع العلمي ، ت ط 2007.

69. رمضان عبد التّواب : **فصول في فقه اللّغة** ، مكتبة الخانجي القاهرة مصر ، ط3 ، ت ط 1987 .

70. ريمون طحان دينيز بيطار : **اللّغة العربية وتحديات العصر** ، دار الكتاب اللبناني ، ط 2 ، ت ط 1984.

71. الزّبيدي سعيد جاسم : **القياس في النّحو العربي** ، نشأته وتطوره ، دار الشروق ، د ط ، ت ط1997.

72. سعاد الحكيم : **ابن عربي ومولد لغة جديدة** ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، ط1 ، ت ط 1991 .

73. سعيد الأفغاني : **في أصول النحو**، المكتب الإسلامي، بيروت لبنان ، ت ط 1987 .

74. شوقي ضيف : **مجمع اللغة العربية في خمسين عاما** ، (1934 . 1984) مط الأميرية ، ت ط 1984.

75. صافية زفنكي : **التطورات المعجمية ، والمعجمات اللغوية العامّة العربية الحديثة** ، الهيئة العامّة السورية للكتاب ، ت ط 2007 .

76. صافية زفنكي : **المناهج المصطلحية ومشكلاتها التطبيقية** ، الهيئة السورية العامة للكتاب ، ت ط 2010.

77. صالح بلعيد : **اللغة العربية آلياتها الأساسية وقضاياها الرّاهنة** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ت ط 1995.

78. صبحي الصّالح : **دراسات في فقه اللّغة** ، دار العلم للملايين بيروت لبنان ، د ط ، ت ط 2014 .

79. طه عبد الرحمان : **تحديد المنهج في تقويم التراث** ، المركز الثقافي العربي ، ط 2 ، د ت .

80. عادل أحمد عبد الموجود : **التّوظيف الأصولي للنّحو من خلال مباحث صيغ العموم** ، دار الكتاب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 ، ت ط2012.

81. عبد الرحمان الحاج صالح : **بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية** ، ج2 منشورات المجمع الجزائري للغة العربية ، ت ط ، 2007 .

82. عبد السلام المسدي : **التفكير اللساني في الحضارة العربية** ، الدار العربية للكتاب ، د ت ، د ط .

83. عبد العال سالم مكرم : **التعريب في التّراث اللّغوي مقاييسه وعلاماته** ، عالم الكتب ، د ت ، د ط .

84. عبد القادر بن مصطفى المغربي : **الاشتقاق والتعريب** ، مطبعة الهلال ، الفجالة ، مصر ، ت ط 1908 .

85. عبد الواحد وافي : **فقه اللغة** ، دار النهضة ، مصر ، ط 8 ، د ت .

86. عبده الرّاجحي : **دروس في المذاهب النّحوية** ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان ، ط2 ، ت ط 1988 .

87. عبده الرّاجحي : **فقه اللّغة في الكتب العربية** ، دار النّهضة العربية ، بيروت لبنان ، د ط ، د ت .

88. علي أبو المكارم: **أصول التّفكير النّحوي** ، دار غريب ، ط 1 ، ت ط2006 .

89. علي القاسمي : **المعجمية العربية** بين النّظرية والتّطبيق ، لبنان ، ناشرون ، ط 1 ، ت ط 2003 .

90. علي القاسمي : **علم اللّغة وصناعة المعجم** ، لبنان ، ناشرون ، ط3 ت ط ، 2004.

91. علي القاسمي : **علم المصطلح أسسه النّظرية وتطبيقاته المنهجية** ، مط ناشرون ، ط 1 ، ت ط 2008 .

92. علي جابر المنصوري ، علاء هاشم خفاجي : **التطبيق الصرفي**، تعريف الأفعال ، تعريف الأسماء ، الدار العلمية ، ط 1 ، ت ط 2002 .

93. عمر أوكان : **اللغة والخطاب** ، مط أفريقيا الشرق ، المغرب ، ت ط 2001 .

94. عمر عبد المعطي أبو العينين : **اللّغة في أراجيرز رؤبة بن العجاج** ، دراسة وفية تطبيقية ، مط منشأة المعارف ، الاسكندرية ، مصر ، د ط ، د ت .

95. فاضل صالح السّامرّائي : **ابن جنّي النّحوي** ، دار عمار ، ط2 ، ت ط 2009 .

96. فرحات الطّيب عيّاش ، : **الاشتقاق ودوره في نمو اللّغة** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ت ط 1995.

97. فرديناند دي سوير : **محاضرات في اللسانيات العامّة** ، ت يوسف غازي ، مجيد النّصر، مط الجزائرية للطباعة ، ت ط 1986 .

98. فندريس : اللغة ، تعريب عبد الحميد الدواخلي ، محمد القصاص ، مكتبة الأنجلو المصرية ، د ت ، د ط .

99. فؤاد حنا ترزي : **في أصول اللغة والنحو**، مط دار الكتب ، بيروت لبنان ، د ت ، د ط .

100. كارل بروكلمان : **تاريخ الشعوب الإسلامية** ، ت منير البعلبكي، نبيه أمين فارس ، الطبعة 5 ، مط دار العلم للملايين ، بيروت ، ت ط 1968.

101. كريم حسين ناصح الخالدي : **أصالة النّحو العربي** ، دار صفاء للنّشر ، ط1 ، ت ط 2005 ، الأردن .

102. كمال بشر : **دراسات في علم اللّغة** ، دار غريب للطباعة والنّشر القاهرة ، ت ط 1998.

103. ماريو باي : **أسس علم اللغة** ، ترجمة وتعليق أحمد مختار عمر ، مطبعة عالم الكتب ، ط 8 ، ت ط 1998 .

104. محمد حسن عبد العزيز : **القياس في اللّغة العربية** ، مط دار الفكر العربي ، ط1، ت ط 1995.

105. محمد رشاد الحمزاوي : **أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة** مناهج ترقية اللغة تنظيرا ومصطلحا ومعجما ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، ط 1 ، ت ط 1988 .

106. محمد شرفي أمين، إبراهيم الترزي : **مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاما** 1934. 1984 القاهرة مصر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، ت ط .1984

107. محمد عبد الفتاح الخطيب : **ضوابط الفكر النحوي** : دراسة تحليلية للأسس الكلية التي بنى عليها النحاة آراءهم ، ، مط دار البصائر، القاهرة مصر، ت ط 2006.

108. محمد عمارة : **الإسلام والعروبة والعلمانية** ، دار الوحدة ، ط 1، ت ط 1998.

109. محمد نعمان خان ، **تصحيح لسان العرب من إفادات إبراهيم اليازجي وأحمد تيمور باشا** ، جمع وترتيب محمد نعمان خان ، ط1 ، ت ط 2004 .

110. محمود أحمد نحلة : **أصول النّحو العربي** ، دار العلوم العربية ، بيروت لبنان ، ت ط 1987.

111. محمود فهمي حجازي : **الأسس اللّغوية لعلم المصطلح** ، دار غريب ، القاهرة مصر ، د ط ، د ت .

112. ميشال زكريا : **بحوث ألسنية عربية** ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط1 ت ط ، ت ط 1992.

113. هادي نهر : **علم الأصوات النّطقي** ، دراسات وصفية تطبيقية ، عالم الكتب الحديث ، إربد الأردن ، ت ط 2011 .

114. وفاء كامل فايد : **المجامع العربية وقضايا اللغة** ، من النشأة إلى أواخر القرن العشرين ، مط عالم الكتب ، ت ط 2004 .

المجلاّت

115. أشغال ندوة اللّسانيات واللّغة العربية ، سلسلة اللّسانيات تونس ، العدد13،19، ديسمبر ، مج 5 ، العدد3 ، ت إ 1978.

116. عبد الرّحمان الحاج صالح : مقال مدخل إلى علم اللّسان الحديث ، مجلة اللّسانيات ، جامعة الجزائر ، معهد العلوم اللّسانية والصوتية ت ط 1972 ، مج 2 ، ج 1 .

العدد 3.

117. مجلة النّاص : قسم اللّغة والأدب العربي ، جامعة جيجل ، الجزائر العدد 4،5، أفريل جويلية ، ت ط 2005.

118. مجلة علوم اللّغة : دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة مصر، مج5 ، ت ط 2002،

119. مجلة علوم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة مصر، مج 4، العدد 2 ت ط 2001.

المعاجم

120.أحمد مختار عمر : **معجم اللّغة العربية المعاصرة** ، ج 1 ، ج4 .

121. الجواليقي : أبو منصور موهوب بن أحد بن محمد بن الخضر ، **المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم** ، ت ش أحمد محمد شاكر ، م ط دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة مصر ، ط 4 ، ت ط..م

122.سعدي صناوي : **المعجم المفصّل في المعرّب والدخيل** ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط1 ، ت ط 2004.

123.شوقي حمادة : **المساهم** معجم غرائب اللغة مجموعة نوادر ودقائق ومدهشات علمية يتضمّن الألفاظ الدخيلة على اللّغة العربية ، دار صادر بيروت ، ط1 ،ت ط 2000.

124.فانيا مبادي عبد الرّحيم : **معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها** ، دار القلم ، دمشق ، سورية ، ط1 ، ت ط 2011

125. الفراهيدي : أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الأزدي ، **العين** ، تحقيق مهدي المخزومي ، إبراهيم السامرّائي ، سلسلة المعاجم ، ج1 ،ج2 ، د ط ، د ت .

126. الفيروزآبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب ، بن محمد بن إبراهيم ، **القاموس المحيط** ، مط دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ج 3 ، ط1 ، ت ط 1999.

مواقع إلكترونية

127. https : / /ar.m.wikipedia.org

ملاحق :

بعض المجامع القديمة

أقدم المجامع في تاريخ البشرية

نورد في هذا الملحق ذكر بعض الهيئات والمجامع القديمة ، التي لعبت دورا كبيرا في خدمة اللغات قديما ، وعادت آثارها على اللغات الحديثة ، ومن هذه المجامع :

. مجمع أفلاطون 430 . 347 ق م

تأسس بأثينا ، سمي بالأكاديمية ، ناقش مشكلات كثيرة ذات طابع فلسفي بما فيها مشكلة اللغة وعلاقة اللغة بالفكر، أقامه أفلاطون لمحاورة طلابه ، وتمرينهم على التّفكير الفلسفي والرّياضي ، واختبار قدراتهم على التّحليل والتركيب .

. مجمع الاسكندرية 323 . 30 ق م

تأسس على أيام البطالمة ، كان بمثابة الجامعة أو المجمع ، به مجموعة من مدارس الطّب والفلك والرياضيات والقانون والفلسفة وحديقة لعلوم النّبات ، تألّق فيه بطليموس المصري وإفلوطين صاحب الفلسفة الأفلاطونية ، وقد بلغ إشعاع تلك العصور إلى الحضارات الموالية ،بما فيها الحضارة العربية الإسلامية .

. أكاديمية اللغة الفرنسية سنة 1635 م

تأسست على يد لويس الثالث عشر، وأخذ جمع من الأدباء والمفكرين على عاتقهم مسؤولية رعاية شؤون اللّغة الفرنسية ، ووضع قاموس يجمع ألفاظها ، ازداد عدد أعضائها مع السّنوات ، فأرست لنفسها تقاليد وضوابط تحميها ، مُنحت في عهد لويس الرّابع عشر جناحا تقيم فيه بمتحف اللّوفر، وكان الاهتمام بالقاموس هو غايتها القصوى ، قلّدتها بريطانيا في إنشاء ما يسمّى الجمعية

الملكية سنة 1945، بلندن ، ولها ذات الاهتمامات ، في هذا القرن كان الحديث عن المجامع العربية في البلاد العربية ، أسوة واقتداء بالمجمع الفرنسي .[1]

شؤون اللغة العربية قديما .

في البدء كانت اللغة العربية مشروع مجتمع بكامله ، ولا نستطيع أن نعزي تراث اللغة العربية إلى هيئات علمية محدّدة ، ولكن يمكن اعتبار الأسواق الأدبية أوّل مهتمّ بأمر اللغة في سياق الاهتمام بالشعر ، وتذكر كتب التاريخ ؛ تاريخ اللغة والأدب الكثير من مجالس العلماء والخلفاء التي كانت تُدير وتُناقش أمور العربية ، ولعلّ كتاب مجالس العلماء للزّبيدي ، والأغاني لأبي الفرج ، والأمالي لأبي علي القالي ، والكامل في اللغة والأدب للمبرّد تُشكّل مراجع أساسية حيث أرّخت لتلك المجالس ، أمّا ما يُشبه المجامع الحديثة فنذكر منها :

. **بيت الحكمة ببغداد**

يعدّ بيت الحكمة بحقّ أول مجمع للغة العربية ، وفق المفهوم المعاصر للمجامع ، أُنشئ هذا المجمع في خلافة المأمون العباسي، يهدف إلى نقل الكتب العلمية إلى اللسان العربي، وقد عمل على تهذيب الكتب المترجمة إلى العربية ، وتوحيد أسمائها التي دخلت العربية بالتعريب ، وفي هذا الزمن من تاريخ العربية ، تمّ اقتباس الكثير من الألفاظ والمفردات عن تلك اللغات ، وقد كان بيت الحكمة يُرى صورة لمجمع علمي معاصر، لأنّه ضمّ المترجمين والعلماء والمفكرين ،ويضم علماء من تخصصات مختلفة ، منهم الطبيب والمهندس ومنهم الفلكيّ واللغوي ، وكانت اللغة العربية آنذاك تتعامل مع حصيلة ما وصل إليه الفكر الإنساني، في جميع اللغات التّي اتصلت بالعربية منها الفارسية ، اليونانية ، الهندية ، اللاتينية ، السريانية وكانت قضايا اللغة تُعالج

[1] ينظر في ذلك شوقي ضيف : مجمع اللغة العربية في خمسين عاما ، 1934 . 1984 ، مط الأميرية ، ت ط 1984

وتناقش من خلال تلك المجالس أو المجامع العلمية ببغداد ، ورغم سطوة اللغات التي احتكت بها العربية ، إلاّ أنّ العربية كانت اللغة الغالبة ، فقد أمدّها القرآن وهيّأها لتغالب اللغات فتغلِبها .[1]

. دار العلم :

أنشأها الخليفة الفاطميّ وهي مجمع علمي ، أو جامعة كبيرة يهتم بشؤون كثيرة منها العربية .[2]

. المدرسة النظامية:

تأسست ببغداد ، أسسها الخليفة ابن نظام الملك العام 459هـ ، على أيّام الخليفة أبو جعفر عبد الله القائم بأمر الله ، بمدينة الرّصافة ، اشتهرت شهرة عظيمة ، بسبب ما تقدّمه من علوم ، تمّ تجديد بنائها عام 504هـ ، وقد اندثرت معالمها ، ورسومها إلاّ ما بقي من كتب .

. المدرسة المستنصرية

أسسها الخليفة المستنصر بالله ، على أيّام الخلافة العباسية سنة 1233م ، تقع بين قصر الخلافة ببغداد ، والمدرسة النظامية ، كانت أهدافها نشر العلم والمعرفة ، يؤمّها طلبة العلم من كافّة البلاد الإسلامية .

. طليطلة وفي مقابل بغداد نشأ بطليطلة الأندلس ، مجمع يضم أربعين عالما ، يجتمعون ثلاثة أشهر في السنة لمناقشة قضايا العربية ،[3] ومعروف أن القضايا الكبرى تستدعي جهودا أكبر، فمن حال الجهود الفردية أن لا تصوّت عاليا .

. 2 اقتراحات لغوية للباحث الهندي ف عبد الرحيم

العلوان : عنوان البريد الإلكتروني .

مِئي : عشر العشر.

[1] أحمد حسن الزّيات : تاريخ الأدب العربي ، دار النهضة الفجالة ، القاهرة ، ص313.

[2] شوقي ضيف ، مجمع اللغة العربية في خمسين عاما ، ص7.

[3] مجلة المجمع العلمي ، مقال أعمال المجمع ، ج1 ، مج 1، ص 355.

مِئلاف : عشر عشر العشر .

مِليان : جزء من مليون الجزء .

. النحط : النحت الطرفي .

. استنسل ، استنسالا : طبعه بالإستنسل .

. المبثّ : استوديو البث الإذاعي والتلفزي .

. لَكْتَرَ : لكتر الشيء لكترة حوّله إلى هيئة إلكترونية .

. أيمل يُؤيمِلُ أيملة أرسل إيميلا أي رسالة شبكية .

. دكتوراه : دكتوراة بالتاء بدل الهاء .

. الإنسالة : الروبوت

. مودم : تعرب الكلمة على موضم .

. هايبر : يُعرب بصيغة هَيْبَرْ حتي يلحق بجعفر .[1]

[1] ف عبد الرحيم : معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها ، ص233 ، 234.

فهرس

المحتويات

فهرس المحتويات

شكر و إهداء

مقدمة ..... أ

مدخل: من حضارة الشعر إلى حضارة النحو

المبحث الأول : العرب والشعر 6

المبحث الثاني: العرب والعربية..... 9

المبحث الثالث: تقدّم لغة العرب ومسلكها بين التّغيّر والثّبات 14

المبحث الرابع: النظرية الخليلية والقياس وصفة الآلية 22

المبحث الخامس : التنمية اللغوية والاستعمال.....29

الفصل الأول: القياس رهان عقول استبقت الزمن

المبحث الأول: القياس في فكر مدرستي النحو العربي 35

المبحث الثاني: موقع القياس من العربية وعلومها 45

المبحث الثالث: سمات التفكير العلمي في الدرس اللّغوي التّراثي.....54

. أ البحث الميداني.....54

ب تدرّج وتسلسل مراحل الدرس النحوي.....56

ـ ج التصور العلمي الدقيق.....58

. د تجريد الثّوابت تجريدا منطقيا وقسمة رياضية مضبوطة 62

المبحث الرابع: علماء العربية والقياس 66

أ . ابن جنّي رجل القياس وعميد القياسيين 66

ب إنكار القياس مع ابن مضاء : 70

. ج تثبيت أركان القياس مع ابن الأنباري 513 577. 73

المبحث الخامس : من السماع إلى القياس الأقسام والحدود والأصول والفروع 81

. ا بين القياس والسماع 82

. ب حدود المصطلحات.....86

. ج الأصل والفرع مصطلحان أساسيان في القياس 88

– د تطور نظرية الأصل والفرع.....91

الخلاصة.....94

الفصل الثاني: التنمية الداخلية عوامل

ومؤهلات كامنة في بنية اللغة العربية 34

المبحث الأول : اللغة العربية ظواهر وملامح 95

المبحث الثاني : السّمات المائزة والعلامات الفارقة في اللغة العربية.....98

. أ توظيف جهاز النّطق.....98

. ب علة كثرة استعمال حروف وقلة استعمال أخرى 100

ج . علة قلب الواو ياء والياء واوا في بعض الكلمات 102

د . إهمال بعض المهمل لتجنّب الاستثقال في النّطق والأوزان 103

هـ . ما كثر من الثّقيل وقلّ من الخفيف لغرض التّخفيف 104

و. العدول عن الثّقيل إلى ما هو أثقل منه لغرض الخفّة 104

ز . علة كثرة دوران الأصل الثّلاثي وقلة الرّباعي وندرة الخماسي في الأبنية العربية 105

ط . أحكام نحوية على هدي اللّغة العربية 109

ك . علة رفع الفاعل والمبتدأ ونصب المفعول 110

المبحث الثالث : ظاهرة الزيادة من خصائص العربية ومحرّك عملية الاشتقاق 111

1 أنواع الزيادة : 112

2 التفريق بين الحرف الأصلي والحرف الزائد في الكلمة 115

3 . أهمية الزيادة في حروف الكلمة وأغراضها 117

4 الفرق بين الزيادة للمعنى والزيادة للإلحاق 122

المبحث الخامس : الإبدال عنصر فعّال في التعريب 123

أ . حروف الإبدال..... 125

المبحث الخامس : الميزان الصرفي جهاز لمراقبة سلامة الأبنية 127

أ. أسرار الميزان الصرفي طبيعته وعمله 128

المبحث السادس : أهميّة الأبنية والقوالب ودورها في التنمية اللغوية 129

. أ الأبنية عند القدماء..... 131

. ب الأبنية العربية في العصر الحديث 136

المبحث السابع : الاشتقاق آلة التنمية الأولى في اللغة العربية..... 147

. أ العربية لغة اشتقاقية..... 147

. ب مكمن الثّروة وأساس التّوليد هو اللّغة وما ألِّف فيها 153

. ج نظرة في الجذر وأصل الاشتقاق..... 155

. د بين الاشتقاق والتصريف 157

. و المحدثون وتجديد الصيغ و تكثير الأوزان 160

خلاصة : 164

الفصل الثالث: المقيس عليه هو النول الذي يقاس على شكله كل جديد

المبحث الأول: إرهاصات ما قبل المجامع اللغوية..... 165

المبحث الثاني : المجامع والمجمعيون أساس فعّال في بناء العربية الحديثة 168

. أ علماء مجمعيون 172

. ب أعضاء أزهريون 174

. ج أعضاء الاستشراق..... 176

المبحث الثالث : القياس منهج لتنمية اللّغة 180

. أ مدرسة القياس الإحيائية..... 181

. ب جهود المجامع الحديثة في القياس 183

المبحث الرابع : التّعريب آلة لدمج الكلمة الدخيلة في نظام العربية 189

. أ مصطلحات اقتراض ، معرب ، دخيل 189

. ب التعريب آلة تنمية قياسية 193

المبحث الخامس: التعريب ملمح المعاجم العربية المعاصرة معجم الدخيل نموذجا 201

المبحث السادس : آلية التضمين..... 208

المبحث السابع : الارتجال هل هو من معالم شجاعة العربيّ ؟..... 211

المبحث الثامن : آلية النحت بين الضرورة والغموض 218

. أ دواعي النحت و ضروراته 220

. ب منحوتات حديثة تستدعي الشرح 221

. ج كلمات منحوتة شاعت في الاستعمال..... 222

. د قرارات مجمع القاهرة في قضية النحت 223

المبحث التاسع : ابن عربي وصناعة معجم متخصّص رؤية سعاد الحكيم 224

. أ بين عمل الخليل وعمل ابن عربي..... 226

. ب التسمية أساس وجود المصطلح 228

. ج تحويل دلالة اللفظ ومفهمتُهُ..... 228

. د الإضافة 230

المبحث الثامن : التنمية من المعجم إلى القاموس 231

خاتمة : 237

قائمة المصادر والمراجع 241

ملخص:

تكلّم الفيلولوجيون عن موت واندثار لغات كثيرة ، كما وسم العلماء بعض اللّغات بالحياة ، ونُعتت لغات أخرى باللّغات الميتة ، فما وضع العربية تلك اللغة القومية التي رحلت منذ الشعر الجاهلي ، وما زالت رحلتها مستمرة ...

نروم من خلال هذا البحث الوقوف على قضية هامة من قضايا اللغة العربية ، وهي القياس بوصفه آلية ، استخدمها النحاة العرب لضبط العربية ضبطا دقيقا ، يراعي الأصول والأحوال الأولى التي بُنيت العربية على أُسسها ومن منابعها ، و تمّ بذلك رسم القانون الذي يحكمها،فكَان عامل ثبات لها، وكُتب لها به صمود نظرية النحو العربي .

ثم نتتبع الأمر في الدراسات العربية الحديثة برصد أعمال المجمعيين ، ولمعرفة حالها من الثّبات والتّغيّر نرصد بنية اللّغة وما تمتلكه من أنظمةومؤهلات فطرية وعوامل ذاتية ،ساعدتها على العبور إلى ما سُمّي بالفصحى المعاصرة ، وهي التي تسعفها في عملية التطوّر والتنمية، ليتسنّى لنا مع ذلك ، ملاحظة مدى تطورها ،وحركيتها وقدرتها على القيام بواجب التأمين ؛ تأمين حاجة المتلاغين المتزايدة ، لنكشف بذلك حالها من التخلّف والانحسار، أو نصيبها من الرقي والازدهار.

الكلمات المفتاحية : التنمية اللغوية ، الصوغ القياسي ، الاشتقاق ، النحت.

Résumé

Les philologues ont parlé de la mort et la disparition de plusieurs langues, comme des savants qui marqué ont quelques langues de vie et que d'autres sont qualifiées de mortes. Quel est donc le statut de l'arabe, une langue nationaliste qui s'est effondrée depuis la poésie préislamique, et son voyage continue…

Par cette recherche, nous visons à identifier un problème important dans la langue arabe, à savoir, le syllogisme que l'on considère comme mécanisme dans la mesure où il est utilisé par les grammairiens dans le but d'ajuster soigneusement cette langue et prendre en compte les origines et les premières conditions dont lesquelles l'arabe s'est érigé sur leurs bases et sur leurs sources, en dessinant ainsi la loi qui le gouverne, et qui fut un facteur de sa stabilité, selon lequel, la constance de la théorie de la grammaire arabe lui fut destinée.

Et puis, nous suivrons la question dans les études arabes modernes de constat du travail des collectionneurs. Et pour connaitre l'état de stabilité et de changement, nous surveillons la structure de la langue et ce qu'elle possède comme systèmes et habilitations innés et subjectifs, qui l'ont aidée à traverser ce qu'on appelle l'arabe soutenu contemporain, ces éléments ont servi son processus de développement. Pour que nous puissions néanmoins constater l'étendue de son développement, sa mobilité et sa capacité à remplir le devoir d'assurance; assurer le besoin incessant des interlocuteurs pour révéler le cas de retard et de déclin, ou de sa part de la promotion et la prospérité.

Les mots clé : création analogique، l'évolution langagier, dérivation, sculpture.